جامعة المسيلة
كلية الآداب و العلوم الاجتماعية .
قسم اللغة العربية و آدابها.

الرقم التسلسلي ....

الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية

بمنطقة القصور

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير .

فرع : أدب عربي . تخصص :أدب شعبي جزائري .

إعداد الطالبة :

سليمة عيفاوي

تاريخ المناقشة :2010/06/29.

أمام لجنة المناقشة المكونة من :

-د/ عبد الله بن قـــرين ،أستاذ محاضـــر ، جامعة المســـيلة : رئيسا .

-د/ جمال حضري ،أستاذ محاضر ، جامعة المسيلة : مشرفا و مقررا.

-د/ عبد الغني بن الشيخ ، أستاذ محاضر ، جامعة المسيلة : ممتحنا .

-د/ سفيان زدادقة ،أستاذ محاضـــر ، جامعة سطـــيف : ممتحنا.

الموسم الجامعي : 2010/2009.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إهداء...

إلى كلّ من علمني و درسني من الطور الابتدائي إلى يومنا هذا ، و أخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور جمال حضري الذي أفادني بالكثير من النصائح و التوجيهات .

إلى عائلتي التي قدمت لي كلّ الدعم لإنجاز هذا البحث.

إلى كلّ من مد لي يد العون في منطقة البحث أثناء نزولي للميدان و أخص بالذّكر الرواة .

إلى هؤلاء أهدي ثمرة جهدي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمـــة

يزخر الأدب الشعبي بعميق التجارب التي تعبر عن آمال الناس و طموحاتهم كما أنه يكشف عن خلجات الشعوب النفسية ، و اهتماماتها الروحية التي تكون مجسدة في أشكال التعبير الشعبي المختلفة، و تعتبر الحكاية الشعبية من أبرز هذه الأشكال بفضل أسلوبها القصصي المصاغ بشكل مدهش فضلا عمّا تحويه من أبعاد رمزية و أخرى صريحة تعبر عن تجارب الإنسان العميقة وتكشف عن مختلف المواقف التي شدت انتباهه في مختلف مراحل حياته ، و هي لا تكتفي بطرح القضايا و المشكلات بل تسعى لإيجاد حلول لها و وسيلتها في ذلك شخصيات افتراضية قريبة من الواقع تتسم بالحكمة و الذكاء .

لذلك كانت الحكاية الشعبية سجلا حيّا دوّن فيه الإنسان مختلف مراحل تطوره و آماله وطموحاته و مخاوفه ، فكانت الحكاية الشعبية وعاءا حفظ فيه الإنسان جلّ اهتماماته و صبّ فيه خلاصة تجاربه و حكمه .

و قد أدرك الكثير من الدارسين قيمة الحكاية الشعبية و أهميتها فتعاظم الاهتمام بها في العالم و في البلاد العربية ،فتحدث "الكردنار هجرتي كراب"بإسهاب عن أنماطها ،و أفرد لها عبد الحميد يونس كتابا كاملا ،و أفردت لها "نبيلة إبراهيم" فصلا كاملا في كتابها "أشكال التعبير الشعبي"، و أفرد لها عبد الحميد بورايو فصلا في كتابه الأدب الشعبي الجزائري .غير أن الكثير من هذه الدراسات و غيرها لم تتجاوز الحدود الشكلية التي رسمها Vladimir Propp فلادمير بروب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحاول كلّ من "مصطفى يعلى" في كتابه "القصص الشعبي بالمغرب" ،و" عبد الحميد بورايو" في كتابه "القصص الشعبي بمنطقة بسكرة"، و "نبيلة ابراهيم "في كتابها "قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية " إخضاع الحكاية الشعبية للنموذج المورفولوجي .

و قد جاء هذا البحث مخالفا للكثير من التصوّرات التي تنظر للحكاية الشعبية على أنها قالب ثابت يمكن إخضاعه للنموذج المورفولوجي و اختزال مختلف وظائفه في إحدى و ثلاثين وظيفة ، فلم ينظر هذا البحث للحكاية الشعبية على أنها نص يعيش على الورق ، بل نظر إليها على أنها نسيج يتشابك فيه نص الحكاية مع نبرات الراوي وتقاسيم وجوه المتلقين في جوّ نابض بالحياة .

فالوظائف التي تؤديها الحكاية الشعبية في حياة مبدعيها و متلقيها كثيرة يصعب حصرها، والقضايا التي تعبر عنها ثرية و متنوعة أيضا ، وقد اخترنا من هذا الثراء و التنوع ؛الفئات الاجتماعية و علاقاتها و عاداتها و معتقداتها لأهميتها في مجتمع البحث و تأثيرها الكبير في الحكاية الشعبية فكان، عنوان البحث "الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور"، واختيارنا لمنطقة القصور ما هو إلا استجابة لنداء الحكاية الشعبية التي ترفض أن تموت هناك نظرا لبساطة العيش فيها و تمسك أهلها بكل أنواع التراث ، فهي تربة خصبة تسمح للحكاية الشعبية البقاء و تحميها من الزوال و الاندثار.

و لكن ، هل عامل البساطة كاف لأن تنتشر الحكاية الشعبية في منطقة البحث بهذا الشكل الملفت ؟.أم هناك عوامل أخرى مهمة يمكن إضافتها ؟.

-و باعتبار الحكاية الشعبية نسيجا يشكل الراوي و المتلقي أهم خيوطه ؛هل هناك إشارات أو علامات لمحت إلى وجودهما في نص الحكاية ؟

- وإذا كانت الحكاية الشعبية وعاءا حافظا لحياة المجتمع الشعبي القصوري ،هل استطاعت فعلا التعبير عن فئاته الاجتماعية و علاقاتها فيما بينها، و علاقتها بالطبقة الحاكمة؟ ، و هل استطاعت بعد ذلك التعبير عن عاداته و معتقداته ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للإجابة عن هذه التساؤلات قسّمت بحثي إلى تمهيد و بابين و ملحق للحكايات المدروسة.عرفت في التمهيد ببيئة الحكاية الشعبية ، ثم تطرقت إلى مفهوم الحكاية الشعبية و علاقته بالمفاهيم المجاورة لأتحدّث بعدها عن ظروف جمع المدونة و كيفية دراستها .

و قسّمت الباب الأول إلى فصلين ؛قدّمت في الأول عوامل انتشار الحكاية الشعبية في منطقة القصور و تحدثت في الثاني عن أهم أنواع الحكاية الشعبية القصورية و أنماطها .

و قسمت الباب الثاني إلى فصلين؛ تحدثت في الفصل الأوّل عن أهم الفئات الاجتماعية في الحكاية الشعبية القصورية و عن علاقاتها فيما بينها و عن علاقة الرعية بالحكام ، و تحدّثت في الفصل الثاني عن أهم العادات و المعتقدات الشعبية في منطقة القصور من خلال حكاياتها الشعبية .

و قد تطلّب منّي إنجاز هذا البحث النزول إلى الميدان لجمع المادة في إطارها المرجعي وسياقها الاجتماعي ، و قد استعنت في تحليلي للمادة ببعض الدراسات الاجتماعية كدراسة ثريا تيجاني التي حملت عنوان :دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية بمنطقة الجنوب الجزائري ، وببعض الدراسات الأنثروبولوجية كدراسة محمد جويلي التي تحمل عنوان :انثروبولوجيا الحكاية –دراسة انثروبولوجية للحكاية التونسية.

- أما الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث فتمثلت في تلك العراقيل التي واجهتني أثناء جمع المادة عند النزول إلى الميدان ، فصدمت في البداية برفض مجتمع البحث لي و عدم تقبله لطبيعة عملي و ذلك لعدم تعوده على هذا النوع من الدراسات ، ثم واجهتني صعوبات تتعلق بالتحكم في المادة و كيفية دراستها، ولكن تلك الصعوبات ذلّلت بفضل عون الله عزّ و جلّ و الأستاذ المشرف جمال حضري الذي أتقدّم له بالشكر الجزيل ،كما أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة و إلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل .

اليشير في نوفمبر 2010

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيـــــــــــــــــــــــــد:

سأحاول في التمهيد فصل مفهوم الحكاية الشعبية عن المفاهيم المجاورة لها كالحكاية الخرافية و القصة الشعبية لكثرة تداخلهما معها ، وسأعرّف بالبيئة التي أنشأتها متناولة الجوانب الجغرافية و التاريخية والاجتماعية لما لهذه الجوانب من انعكاس إيجابي على الحكاية الشعبية ،ولأنّ العمل الميداني جزء لا يتجزّأ من البحث قدّمت لمحة عن ظروف جمع المدونة وكيفية دراستها .

1-مفهوم الحكاية الشعبية و علاقته بالمفاهيم المجاورة:

إن إيجاد تعريف للحكاية الشعبية هو من أصعب ما واجهنا في هذا البحث، لأن مفهوم الحكاية الشعبية كثيرا ما يتداخل مع مفاهيم مجاورة وملازمة له .خاصة الحكاية الخرافية والقصة الشعبية ، وبدرجة أقل الأسطورة ، وقد يصل هذا التداخل إلى درجة الخلط لدى الكثير من الدراسيين ، فهناك من وسع من مجال الحكاية الشعبية وجعلها مرادفة للقصة الشعبية دون مبرر لتشتمل بذلك على كل الأنواع القصصية الشعبية كعبد الحميد يونس الذي يقول " يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضا ليستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم على الأجيال والذي حقق بواسطته الإنسان كثيرا من مواقفه .ورسّب الجانب الكبير من معارفه ، وليس وقفا على جماعة دون أخرى ، ولا يغلب على عصر دون عصر. "[1]

-و هناك من استعمل مصطلح الحكاية الشعبية مرادفا للحكاية الخرافية ، كثريا تيجاني في أكثر من موضع .وهناك من عجز عن الفصل بين المصطلحين فاقترح مصطلح "حكاية خرافية شعبية كسعيدي محمد :" إن هذه الفوارق والاختلافات الفنية بين نص الحكاية الخرافية ونص الحكاية الشعبية يصعب تمييزها ، ولهذا لجأ الاهتمام بالإبداع الشعبي إلى تسمية واحدة توحدهما وهي الحكاية الشعبية الخرافية " [2].

-وهناك من اعتبر الحكاية الشعبية أسطورة " كمحمد المرزوقي الذي يفرعها إلى أسطورة اجتماعية أسطورة بطولية ، أسطورة عقائدية ، وأسطورة تاريخية. " [3]

وهذا التداخل قد لا يعود إلى ضعف أو تقصير من طرف الباحثين ، وإنما يرجع إلى طبيعة المادة القصصية نفسها التي تتميز بتداخل موضوعاتها وتشابك عناصرها ، وخير دليل على ذلك اختلاف الدارسين في مختلف بلاد العالم حول الحدود الفاصلة بين الأنواع القصصية .

---

(1) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ، المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1968،ص 11 .

(2) سعيدي محمد : الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1998 ص 60.

(3) ينظرمحمد المرزوقي :الأدب الشعبي ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1967، ص 14،15.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهناك تصنيف تبناه الفنلندي أنتي أرنيANTI ARNI و سميث طومسون Stith tompso ينظر إلى القصص الشعبي من ناحية المحتوى . " والواقع أن مثل هذا التصنيف قد يؤدي إلى مزالق عديدة ،فهناك حالات وسيطة يصعب فيها إرجاع قصة ما إلى أيّ من الأصناف ،إذ اعتمدت الموضوعات والمعتقدات ونوع الشخوص أساسا للتصنيف ."[1]

- وهناك من رأى أنّ التصنيف يكون حسب الوظيفة كتيودور بنفي Tiodor Benfey "وقد تعرض للنقد ، لأن التمييز بين الحكايات انطلاقا من وفائها وعدم وفائها لهذه الوظيفة ، أو تلك يعبر عن محاولة قاصرة متعسفة ."[2]

- وتوالت بعد ذلك الكثير من الدراسات التي لم تسلم من النقد هي الأخرى، إلى أن كانت محاولة فلاديمير بروب الرائجة التي دعت إلى دراسة وصفية للحكايات الخرافية ، وإقامة تصنيف لها قابل للتعدد والتعريفات وفق مستويات الوحدات ، وهي محاولة تجاوزت كل الدراسات " غير أن محاولة فلاديمير بروب بقدر ما كان لها التأثير الواقع في مجال التحليل الداخلي لخطاب الحكاية الخرافية ودراسة مكوناته المختلفة ، لم يكن لها النجاح في مجال التصنيف نظرا لشدة اهتمامها بالتعريفات الفرعية للحكاية الخرافية ، وإهمالها للأشكال الأخرى المختلفة عنها. "[3]

- أما عربيا فقد حصرت نبيلة إبراهيم في كتابها" قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية " القصص الشعبي في شكلين تعبيريين فقط ، وهما : الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية مع محاولة لإيجاد الفروق الجوهرية بينهما .

أما ليلى قريش ؛ فقد قسمت القصص التي جمعته حسب حجمها إلى قصص طويلة وقصص قصيرة.

---

(1) ينظر عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2007، ص81 .

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص 82 .

(3) ينظر المرجع نفسه ، ص 84 ، 85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"قسّمتُ الطويلة حسب الموضوع إلى "قصص البطولة والخرافة التي تستقي في الأساطير الدين وقصة الحيوان والحب ، وأصلها العربي واضح في أغلب الأحيان ،أما القصص القصيرة التي هي ذات مغزى وتسلية فأغلبها من أصل مشكوك فيه ، وإلى هذا القسم الأخير تنضم القصص المقتبسة من أصل غير عربي ككليلة ودمنة و ألف ليلة وليلة." [1]

والواضح أن الحجم هو الأساس الشكلي الوحيد الذي اعتمدته ليلى قريش في تصنيفها.

أما محاولة عبد الحميد بورايو في تصنيف القصص الشعبي ؛ فقد عملت على مراعاة العناصر الثابتة ذات الطبيعة الشكلية بصفة أساسية ، واستندت على التميزات التي عينها حملة التراث وعلى اختلاف ظروف أداء القصص ومناسباته ونوعية الرواة ، والوسط الذي يقبل عادة على تلقي النوع القصصي إلى جانب ذلك حاولت تتبع الظروف التاريخية التي تطور عنها كل نوع ،وكل شكل فرعي وقد جاء تصنيفه كالآتي :

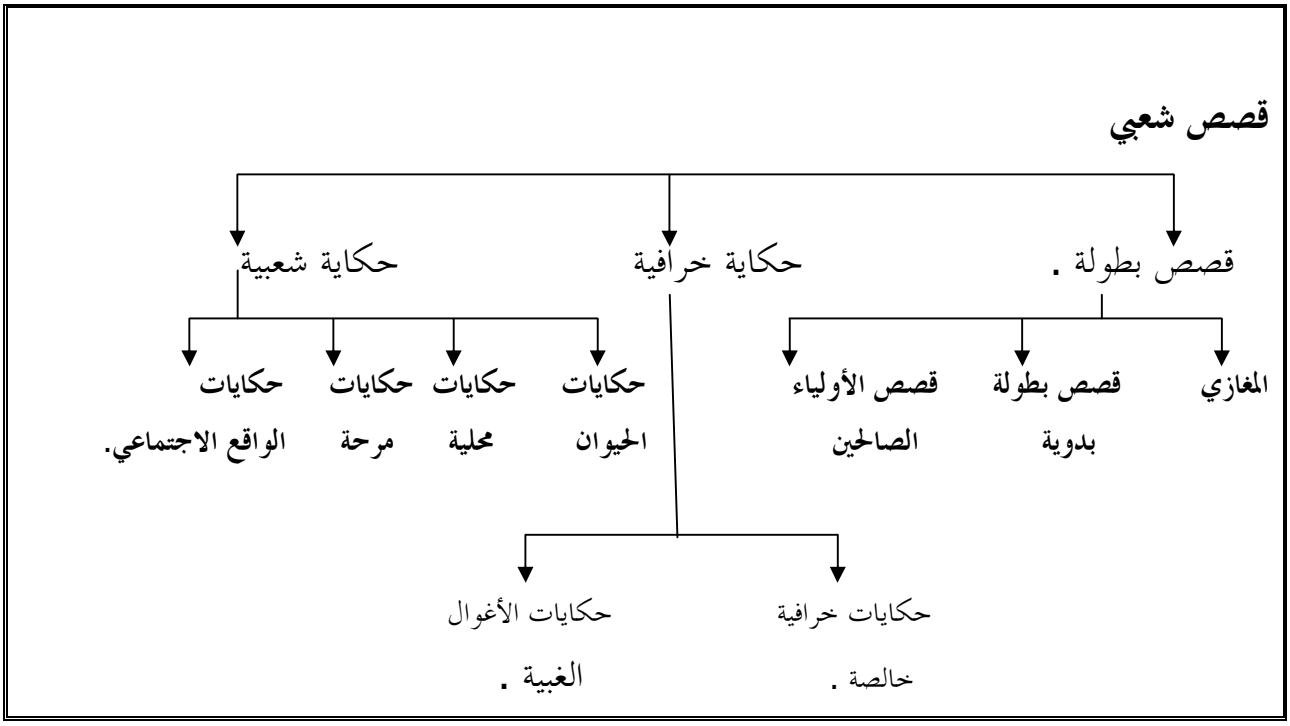

[1] ليلى قريش : القصة الجزائرية ذات الأصل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1980 ، ص 95 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأنا أرتاح لهذا التصنيف لأنه اعتمد على أسس علمية راعت خصوصية وطبيعة القصص الشعبي الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى لأنه فصل ولو ضمينا بين قصة شعبية ، حكاية خرافية ، حكاية شعبية، وبالتالي فأنا أميل لكلّ دراسته راعت خضوع القصص الشعبي للمحلية ، وحاولت تجاوز إشكالية مصطلح " القصص الشعبي " وأحست بضرورة تخصيص كل نوع من الأنواع القصصية بتعريف محدد " لأن مسألة القضايا المشكلة في قصصنا المحلي و القومي لا يكتسي أية فائدة إن لم تتم عملية تحديد المصطلحات والمفاهيم على وجه أكثر دقة وصرامة. " [1]

لهذا أردت أن أجانب مفهوم كل من القصة الشعبية والحكاية الخرافية والأسطورة للفصل بين هذه المفاهيم والأهم من ذلك إسقاط هذه المفاهيم من مفهوم الحكاية الشعبية الذي نقصده في هذا البحث.

أولا : القصة الشعبية :

قد يجد الباحث مصطلح القصة الشعبية بمعنى ضيق يقترب إلى مفهوم الحكاية الشعبية كـــ**ثريا تيجاني** بقولها: " القصة الشعبية هي تلك القصة البسيطة من حيث اعتمادها على الرواية الشفاهية باللغة أو اللهجة التي يتكلمها معظم الشعب ، والموجهة إلى جميع أفراد المجتمع للتعبير عن أحلامهم وآلامهم وأهدافهم في الحياة ، ويتضمن عدة جوانب منها الاجتماعي والنفسي والاقتصادي والثقافي والديني الغنية بمعانيها الهادفة ."[2]

وقد يجد الباحث مصطلح " قصة شعبية " بمعنى واسع جدا يرادف الأدب الشعبي كـــ**ليلى قريش** بقولها :" اتخذت كلمة القصة في هذه الدراسة مرادفة للأدب الشعبي. "[3]

- أما مصطلح القصة الشعبية الذي نقصده و يختلف عن الحكاية الشعبية فهو ذلك الشكل التعبيري الذي يضم كل الأنواع السردية الشعبية سواء كان ذلك شعرا كالمغازي ،أو نثرا كالحكاية الخرافية والحكاية الشعبية ....إلخ ،مع اشتراط وجود حبكة قصصية .

---

[1] مصطفى يعلي : القصص الشعبي بالمغرب دراسة مورفولوجية ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء، ط1 ،2001 ، ص 33 .

[2] ثريا تيجاني : دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة وادي سوف ، دار هومة، الجزائر دون سنة ،ص 15. [3] ليلى قريش ، مرجع سابق ، ص 91 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا : الأسطورة :

هي أول شكل تعبيري نطق به الإنسان البدائي ، عندما أحس بحاجة ملحة لتفسير مظاهر الكون التي أذهلته " فهي محاولة لفهم الكون بمظاهره المتعددة وهي تفسير له "[1] وهذا التفسير أنتجه خيال إنسان شعبي اقتنع به و أقنع به غيره ، فانصهر المفسر الأول في بوتقة الجماعة فهي بهذا " نتاج وليد الخيال لا يخلوا من منطق معين ، ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم و الفلسفة فيما بعد "[2]

إذن : نشأت الأسطورة عندما بدأ الإنسان البدائي يتأمل في مظاهر الكون المتعددة ،وهذا التأمل أدى به إلى التعجب ثم إلى التساؤل والحيرة فكان لابد له حينئذ من إيجاد إجابة " حتى إذا كانت الإجابة قرّت نفسه لأن الإجابة حينئذ تكون حاسمة بالنسبة إليه " [3] ،فلجأ الإنسان الشعبي لتحقيق ذلك أمام غياب الكتب المقدسة التي تفسر له هذه الظواهر إلى تأليه كل المظاهر التي أذهلته قوتها ،وبهذا اكتسبت الأسطورة ثوب القداسة " فهي في أبسط تعريف لها حكاية مقدسة. "[4]

أما الظواهر والكائنات التي لم يؤلهها نسج حولها قصصا تشرح وتفسّر خصائصها ،والأداة المحركة في كل هذا عنصر الخوارق ،ومن هذه التفسيرات أن " القمر كان يلاحق الشمس في غير انقطاع بمطاردات الحب ،حتى غضبت الشمس في النهاية فلطخت وجهه المستدير بالرماد لكي يدعها في هدوء ، ومنذ ذلك الحين والقمر يحتفظ بتلك البقع السوداء." [5]

ومن هنا" اتسع مجال الأسطورة ليشتمل على موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين،

---

(1) نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير الشعبي : دار غريب للطباعة ، دون طبعة ،دون سنة نشر ،القاهرة ، ص 55.

(2) المرجع نفسه ، ص 16.

(3) المرجع نفسه، ص 16 .

(4) خزعل الماجدي : بحور الآلهة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، عمان ،1998 ،ص 55 .

(5) فريد بريش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية ،نشأتها ومناهج دراستها فنيتها ،ترجمة نبيلة إبراهيم .مراجعة عز الدين إسماعيل،دار القلم ،ط1،بيروت ، لبنان ،1973،ص 93.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر ...ويكون محورها الآلهة أو أنصاف الآلهة ، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث ، كان دوره مكملا لا أساسيا. "[1]

ثالثا : الحكاية الخرافية :

تعتبر الحكاية الخرافية مرحلة لاحقة عن تطور الفكر الإنساني فلم تأخذ عن عصر توليد الأساطير سوى بقايا ومعتقدات أسطورية ،فعرفها فريدريش فون ديلاين بأنها :" بقايا معتقدات تصل في تاريخها إلى أقدم العصور،وتُتاح لها الفرصة للظهور من خلال تلك التأليفات التي تصور مدركات غير حسية ، وهذه المعتقدات الأسطورية شبيهة بقطع أحجار متناثرة بين زهور تنبت في أرض خصبة لا يكتشفها إلا ذو بصر حاد" [2] ،وتكون بقايا هذه المعتقدات الأسطورية سبب بروز عنصر الخوارق في الحكايات الخرافية ، وهذا العنصر هو سر امتلاك الحكاية الخرافية المتعة الفطرية ، فالإنسان وحتى وإن كان واعيا باستحالة وقوع أحداث الحكاية الخرافية إلاّ أنه يحب سماعها ، استجابة لفطرته المحبة للانحدار في الخيال والحلم بتوظيف الخوارق والتحولات السحرية .

" ويعد العالم السحري من أهم الخصائص الشكلية للحكاية الخرافية ، وهي تفعل هذا لا لأنها تجسد تجارب الإنسان مع عالمه الداخلي الخفي ،بل لأنها تستجيب كذلك لميل الإنسان الفطري لأنه يصور لنفسه دائما عالما أجمل من عالمه الواقعي. "[3]

فاستغنى الإنسان في الحكاية الخرافية عن الآلهة وأنصاف الآلهة ، ولعبت الكتب السماوية دورا كبيرا في ذلك ،ولكنه أصبح في أمس الحاجة لشخصية مانحة تسلمه الأداة السحرية بعد تعرضه لاختبار ترشيحي ، وهذه الأداة تجعل البطل مختلفا عن جميع أقرانه ،وتمكنه من إصلاح الافتقار وتعويض النقص، وقد تكون الأداة السحرية "عبارة عن حيوانات أو هراوة أو سيف "[4]أو طائرا ينقل البطل إلى عالم مجهول .

---

[1] ينظر خزعل الماجدي ، مرجع سابق ، ص 57 .

[2] فريد يريش فون ديرلاين ، مرجع سابق ،ص 32 .

[3] نبيلة ابراهيم :أشكال التعبير الشعبي ،مرجع سابق ، ص 88 .

[4] ينظر فلاديمير بروب :مورفولوحية الخرافة ،ترجمة إبراهيم الخطيب ،مطبعة النجاح الجديدة ،المغرب ،1986،ص52.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا الأساس من العناصر الشكلية الموجودة في كل الحكايات الخرافية لاحظ "بروب" أن هناك وحدات نصية تتكرر في جميع نصوص الحكايات الخرافية التي تجاوز عددها المائة فأحصى "بروب " هذه الوظائف ووجدها إحدى وثلاثين وظيفة.

من هنا يمكن تعريف الحكاية الخرافية والتي تختلف عن الحكاية الشعبية بأنها :ذلك النمط القصصي الذي يقوم هيكله الدلالي والشكلي على عنصر الخوارق ،وتجري أحداثها في عالم سحري وأبطالها في صراع دائم مع المارد والشخوص الشريرة .تكون نهايتها دائما سعيدة لصالح الشخوص الخيرة بمساعدة الأداة السحرية ،فتخضع في معظمها للنموذج المورفولوجي ،وتؤدى في المجتمع الجزائري في أجواء طقوسية .

بعد عرضنا لتعريف كل من القصة الشعبية و الأسطورة والحكاية الخرافية ،نعتقد أننا بدأنا ندنو رويدا من إيجاد تحديد مفهوم للحكاية الشعبية .

رابعا : **الحكاية الشعبية :**

كانت الحكاية الشعبية طورا جديدا من حياة الإنسان القصصية ،إذ نشأت مع الإنسان الناضج الذي بدأ يحس بعالمه الواقعي المر ،المليء بالصعاب والمتاعب " بعد أن اكتمل الأداء اللغوي عند هذا الإنسان ،ونضجت فيه القدرة على السرد والنقد والملاحظة الشخصية أصبح يمتلك قدرا كبيرا من الذكاء البارع يساعده على [ترجمة] ما لديه من نقد أو ملاحظة في أسلوب قصصي مدهش." [1]

فمادة الحكاية الشعبية مستمدة من واقع الإنسان الشعبي المعاش ،وهي لا تصور موقفا شدّ انتباهه فقط (قد يكون هذا الموقف اجتماعيا أو أخلاقيا أو سياسيا)؛ وإنما تحاول إيجاد حلول لهذه المعضلات ووسيلته في ذلك شخصيات افتراضية تتسم بالحكمة والذكاء والعقل لتغيير الواقع .

---

(1) نمر سرحان : الحكاية الشعبية الفلسطينية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دون طبعة ،بيروت ،ص 21 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالحكاية الشعبية "لا تقتصر على ناحية من نواحي هذا المجتمع أو تقف على جانب من جوانبه بل تشمله من جميع النواحي والجوانب في أسلوب المعيشة وفي أسلوب التعامل بين الأفراد والجماعات ،في الدين والتدين ،في الحكم ،وفي أسلوب الحاكمين ومعاملتهم للمحكومين حتى في النواحي الشخصية المستورة في حياة الناس."[1]

وبهذا نتوصل إلى التعريف التالي لها :

الحكاية الشعبية شكل قصصي ومروية شعبية من نسج الخيال الشعبي ،عالمها الافتراضي جد قريب إلى الواقع ، يكاد يخلو من الخوارق والتحولات السحرية ،فهي قريبة جدا من اهتمامات الإنسان الشعبي المختلفة .احتفظت بفتات من بقايا معتقدات أسطورية كالغول، أبطالها بشـــــــــــــر أو شخصيات حيوانية اتخذتها الجماعة الشعبية لتمرير خطاباتها وأفكارها الإيديولوجية ، يكون البطل فيها في صراع مع شخصيات شريرة أو فقر أو عاهة جسمية أو مصيره المجهول ، لذلك اختزلت الحكاية الشعبية العدد الأكبر من الوظائف المورفولوجية لبروب ، ولا يشترط أن تؤدي في أجواء طقوسية في المجتمع الجزائري .

الفرق بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية :

– العالم المجهول :

في الحكاية الخرافية لا يبعد العالم المجهول كثيرا عن العالم المعلوم ،فإذا انتقل البطل إلى العالم المجهول فكأنما انتقل إلى مكان قريب منه فينتقل إليه بخفته ورشاقته . وعند وصوله إليه لا يقف منه ذرعا ،لأن البطل لا يرحل من أجل المعرفة أو الاستكشاف بل لإنجاز مهمة ، حتى أنه لا يتساءل عن ماهية الأداة السحرية ،فعالم الحكاية الخرافية المجهول ذو بعد واحد.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 22 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الحكاية الشعبية ؛فإن العالم المجهول فيها يمثل بعدا ثانيا ، فأبطالها واعون بأنهم يخوضون في عوالم غريبة عنهم ،وهم متيقنون بأن هذا العالم بعيد عن عالمهم .ويعني هذا أن العالم الحكاية الخرافية ذو بعد واحد (انجازا لمهمة) في حين أن عالم الحكاية الشعبية ذو بعدين الاكتشاف و انجاز المهمة.

2 – البطل :

يعيش البطل في الحكاية الخرافية دون عالم داخلي ،ولا يتوقف بحاجة على خصاله ،بل يتوقف على ظهور القوى المانحة والمساعدة له ،فبدونها لا يستطيع البطل إصلاح الافتقار. أما بطل الحكاية الشعبية فأداته العقل ليكشف عن عمق تجربة إنسانية نعيشها في عالمنا المرئي ،وغير المرئي و يثير في نفوسنا مشاعر القلق والألم ، ويجعلنا نحسّ كل الإحساس بوجود نقص في عالمنا .

3 – الشخوص الشريرة :

إن الشخصيات التي نجدها في الحكايات الخرافية كالغول والمارد أو الساحر نكاد لا نجد لها أثرا في الحكايات الشعبية ، وهذا راجع إلى أن الإنسان الشعبي بدأ يحس بجوانب التهديد الحقيقية في حياته وتتمثل جوانب التهديد هذه إما في عالمه المرئي كمشكلة توزيع الأرزاق ،ظلم الإنسان لأخيه الإنسان،أو عالمه المرئي (الموت الذي يتهدده) أو بتعبير آخر : لقد تغير شكل الخطر الذي يهدد الإنسان الشعبي، فلم يعد الخطر ماردا أو ساحرا ، وبناءا على ذلك تغير تجسيده لهذا الخطر .

4 – الشخوص الخيرة :

لقد أصبح بطل الحكاية الشعبية واقعيا إلى حد كبير ، لأجل ذلك نجده قد استغنى عن الشخوص المانحة التي تمنح البطل الوسيلة السحرية لكي يستخدمها في وقت الحاجة ، ولكنه مع ذلك أصبح في أمس الحاجة إلى شخصية تبصّره بالحقيقة ، وتكشف له المجهول ،فظهرت شخصية نعدها تجاوزا تطويرا للشخصية المانحة ،وهذه الشخصية أطلقت عليها نبيلة إبراهيم اسم "العريف"[1] وهي تعرف في الحكايات الشعبية الجزائرية بـــــــــــــــــــالشيخ المدبر أو الدبار .

---

[1] ينظر نبيلة ابراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ،دار قباء للطباعة، دون بلد نشر ، دون سنة نشر ، ص 121-128.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- بيئة الحكاية الشعبية :

أ-الإطار الجغرافي :

تقع بلدية القصور في الجنوب الغربي لولاية برج بوعريريج ، تبعد عن مقر الولاية بـــ37كم تقدر مساحتها بأربعين و مائة كيلو مترا مربعا (140كلم) ، ويقدر عدد سكانها بحوالي(11000ن) يحدها شرقا : الحمادية ، غربا :حمام الضلعة ، جنوبا : العش شمالا : اليشير . تمخضت عن التقسيم الإداري لسنة1984 م كبلدية تابعة لدائرة الحمادية بعدما كانت إحدى قرى رأس الوادي .أهم القرى بها : وراسن، توبو ، بلج ،بلفيل ، القصور ، والحامة : و بالحامة يتواجد مقر البلدية .

القصور منطقة جبلية رعوية ، شبه معزولة يغلب عليها الطابع الفلاحي، يعتمد سكانها بدرجة كبيرة على الزراعات المعاشية (القمح ، الشعير) و يعتمدون بدرجة أقل على زراعة الباقوليات و الخضروات .

كما تنتشر في منطقة القصور و بشكل ملفت للانتباه الأشجار المثمرة ،خاصة أشجار المشمش والخوخ و الرمان و الزيتون والعنب والكروم.و قد ساعد على ذلك طبيعة المناخ .

و لأن القصورمنطقة جبلية يصعب مرور الآلات الحديثة عبر مزارعها، يستعمل الإنسان الشعبي هناك آلات فلاحيه تقليدية لاستصلاح الأرض كالقادوم في التقليم، والمحراث التقليدي في الحرث و المنجل في عملية الحصاد أما الدرس ؛ فتقوم كل دشر المنطقة (ما عدا قرية **توبو** التي استفادت من وسائل حديثة)بتجميع المحصول في مكان منبسط لتقوم آلة الحصاد الحديثة بالدرس .

صورة1: للمنجل على اليمين والفرش على اليسار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن : طرق العيش في القصور بسيطة و صعبة جدا ،لأن الطريق المؤدي إليها غير معبد ،وهو الأمرالذي يجعل التنقل إليها صعبا للغاية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنها لم تستفد بعد من الغاز الطبيعي، فما يزال الإنسان الشعبي بمنطقة القصور يقطع مسافات بعيدة جدا للحصول على قارورة الغاز التي أصبح لا يستعملها إلا نادرا لصعوبة الحصول عليها وغلاء سعرها .

صورة 2: توضح صعوبة المسالك بالمنطقة

و أمام هذه الصعوبة في العيش هناك ؛ من صمد وتشبث بالمنطقة ، وهناك من هجرها خاصة قبل سنة 2000م حيث لم تكن القصور قد استفادت بعد من مياه الحنفية ، إذ قبل هذا التاريخ كان سكان المنطقة يعتمدون على خمسة عيون رئيسية في المنطقة و هي :

1 عين وذرن.
2/ عين العنصر.
3/عين المروج.
4/عين القصور.
5/عين موسي.

صورة 3: عين العنصر بواد وذرن.

صورة 4: عين القصور بالجهة الغربية للقصور

صورة 5:عين وذرن بواد وذرن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البناء العمراني للمنطقة :

وأجده واجبا أن أتحدث عن أول مظهر جذبني و افتتني في القصور ،و هو بناؤها العمراني الأصيل حيث مازالت جل منازلها تقليدية ؛ حيطانها من طوب أو حجر و أسقفها من قرميد.

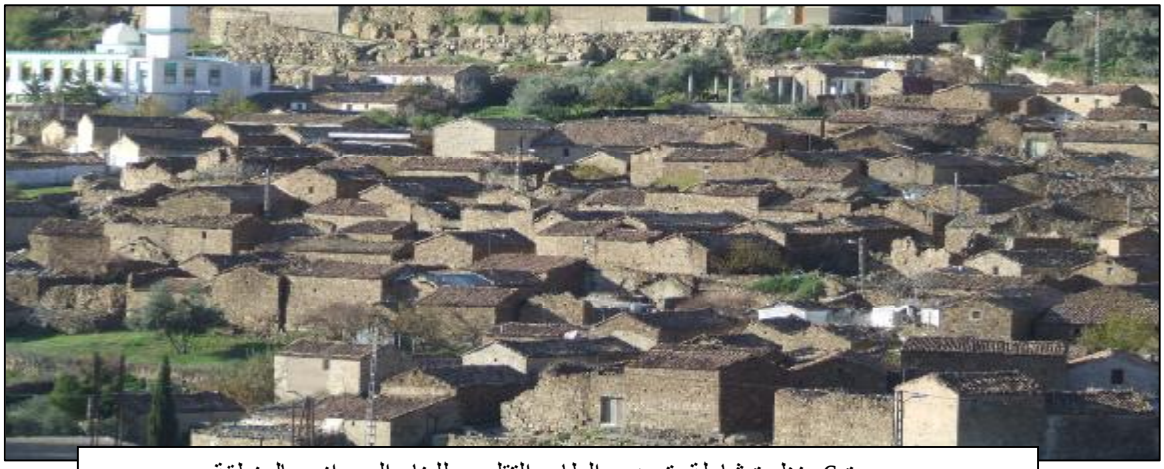

صورة 6 :نظرة شاملة توضح الطابع التقليدي للبناء العمراني بالمنطقة.

صورة 7:باب منزل في القصور

قبل أن تلج بيتا قصوريا تجد بابا من خشب يعلوه صنم العرعارية أو ما يسمى :"المنار" وظيفته الأساسية تحصين وتثبيت الباب في سور الفناء ، ولا يخلو باب أي بيت في المنطقة من حذوه حصان أوخمسة لإبعاد العين وجلب الحظ .

وعندما تدخل البيت ؛ تجد فناءا وسعا يحوي غرفا كثيرة منها ما هو مخصص للنوم ، ومنها ما هو مخصص لاستقبال الضيوف ، ومنها ما هو مخصص للادخار.

صورة 8 : فناء إحدى البيوت في القصور تتوزع به مختلف الغرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكل غرفة من هذه الغرف تخضع لنفس البناء الداخلي حيث حيطان هذه الغرف مبنية بالحجر ، وسقفها عبارة عن "قناطص" و"عقد" و "ركيزة " .

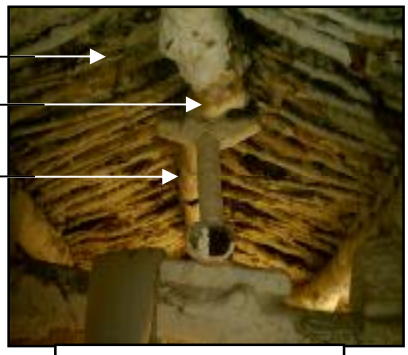

صورة 9:نموذج لإحدى أسقف المنازل القصورية

وقد سمح لي بدخول "دار الخزين". ففوجئت بوجود "الكوفي " الذي يستعمل لادخار القمح و الشعير.

صورة10: للكوفي وهو وسيلة إدخار بالمنطقة

أما البنايات العصرية؛ فهي موجودة بقلة و الذي وجد منها عبارة عن مؤسسات تعليمية أو مساكن استفادت من البناء الذاتي .

وتجدر الإشارة إلى مشاريع تنموية في الأفق كتعبيد الطريق الرابط بين المنطقة و بلدية اليشير و تزويد المنطقة بالغاز الطبيعي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب-الإطار التاريخي :

أجمع كل سكان منطقة القصور على مختلف أعمارهم وأجناسهم أن القصور بُنيت قبل العاصمة بسبع سنوات ،بل إنهم يذهبون أبعد من ذلك باعتقادهم أن البناء المعماري للقصبة ليس إلا تقليدا واقتباسا عن منطقة القصور، وهناك رواية تقول أن المهندس الذي بنى القصور هو نفسه من بنى مدينة القصبة بالعاصمة. والواقع أنه عندما تجولنا في مختلف أزقة القصور لاحظت تشابها كبيرا بينهما.

صورة 11 :أحد أزقة القصور التي تشبه أزقة القصبة

المسمى الفولكلوري :

عند مجالستي لسكان المنطقة وجدت روايتين متداولتين بكثرة عن أصل التسمية.

الأولى :تقول أن سكانها هجروها نتيجة لظروف العيش القاسية ، و لم يبق منها إلا القُصر فسميت بالقصور [1]. هذه الـــرواية أراها ضعيفة فقد قطن القصـــور الصـــغير و الشاب و الكبير.

أما الرواية الثانية : فتقـــول أن قوم بني هلال عندمـــا قدمـــوا من المشرق العـــربي إلى الجزائر و بالضبط المسيلة مروا بمنطقة القصور، فهناك من واصل السير و هناك من عجز عن المواصلة أي "قُصروا "؛ فسميت القصور نسبة إليهم. [2]

و كنت بين الروايتين حائرة إلى أن أكّد كسال عبد السلام ،- وهو طبيب و باحث في أنســـاب القصور- أكّد لي حقيقة الرواية الثانية مع تزويدي بحقائق تاريخية مهمة، يقول"كسال عبد السلام" : " بعد سقوط القلعة الحمادية سنة 1150م ، ســـعى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي

---

[1] محمد علون : راوي و شاعر شعبي ، من مواليد 1916، فيفري 2008 ،بمنزله بقرية تازرورت .

[2] إبراهيم بوجير : ساكن بالمنطقة و مهتم بتاريخ القصور وعاداتها ، من مواليد 1957،فيفري 2008 ،بمنزله بقرية القصور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعويض ما خسر ، فطلب من الهلاليين الموجودين في مصر تأسيس دولة حمادية صنهاجية فلبى الهلاليون مطلبه .هناك من وصل و منهم من عجز على التقدم أكثر فبقوا في القصور ، فأخذت بذلك هذه المنطقة هذا الاسم أي القصور. " [1]

القصور عبر الحقب التاريخية :

العهد الروماني :

لم أعثر على معلومات موثّقة عن تاريخ المنطقة في هذا العهد ، ولكن يمكن التأكيد أنّ بعض قرى بلدية القصور كانت قرى بربرية سكنت بها إبّان العهد الروماني، في حين كان بعضها الآخر عبارة عن قرى رومانية ،تأكّدنا من ذلك من خلال الآثار التي عثرنا عليها هناك .

العهد الإسلامي :

عرفت القصور الإسلام بداية القرن الثاني للهجرة ، وكانت بعدها تابعة للدولة البربرية الصنهاجية"إلى أن كان القرن الحادي عشر للميلاد ، وبالذات في الفترة ما بعد 1150م ، وهو تاريخ سقوط قلعة بني حماد بالمسيلة ، إذ زحف الهلاليون إلى الجزائر بإيعاز من " الخليفة المعز لدين الله الفاطمي" ، انتقاما للبربر الجزائريين بعد خروجهم عن طاعته فأسّس الدولة الحادية الصنهاجية .

ومن المناطق التي زحف إليها العرب الهلاليون مساحات كبيرة من القصور حتى أن هناك مترل في قرية القصور الصغرى* يقال أنه يعود إلى الجازية بطلة السيرة الهلالية . فانتشر الهلاليون هناك وعاشروا البربر ، و لم يكن للبربر أن يطيقوا خشونة الهلاليين ،فانسحبوا من هناك متجهين إلى القبائل الصغرى دون مناوشات أو حروب، وحلّ مكانهم المرابطون " الأشراف " أو ما يعرف بأهل وذرن ومعناه ، المنحدر من التلّة أو الوادي ، فاستقروا في تازرورت التي لا يفصلها عن القصور الصغرى سوى واد وذرن** نسبة إلى السكان الجدد ، ويقال أنهم أشراف يعود نسبهم إلى علي كرم الله وجهه .

---

[1] عبد السلام كسال :طبيب و باحث في تاريخ وأنساب المنطقة ، من مواليد 1970، مارس 2008 ، بمقر عيادته ببلدية اليشير.

* لقد وضعت تسمية القصور الصغرى على قرية القصور حاليا حتى لا تختلط مع منطقة القصور التي تشتمل على القرى التي جاء ذكرها سابقا .

** يفضّل أهل القصور تسميته بواد القصور .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النزاعات القبلية :

من أقدم المباني الموجودة في القصور الصغرى هو ذلك السور الذي أحاط بها من كل الجهات، ولعل سرد الروايات التي دارت حول هذا السور، تكشف لنا عن القبائل التي لم تكن أبدا على وفاق مع أهالي القصور .

الرواية الأولى : تقول أنه كانت هناك معارك طاحنة بين القصور والمنطقة المسماة بالدريعات ، قصد اكتفاء شرها وشر غيرها فكر حكماء المنطقة في بناء سور يحمي القرية ، ولكنهم وجدوا أنفسهم بحاجة إلى مساعدة الغير لبناء هذا السور و لم يجدوا أفضل من أولاد خلوف المنتشرين في جهات مختلفة – نظرا للقرابة التي تجمع بينهم – وذلك بمقابل مادي،وبعد بناء السور والانتهاء منه رفض أعيان القرية دفع مستحقات البناء لأولاد خلوف و قالوا لهم متهكمين : "السُور طْلع ما فِيه طْمع" فنشبت عداوة بنهما وصلت إلى عدم المصاهرة بين القبيلتين .[1]

الرواية الثانية : تقول أن المناوشات بين أهل القصور الكبرى وسكان غرب جبل القصور من أهل " المعاضيد " كانت قائمة والحروب لم تكن تنتهي بينهما ،و الذي زاد الطين بلة ما قام به أهل المعاضيد عندما تعرضوا لموكب عرس لأهل القصور الصغرى ، وقاموا باختطاف العروس من بين أهلها فوقع الخبر كالصاعقة على أهالي القصور الصغرى ، و لم يكن ليشفى غليلهم سوى الانتقام فاستعانت في ذلك بكل أهالي القصور ماعدا أهل وذرن المرابطون القاطنون بتازرورت كونهم سكان جدد لا يثقون في ولائهم .

عُرف أهل وذرن المرابطين بالحكمة ورجاحة الرأي ففكروا في عقد صلح بين الطرفين فوافق أهل المعاضيد لمحو جريرتهم السابقة ، وأبدى أهل القصور رغبتهم في الصلح ، ثم قبولهم للمسعى شرط أن يكون اللقاء في قرية تازرورت ، وكان أهل القصور قد أضمروا الكيد لأهل المعاضيد ، فاتفقوا مع زعيمهم للبطش بهم ، على أن يمهلوهم حتى يستأنسوا ويضعوا أسلحتهم ، ثم تكون الإشارة من قبل الزعيم " قريب يطيب الكرطوس* " وكان الزمن خريفا مع كثرة هذه الفاكهة بالوادي ، حتى إذا لفظ الزعيم العبارة اندفع القوم يعملون السيف في أهل المعاضيد .

---

[1] عبد القادر فطوش :راوي شعبي ، من مواليد 1953، مارس 2008،بمنزله بقرية القصور .

* سينضج التين قريبا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و هكذا كان ، فما إن استقر القوم في دار الضيافة ، حتى كانت الإشارة التي اتُفق عليها ، ثم كان الذبح والقتل ، فقطع من الرؤوس أربعون بعدد النقباء الذين جاؤوا للصلح .

ويذكر سكان المنطقة أن أهل القصور الصغرى صنعوا عقدا بالرؤوس وأرسلوه إلى المعاضيد إيذانا لهم بثأرهم .وكانوا قبل فعلتهم تلك قد انتهوا من بناء السور حول القرية ، واطمأنوا أن لا طمع لأحد فيهم . [1]

صورة:12 باب بارنصور وهو آخر ما تبقى من السور

وتجدر الإشارة إلى أن هدا السور لم يبق منه إلا آثار قليلة جدا بفعل عوامل الطبيعة بغضبها ، والاستعمار بهدمه للسور ليسهل عليه الدخول إلى القرية والإنسان باستغلاله للحجارة في البناء. لم يبق من هذا السور إلا باب:**"بارنصور"**

وبعد أن تخلص أهالي المنطقة من التراعات الخارجية " نشبت هناك نزاعات داخلية ، خاصة بين القصور الصغرى و تازرورت حول عين ماء تدعى " موسي " نسبة إلى بانيها اليهودي " موشي " الذي أشعل فتيل الفتنة بين الفريقين وصلت إلى حد فكر فيه الهلاليون (القصور الصغرى) في إستأصال المرابطين (أهل وذرن أو تازرورت) .عرف أهل وذرن بالنية المبيتة ضدهم ففروا هاربين من مصير كالمصير الذي حلّ بنقباء أهل المعاضيد إلى القبائل الصغرى ملتحقين بالبربر السكان الأصليين للمنطقة حوالي سنة 1500م [2] .

فبقيت تازرورت خالية ردحا من الزمن لا يسكنها أحد ، ربما مقدر جيل أو جيلين حيث بقيت أخبارها عالقة في ذهن المهاجرين من أهل وذرن الذين كان الحنين يشدهم إليها يوما

---

(1) عبد السلام كسال :مصدر سابق ، فيفري2009 ، بمقر عيادته ببلدية اليشير.

(2) المصدر نفسه،في نفس اليوم، و في نفس المكان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد يوم ، و لكنهم ما كانوا ليتجرؤوا على العودة إليها إلى أن أقام بها العالم الجليل **سيد علي الطيار** الذي أعطى الأمان للناس للاستقرار بقرية تازرورت فعاد إليها المرابطون (أهل وذرن) بعدما كانوا في القبائل الصغرى . فلم يعد يسوّل لأهل القصور الصغرى العودة إلى العدوان من جديد ، وبدأ الناس يتوافدون إلى القرية للإقامة بها ، وصارت تسمى **قصور أولاد سيدي علي الطيار** .وكانت بداية العمران الجديد في بداية القرن السابع عشر للميلاد.

العهد الاستعماري :

لم تسلم منطقة القصور من الغزو الفرنسي الهمجي لأراضيها و سكانها على غرار كل أرجاء الجزائر، فما زالت الذاكرة القصورية تذكر بألم و غضب تلك الصور المأساوية التي لونت بدماء الشهداء الشريفة ، فكان جهاد سكان القصوري كبيرا لأن الفرنسيين عندما احتلوها أباحوا دماءها و استحيوا نساءها ، و انتهكوا الأعراض فخربوا مساجدها و زواياها و أهانوا دينها الإسلامي الحنيف، و قتلوا علماء الدين و شردوهم و نفوهم داخل البلاد و خارجها ، و كان هدفهم من ذلك القضاء على النشاط الديني و على كل مظاهر الحياة الإسلامية ، فعملوا على تنصير البلاد أرضا و شعبا ، فرُفع شعار الصليب على كل أرجاء دشرها و شجعوا المستوطنين على الإقامة بها بسلب أراضي سكانها الأصليين و جعلهم عبيدا يركعون تحت أرجلهم ، واستغلوا المجاعات لتنصير الأطفال الذين عجز ذووهم على إعالتهم ،فقدموا لهم فتات الخبز مقابل التنصير ، ولكن هيهات أن يكون لفرنسا ذلك ،فقد وجدت شعبا معاندا ،شرسا ، جلدا ،جاهد بالنفس و النفيس و بالفعل قبل القول .ففتحت كل البيوت القصورية للمجاهدين للاختباء و المبيـــت و الأكل ،و رفعوا السلاح في وجه العدو الغاشم إيمانا منهم أن الجهاد هو السبيل الوحيد للنصر ، و تعززت فكرة الجهاد مع مرور الزمن "خاصة بعد مؤتمر الصومام عام 1956م عندما تركزت الثورة و تعمقت جذورها ووصلت إلى جميع الناس في جميع أرجاء الوطن و استطابوها ،وفهم مغزاها و أهدافها الوطنية و اتضح لهم أنها جهاد حقيقي مثل جهاد الرسول صلى الله عليه و سلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و صحابته الكرام "[1] فكانت معظم معارك المنطقة بعد هذه السنة، نذكر على سبيل المثال :

1-**معركة وادي قرقور** :حوالي سنة **1956** شمالي القصور، وهي معركة فاز فيها المجاهدون بعدما نصبوا كمينا لجنود الاستعمار بمساعدة الأهالي ، قتل فيها اثنان و عشرون جنديا فرنسيا و أربعة شهداء من مناطق مختلفة [2].

2- **معركة كاف العسل** : سنة**1958** م ضواحي القصور الصغرى ،و هي معركة زهقت فيها دما الكثير من الشهداء بعد وشاية من طرف عملاء لفرنسا ، وهناك من قدر العدد بثلاثين شهيدا من مختلف مناطق الوطن [3] "ومن أشهر شهداء المنطقة نذكر : إبراهيم عباد ، محمد الطاهر،عبد القادر وناس ، فارح الأخضر... "[4]

---

[1] المنظمة الوطنية للمجاهدين : قاموس الشهيد ، دار الهدى للطباعة ، المكتب الولائي ، برج بوعريريج ، الجزائر 2002.،ص11.

[2] - بوزيد كسال : ،راوي شعبي و مهتم بعادات المنطقة و تقاليدها ،من مواليد 1937، تم اللقاء بمنزله ببلدية اليشير.

[3] أحداث هتين المعركتين متفق عليها من طرف كل من عاصر وقوعها (الحاج نور ، محمد معزوز ، إبراهيم بوجير...)

[4] ينظر المنظمة الوطنية للمجاهدين ، مرجع سابق ،ص 93-118.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جـــ - لمحة عن الحياة الاجتماعية و الثقافية في منطقة القصور:

يتحدث مجتمع البحث لهجة عربية جزائرية مميزة ، تختلف عن لهجات سكان ولاية برج بوعريريج بعذوبتها ولطاقة نبرها واحتفاظها بكلمات شعبية متجذرة وخلوها من المصطلحات الغربية اللهم إذا استثنينا أسماء بعض الأماكن التي تحمل مسميات بربرية أو رومانية ، وذلك رغم تعرضها للاستعمار الفرنسي ، وبلوغ عدد من أبنائها مراتب عليا في التعليم ، واحتكاكها بالمناطق التي تأثرت بمظاهر المدنية كاليشير وبرج بوعريريج و الحمادية . وهذا يعود إلى تشبث سكان منطقة القصور باللهجة المحلية واعتزازهم بها .

إن الإنسان الشعبي في القصور يخضع لتقاليد وأعراف المجتمع الشعبي ، إذ مايزال الإنسان الشعبي هناك يعيش مع والديه بعد الزواج ويعطي كل ما يجنيه من العمل لوالده لإدارة شؤون البيت ، وإن كان والده غائبا أو متوفًى فتتحول المسؤولية إلى الأخ الأكبر .

ومازالت المرأة القصورية لا تخرج من بيتها دون محرم ، ودون أخذ إذن من زوجها وحماها وحماتها، وإن لم تكن متزوجة فلا تخرج إلا للضرورة بعد أخذ الإذن من والدها وجميع الإخوة الذكور ، ومع ذلك فلها الحرية في رفض الزوج ولكن ليس لها أن تقبل بآخر دون موافقة أهلها . والفتاة القصورية لا ترى في ذلك إهانة لها أو إنقاصا من شأنها؛بل ترى فيه حرمة وعزة وكرامة لها.

ويفضّل الأب القصوري تزويج ابنه الذكر و ابنته الأنثى في سنّ مبكرة ،خاصة البنت التي لا ترى في الزواج المبكّر ضررا بل فيه نفع كبير لها ، مادام سيجنّبها الشجار مع زوجة الأخ و يمكّنها من التعوّد منذ الصغر على البيت الجديد وتربية أبنائها وهي في أوج عطائها .

ويبلغ سن عنوسة الفتاة في القصور العشرين سنة ممن انقطعن عن الدراسة و الخامسة والعشرين ممن أنهين دراستهن ، وهم لا يسمحون للفتاة إتمام الدراسات الثانوية و الجامعية إلا نادرا ، واللائي يسمح لهنّ مواصلة الدراسة ليس لأجل العمل ، بل لأجل تحقيق الذات والتفقّه في أمور الدين والحياة ، فإذا وجدت امرأة عاملة في قرى القصور ، فهي ليست من المنطقة .وهم لا ينظرون إلى المرأة العامل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نظرة الاحتقار والازدراء ، بل نظرة التوقير والاحترام شرط ألاّ تحاول تحريض نساءهم على العمل.

والمرأة القصورية لا تتزعج في هذه أيضا ،مادام فيه حفظ لها وامتثال لأوامر دينها الحنيف .

وكون بعض سكان القصور فلاحين لا يعني أنهم أميّون ،بل إن الكثير من هؤلاء الفلاحين هم حفظة قرآن تلقوه من الزوايا القرآنية المنتشرة هناك كزاوية الشيخ مليك والمدرسة القرآنية **سيد علي الطيار**، أو على الأقل يحسنون القراءة والكتابة ، وهذا الأمر طبعا لم يكن لينسحب على النساء أما الآن؛فهناك من النساء من يترددن على المساجد لمحو أميتهن.

وغلبة الطابع الفلاحي على المنطقة لا يعني اعتماد سكانها المطلق على الفلاحة ، فمنهم الطبيب والمهندس ، والنائب البرلماني ، والأستاذ ، والمعلم ، والباحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 – ظروف جمع المدونة وكيفية دراستها :

قد يقول البعض أن النزول إلى الميدان هو أول مراحل جمع المدونة ، والواقع أن النزول إلى الميدان ما هو إلا مرحلة لاحقة من مراحل واستعدادات سابقة مهمة جدا ، وهي استعدادات عملية وأخرى علمية نفسية .

أ-استعدادات عملية :قصد تسهيل جمع المادة بدأت بوضع بطاقتين سجلت في الأولى أهم النقاط والأسئلة التي ستوجه إلى الإنسان الشعبي في منطقة البحث .هذه الأسئلة كانت حول تاريخ منطقة" القصور " وعاداتها وتقاليدها .

أما البطاقة الثانية ،فكانت موجهة إلى الرواة ، تعمدت أن تحتوي هذه البطاقة على أسئلة غير مباشرة للتمكن من دغدغة ذاكرة الراوي أكثر وبالتالي الحصول على معلومات أوفر ، ولاستحالة تدوين كل ما يروى وبذكر استعنت في كل الحالات بمسجل من نوع ، (م ب4، Mp4)

وفي حالات نادرة لجأت إلى كاميرا لمراقبة ملامح الرواة .

ب-استعدادات علمية ونفسية :

يجب أن يتمتع الباحث الميداني باستعداد خاص لبذل مجهود مضاعف عن غيره من الباحثين في الفروع الأدبية الأخرى ،فإن كانت مهمة باحث آخر هي دراسة متن أدبي وفق منهج معين ، فإن الباحث الميداني عليه البحث عن هذه المادة الخام وجمعها من أصحابها أولا ، ثم دراستها ثانيا.

فضلا عن هذا عليه أن يكون مطلعا على الحد الأدنى من المعلومات من العلوم المجاورة ، فبجانب الفلكلور و الأنثروبولوجيا ، هناك علم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا واللسانيات " كما يجب أن يروّض نفسه على تقبل كل أنواع الأطعمة أو المشروبات التي تقدم له وتحمّل الاستمرار عدة أيام دون نوم أحيانا ، بلا شكوى أو ضجر "[1] ويجب أن يكون عارفا بخصوصيات مجتمع البحث ، حتى يتجنب الوقوع في عديد المشكلات كالتي تعرضت لها نتيجة عدم معرفتي الجيدة لمجتمع البحث ، فعندما قصدت ميدان البحث لأول مرة يوم السابع من فيفري 2008 رفقة والدي لم

---

[1] أحمد علي مرسي : مقدمة في الفلكلور ،دار روتابرينت للطباعة، ط 2، 1995 ، ص 141.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعرف إلى أين نتجه ؟ ومن نقصد ؟ فطرقنا أبوابا عديدة عشوائيا ورفض أصحابها مساعدتنا عندما عرفوا الغرض الذي جئنا لأجله .

فأدركت أنّ البحث يجب ألا يكون عشوائيا ،بل يجب أن يكون مقصودا وموجها ،فسألت حتى عثرت على من دلّني على قريب له في منطقة البحث يدعى "إبراهيم بوجير " . و لكن عندما قصدت منزل العم "بوجير "لأول مرة رفض استقبالي رفضا قاطعا ،لأنه هو وغيره من سكان المنطقة لا يستضيفون أبدا فتاة بلا محرم ،فلم أكن أذهب إلى منطقة البحث دون محرم إلى أن تمكنت من معرفة السمات العامة التي تميز مجتمع البحث ، فأقمت علاقات طيبة مع أفرادها ، فتعود مجتمع البحث عليّ واحترم مهمتي ، وصاروا يستقبلونني بصدر رحب ويمتعون سمعي بأحلى الحكايات والأحاجي والأمثال والأغنيات .

ومن المصاعب التي يواجهها الباحث الميداني هو التعريف بطبيعة عمله ومهمته، فأذكر أني عندما ذهبت رفقة أخ لي إلى منطقة البحث شككوا في طبيعة عملنا ، عندما طلبت من أحد الصبية مرافقتي إلى بيت جده الراوي اتهمونا بخطف الأطفال ووجدنا صعوبة كبيرة في التعريف بمهمتنا وعندما ذهبنا إلى بيت الراوي استقبلتنا زوجته استقبالا رائعا فأخذت بيدي ، وراحت تحوب بي في أرجاء المنزل واصفة الوضعية المزرية التي تعيشها و لم يختلف عنها زوجها ، بل دعم رأي زوجته وراحا يصفان واقعهما الاجتماعي المزري ، وأخذا يقبلان يدي ،ويتوسلان لي قصد تحسين ظروفهما اعتقادا منهما أنني أنتمي إلى اللجنة المكلفة بتوزيع السكنات .

والذي أقصده بسرد هذا الموقف إنما التأكيد على صعوبة العمل الميداني والتنبيه إلى شيء مهم وهو أن العمل الميداني لأجل جمع مادة الأدب الشعبي لا يخضع أبدا للنمذجه والاختزال ، فالباحثون معرضون دوما للمفاجآت والاحتمالات التي لا يمكن تصورها سلفا ،ففي كل مرة يتوجه الباحث الميداني لاستكمال عمله في الجمع يجد نفسه في وضعية مختلفة وأمام ظروف جديدة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- المعاينة الميدانية المباشرة :

إن المعاينة الميدانية المباشرة للمأثورات الشفاهية في سياقاتها الاجتماعية والثقافية هي الشرط الرئيس لنجاح الباحث الفولكلوري ، فالباحث الميداني لا يتوجه مباشرة إلى راوي شعبي ويطلب منه حكاية شعبية ، ثم ينتظر من هذا الراوي أن يحقق مطلبه ، فإن هذا لا يتم له إلا إذا تمكن من نفوس وقلوب الرواة " وهذا لن يتم له إلا بعد أن يعيش الجامع الميداني مع أفراد المجتمع ، ويراقب سلوكهم وأفعالهم وردودهم مع تسجيل ملاحظاته حول كل ما يسمع ويروى ورصدها ، ويتتبع عملية الرواية كما يتتبع الحياة الشعبية ليستمد منهم المادة التي يسعى وراءها في جـــو طبيعي للغاية ."[1]

فأن يقبل راو أو جماعة من الناس طلب باحث بالتسجيل أو أن يتقبلوا طبيعة مهمته ؛يتطلب الكثير من شروط الفهم والتهيئة والمعرفة بطبيعة وسلوكيات الأفراد قبل المجتمع.

جـــ المقابلة المباشرة :

إن المقابلة المباشرة تمكن الباحث من أخذ المادة الخام من أفواه أصحابها دون تزييف وتمنحه فرصة تسجيل ملاحظات تتعلق بانفعال الراوي مع الأحداث ،ومعرفة ما إذا كان هذا التفاعل ناتج عن ربط أحداث الحكاية بظروفه الشخصية أم إنه ناتج عن انخراطه في عوالم النص .

"فليس الغرض أن يجلس الباحث الجامع إلى الراوي ويأخذ منه أكبر قدر ممكن من المادة التي يرغب في جمعها ،بل يجب على الجامع أن يكتشف العالم الداخلي للفرد الشعبي و يستكشف مشاعره وحكمه على الأشياء .

وحتى يتمكن الباحث من هذا عليه أن يتحلى بمجموعة من الآداب كعدم مقاطعة الراوي أثناء الحكي كالاستفسار عن معاني الكلمات لأن هذا سيُخرج الراوي من العالم الذي رسمه في ذهنه.

---

[1] نبيلة ابراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ،دار المحامي للطباعة ، دون طبعة ،دون سنة نشر، القاهرة ، ص 334

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو يستوقفه لأن جهازه تعطل عن التسجيل ،أو أن يظهر له انزعاجه عندما يشرع الراوي في سرد حياته وربطها بأحداث القصة ،أو عندما يروى له أشكالا تعبيرية أخرى غير الشكل التعبيري الذي يريده، أو يفرض عليه نوع القصة بما يتلاءم مع بحثه ،أو أن يفرض عليه التسجيل أو التقاط صور له ،فقد حدث أن رفض معظم الرواة خاصة منهم النساء التسجيل فاحترمتُ رغبتهم تلك وكنت أسرع في كتابة ما تسنّى لي من أحداث القصة كلّما بدأ الراوي بالحكي رغم علمي باستحالة تسجيل كل شيء، فلاحظ الرواة ذاك التشتت بين الاستماع والكتابة فاقترحوا علي المسجل الصوتي لراحتهم وراحتي .

والأهم من كل هذا؛ على الجامع الميداني أن ينظر إلى مجتمع القص على أنهم المستوى الأول من الثقافة وتحسيس الراوي بأنه صاحب المرتبة الأعلى في الثقافة الشعبية .

واعتماد الباحث على المسجل لا يعني أبدا أنه معفى من الإصغاء أو الاهتمام بالراوي ،فكل الرواة يتمتعون بقدر من الملاحظة تمكنهم من ملاحظة عدم انتباهك ،كأن يسألك من دون المتلقين ،"أين توقفنا ؟" أو أن يسألك عن اسم مكان أو اسم شخص جاء ذكره سابقا مرة واحدة ، فإن لم تجب فلا تحلم بمجالسته مرة أخرى ، وهذا النوع من الأسئلة يعمد إليه الرواة لشد انتباه المتلقين .

ومن هنا يظهر طرف آخر يجب مراعاته أثناء الجمع وهو "المتلقي " لما له من دور في تحفيز الراوي على التذكر أو الإبداع في التقديم بتوظيف الكثير من المهارات الفنية واللغوية .

"ومن ثم تصبح البيئة المثالية للتسجيل هي تلك التي تتوافر فيها الأطراف الأساسية التي لا يكتمل مجتمع الرواية الشعبية إلا بها ونعني بذلك (الراوي) والجمهور" [1].

ومع الأسف هذا الطرف (أي المتلقي) كثيرا ما يهمَل من طرف جامعي الحكايات الشعبية.

---

[1] أحمد علي مرسي ، مرجع سابق ، ص 152 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كأن يتم التسجيل في كثير من الأحيان بين الراوي والجامع فقط ،أو أن يوكل الجامع مهمة التسجيل لشخص آخر ، مما يفقد عملية الجمع حيويتها التي تكون بوجود المتلقين.

" إن الأدب الشعبي يعيش في حياة الناس وبينهم لا على الورق ،وعندما ندوّنه على عجل دون أن تكون لدينا الوسائل التي نصوره من خلالها بطريقة نابضة بالحياة في الجو الذي يعيش فيه ويزدهر، فالذي لا شك فيه أننا نجمع شظايا وكسرا مشوهة ، وأجزاء مبتورة منه. "[1]

ولا ينتهي عمل الباحث الميداني عند ضبط النصوص الشفاهية المجموعة وفق اللهجة التي أُدِّيت بها، لكن من المهم كذلك أن يقوم قدر الإمكان بتدوين مجموعة العلامات الحركية والصوتية الصادرة عن الراوي أثناء أدائه ، وأن يقوم كذلك بتدوين تلك الإيحاءات الحركية والعلامات الصوتية ، والتعليقات التي تصدر عن الجمهور ، فهي لا تقل أهمية عن المادة نفسها ، لأنها تضيء جوانب لها أهميتها في السياق .

في المنهج :

بعد الذي تقدّم ؛يتضح أن الحكاية الشعبية بوصفها نصّا شفويا "هي نسيج ليس لكلمات أو جمل فقط ، كما هو الحال في الحكاية المكتوبة ، وإنما هي نسيج " للكلام والصمت والنظرة ، الحركة والإشارة تتشابك فيها اللغة بهمهمات الراوي ، وتقاسيم وجهه. "[2]

وبهذا تفرض الحكاية الشعبية الشفوية تفردها وتميزها لأنه لا يمكن فصلها عمن يحكيها ويتلقاها ، فهي الراوي والمحكي والمحكي له في الآن نفسه .

وبهذا فإن نص الحكاية الشعبية عصيٌّ جدّا عن القبض لأنّه "عنصر متحرك إنه في سيرورة مستمرة ولانهائية ، لا تستقر على حال ، ولا سبيل إلى ضبطه إلا بتحويله إلى نص مكتوب" [3].

---

[1] أحمد علي مرسي ، مرجع سابق ،ص 152.

[2] محمد جويلي : انثروبولوجية الحكاية -دراسة انتروبولوجية في حكايات شعبية تونسية،تقديم توفيق بكار ،مطبعة تونس قرطاج ، تونس ،2002 ، ص 63 .

[3] المرجع نفسه ، ص 64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رغم أن تحويل الشفوي إلى مكتوب هو إهانة واعتداء عليه " فهذا الاعتداء الذي يمارس على الشفوي بتحويله إلى مكتوب ،هو أشبه ما يكون بالاعتداء الذي يمكن أن يمارس ضد عصفور طليق يقبض عليه ، ليوضع في قفص "[1].

وإذا كان ضبط وقبض نص الحكاية الشعبية متعبا ، فإن تحليلها هو أكثر صعوبة وهي الصعوبة التي واجهها دارسوا الأدب الشعبي العربي ، فلم يجدوا سبيلا لدراستها سوى إخضاع الحكاية الشعبية للنموذج المورفولوجي لبروب ، كما فعل مصطفى بعلي في كتابه:" القصص الشعبية بالمغرب دراسة مورفولوجية " وعبد الحميد بورايو في كتابه: " القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية "

صحيح أنه من المفيد أن نعرف الوظائف التي وصل إليها" بروب " بعد جهد كبير ،كما أنه يجب ألا نتناسى ما أنجزه الشكلانيون ، وهو إنجاز مهم جدا " كالفائدة التي تحصل من معرفة مكونات الأجساد البشرية على اختلاف أصحابها ، وفهم وظائف أعضائها وميكانيزماتها ما ظهر منها وما تخفى غير أن هذه المعرفة ليست كافية للتوصل إلى فهم جوهر الحكاية :" إن حدود الشكلانية وهي تدرس الحكاية الشعبية كحدود الفيزيولوجيا ، وهي تدرس الإنسان كلاهما يقدم خدمة جليلة للعلم دون أن تمكن من معرفة جوهر موضوعه ، والسيطرة عليه "[2].

فالوظائف التي تؤديها الحكاية الشعبية في حياة مبدعها ورواتها ومتلقيها ، هي وظائف لا نهائية ولا يمكن حصرها ،لأنها مصب اهتمام الإنسان وقضاياه ومعتقداته وسلوكاته وهمومه ومواقفه فهي الثراء والتعدد ، بحيث يستعصى على أي تنميط وضبط أو حصر في أنظمة ووظائف جاهزة.

وقد اخترنا من هذا الثراء ملامح من الحياة الاجتماعية الواسعة ،فركزنا على الفئات الاجتماعية و علاقاتها فيما بينها ،وجانب العادات والمعتقدات .

فكان عنوان المذكرة ، الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 64 .

[2] المرجع نفسه ، ص 37.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الأول :

حركة الحكاية الشعبية في مجتمع القص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول :

انتشار الحكاية الشعبية في مجتمع القص.

- تمهيد.

1- الرواة .

2- مناسبات الحكي .

3- استجابة الناس للحكاية الشعبية .

4-طبيعة و خصائص الحكاية الشعبية القصورية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجتمع القص :

ساعدت بساطة العيش في القصور بشكل ملفت على احتفاظ سكانها بجوانب مهمة من الثقافة الشعبية بشقيها ؛ المادي و المعنوي .

1/ الجانب المادي :

وهو إبداعات الشعب و مهاراته الفنية من صناعات تقليدية و حرف يدوية و عادات وتقاليد وطب و طبخ ورقص وألعاب شعبية ...

- فمازالت منطقة القصور تحيي الكثير من العادات القديمة كعادة "شاو الربيع " وعادة " يناير" و " سبوع الطفل " وإقامة "وعدة" ، أو " زردة " لولي صالح بعد قضاء حاجتهم ، فيذبحون القرابين أمام المقامات ويطهون لحومها ويقومون بتوزيعها على الفقراء والمساكين .

- ومازالت المرأة القصورية تتفنن وتجتهد في انتقاء الصوف وغسله وغزله ، ثم العمل على نسجه وتزيينه بألوان زاهية ، فتكون النتيجة إما حولي أبيض أو أحمر ، وهي أغطية صوفية أو ألبسة تقليدية " كالقشابية " و " البرنوس " " الذّين يعتز الرجل القصوري بارتدائهما ، في حين تعتز المرأة القصورية بارتداء " البنوار " داخل مترلها ، و " الحائك " أو الحجاب و "العجار" خارجه.

- ومازال الإنسان الشعبي القصوري يتداوي بالطب الشعبي بنوعيه :

أ- الطب المادي :

وهو الطب الذي يعتمد على الأعشاب للتداوي ، فيستعمل الإنسان الشعبي القصوري **الزعتر** للزكام ، **والجعدة والشيح والنعناع الكمون** لآلام البطن ، **والحبة السوداء وعلك الصنوبر والبصل** للسعال ، **والحلبة** لمعالجة القلق ...

ب-العلاج الروحي :

بالسحر والشعوذة ،أو بالرقية الشرعية .

أما الطبخ الشعبي ؛ فمازالت المائدة القصورية تتزين بأكلات شعبية كالكسكس و "العيش" و " الروينة " التي لها مكانة خاصة تظهر عند إقامة " الوعدات و الزردات "، وفي المناسبات الدينية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2/الجانب المعنوي :

و نقصد به الثقافة الفكرية و هي تساوي الأدب الشعبي و يطال هذا النوع من الثقافة الإبداعات والفنون القولية للشعب ،سواء كانت مدونة أو غير مدونة مثل : الشعر الشعبي و الغناء الشعبي والأمثال والألغاز الشعبية و الحكاية الشعبية...إلخ

أ- الشعر الشعبي :

عندما تنزل إلى منطقة القصور تجد سكانها يتغنون كثيرا بشعر " محمد علون " وقد ذهبت إلى مترله عدة مرات و سجلت عنه بعض القصائد اخترت منها مقطعا من قصيدة " سيد علي الطيار " التي يقول فيها :

أهلا بكم ياضيـــــوف أهلا بيكم هنا موجـــود
تلقينا على طاعـــة ربي ربي بلغ المقصـــــــــود
جاو الرجـــال الفنتازية الي يضربو البـــــــارود
و الي جانـــا بالنيـــــة الشيئ الي يطلبوا موجود
هذا عرســـه الـــسعيد فرح و نفرحوا معـــــــاه
عيطلهم من بعيـــــد و العبد اكل راهـــوجـــاه
يندە لسيد علي الطيار هو الي قدره عـــــــــلاه
هذا تاريخ راهو خدمه واحنا رانا عاونـــــــــاه
خدمه للجيل القـــادم هو لي راهـــو يلقـــــــاه. [1]

و هذه القصيدة تجسد كرم سكان المنطقة و إيمانهم بالأولياء الصالحين .

ب- الغناء الشعبي: يردد سكان المنطقة أغاني شعبية كثيرة في مناسبات الأفراح من بين هذه الأغاني الشعبية :

لا إله الله و الفَـــــرح واتانـــــــا لْجْميع مْن جانا جانا و هنـــًـــانَا
حَلْحلو* الحنة في طُبسي** الفَخَّـــار حلحلُو الحنّة في طبسي الفـــخـــار

---

[1] محمد علون : شاعر شعبي ، من مواليد 1916، يوم 15مارس 2008 ،بمقر مترله بتازرورت ،بلدية القصور.

* أخلطوا .

** صحن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حَلْحلُو الحَنَّة للعريِّس هـــــــو و جميع مْن فـــي الـــــــــدَّار
حلحلُو الحناء في طبسي الزجاج حلحلو الحناء في طبسي الزجاج
حلحلو للعريس في ليلة الزواج حلحلو للعريس في ليلة الـــزواج.

- أما الألغاز فمازالت تعتبر في منطقة " القصور" وسيلة لاختبار الذكاء وتنميته ، فهو مشكل لغوي يقوم على التلاعب اللفظي ،"أو هو بوجه عام مخالفة اللفظ للمعنى"[1] ويكون إيجاد المعنى الحقيقي هو الحل . ومازالت **الأمثال** تزيّن الأحاديث لتدل على حكمة وسداد رأي قائليها .

-أما **الحكاية الشعبية** فهي أكثر أشكال التعبير بروزا في ثقافة المجتمع الشعبي القصوري ، والفضل في ذلك يعود إلى طبيعة المجتمع الشعبي المحافظ الذي يمنع الأطفال والنساء من مشاهدة معظم البرامج التلفزيونية عبر القناة التلفزيونية الجزائرية ماعدا الإخبارية والدينية منها ، فهو بذلك يرفض أن يحل شيء دخيل محلّ حكاياته الشعبية التي غالبا ما تكون طويلة مستوحاة من الواقع ، وتؤدي أكثر من وظيفة ...

فيكون الحكي أو القص عندهم بمثابة وسيلة تربوية تحمي تراث الأجداد خاصة الشفاهي منه من الزوال عن طريق ترسيخه بين أفراد كلّ أسرة ،و بالتالي المحافظة على الهوية الجماعية و يشترك في أداء هذه المهمة الأب والأم على السواء .

فنمط العيش التقليدي البسيط الذي يسود العائلات والأسر القصورية حاليا هو الذي يشجع أفراد المجتمع على التمسك بالقصص الشعبي عموما و بالحكاية الشعبية خصوصا ، فصحيح أن المجتمع القصوري استفاد منذ زمن ببعض الوسائل الحديثة مثل الكهرباء ، إلا أنه مايزال يحب السماع للحكايات الشعبية لأنّ حياتها البسيطة قريبة إلى حياته وواقعه المعاش على عكس ما يشاهده في التلفاز ، إذ أن عالمه بعيد كل البعد عن عالم الإنسان الشعبي القصوري وعن عاداته وتصوراته ومعتقداته...

من هنا نفهم أن الإنسان الشعبي "القصوري" لا يحبذ مشاهدة التلفاز كثيرا لا لأنه منغلق عن العالم الخارجي ، بل لأنه يفضل أن يسمع شيئا قديما يعبّر عن تصوراته على أن يشاهد عملا

---

[1] عبد الملك مرتاض :الألغاز الشعبية الجزائرية –دراسة في ألغاز الغرب الجزائري-،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982،ص 17.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاصرا لا يعبر عن واقعه وتصوراته . وربما هذا ما يفسر انتشار الحكايات الشعبية في القرى وزوالها من المدينة .

وبهذا فالحكاية الشعبية هي زاد كل البيوت القصورية ، فمازال الأطفال يطلبون بإلحاح كلّ ليلة من الكبار سرد الحكايات قبل النوم ولا يترعج الكبار أبدا من ذلك ، لأنهم يعتبرونها رسالة تراثية ورثوها عن الجيل السابق وبالتالي يجب الحفاظ عليها .

أما الشاب القصوري المتعلم فنادرا ما يطلب سماعها لأن طموحاته ونظرته للحياة البسيطة تغيرت بعد احتكاكه بالعالم الخارجي ، ولكنه مع ذلك يحترم كثيرا الحكايات الشعبية لأنها جزء من التراث .

هذا عن انتشار الحكايات الشعبية في العائلة أي داخل البيوت ، لكن الأمر يختلف خارجها إذ يؤثر الإنسان الشعبي –خارج البيت- الحديث في أمور السياسة والأسواق وأحوال الناس ومحاولة إيجاد حلول للمشاكل العالقة على سرد الحكايات الشعبية التي تأخذ وقتا لعرض أحداثها اللهم إذا التصقت هذه الحكايات بالحديث التصاقا للإسشهاد أو التهكم .

ومجتمع القص لم يعد يسرد الحكايات خارج البيت ليس لأنه لم يعد يتقبلها، بل لأنه ثمة أمور أهم يجب التحدث فيها.

ويتم تداول وتبادل الحكايات الشعبية في القصور عند الالتقاء في حفلات الأعراس، وأمام مقامات الأولياء عندما يشرع راوٍ في سرد حكاية سمعها في منطقة معينة ويشرع آخر في سرد حكاية أخرى سمعها في منطقة أخرى ، وربما يشرع آخر في سرد نفس الحكاية ولكن بطريقة مختلفة في الشكل والمضمون .

ولهذا نقول أن بيئة الحكاية الشعبية البسيطة تساعد بشكل كبير على انتشار الحكاية الشعبية ، إضافة إلى عوامل أخرى تتمثل في : 1 - الرواة ، 2- مناسبات القص ،3- استجابة الناس للحكي ، 4- خصائص و طبيعة الحكاية الشعبية نفسها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- الرواة :

مما لا شك فيه أن المادة الشعبية الشفوية تنمو بشكل عفوي و تنتقل من شخص لآخر و من جيل إلى جيل آخر تلقائيا ، و الفضل في ذلك يعود إلى حملة تراث و رواة مهرة صانوها من النسيان ، فلولاهم لغدا مصير الكثير من المواد الشعبية الشفوية الزوال و الاندثار .

إن واقع العمل الميداني أثناء جمع المادة الشعبية أثبت أن الرواة تتفاوت قدراتهم على الرواية ، ذلك أن الرواية و السرد تحتاج إلى موهبة لا يمتلكها أي شخص" فسيستطيع الجميع أن يسرد قصصا مما سمعه ، غير أن هناك أفراد يتمتعون باستعداد خاص " [1] ، وقدرات تشد المستمعين إليهم دون غيرهم ، فتلعب طريقة السرد ، والتحكم في نبرات الصوت من خفض ورفع ، ومشاركة المستمعين ، والقدرة على تصوير المشاهد ، والجرأة في الكلام ، والثقة بالنفس والقدرة على الإلقاء وامتلاك قدرة جسمانية عالية تمكن الراوي من البقاء ساعات طويلة ، وهو يحكي ويحكي ،والإشارة بالأيدي وتغيير ملامح الوجه ، وإماءات الرأس ، وتطويع اللغة وفقا لسن وجنس ومستوى المستمعين ، وطريقة تقديم الشخصيات ، والتركيز على تفاصيل الأحداث المهمة؛ دورا في شد اهتمام المستمعين ، ومساعدتهم على الحفظ .

" فالراوي ليس هو من يبدع أجمل الحكايات ، ولكنه من يتقن طريقة توصيلها إلى المستمعين ."[2]

وهناك ميزة أثارت اندهاش الذين يعتمدون على القراءة والكتابة لأجل الحفظ ، وهذه الميزة هي : "الذاكرة " ذلك أنها تمكن الراوي أولا من أن يحفظ الكثير من الأشكال والأنواع ، وتجعله ثانيا قادرا على الإحتفاظ بها لمدة طويلة "[3].

---

[1] عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة – دراسة ميدانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص34 .

[2] حسين غراء مهنا : أدب الحكاية الشعبية ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1997، ص 21.

[3] أحمد علي مرسي ، مرجع سابق ، ص 117 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهناك ميزة ملازمة للذاكرة ولا تقل أهمية عنها وهي : الأمانة التي يراها كثير من الدارسين من المزايا النبيلة التي يجب أن يلتزم بها الرواة بوصفهم مسؤولين على سلامة القصص التي يؤدونها والتي ورثوها على الأجداد ، فلا يحق للرواة تغيير نصوص الحكايات أبدا سواء بالزيادة أو الحذف.

في حين يرى بعض آخر "أن الأمانة ليست علامة على التفوق و الامتياز في حد ذاتها ، ذلك أنّ هؤلاء الذين يتمسكون حرفيا بتراث الأجيال السابقة هم في الغالب رواة ضعاف ليسوا مبدعين على الإطلاق وهم الذين يسميهم فنلسكي وسيدوف بحاملي التراث"[1]

فتتحول بهذا الأمانة من ميزة إلى عيب بدعوى عجز الرواة الذين اشتهروا بأمانتهم في الرواية عن الإبداع والخلق .

ولكن إذا حكم بعض الدارسين لصالح من يسموهم بالمجددين والمبدعين ، فعليهم أن يضعوا في الحسبان أمرين مهمين :

الأول : التأكد أن التغير الذي يحدثه هؤلاء الرواة (المبدعين) ليس ناتجا عن ضعف " فيحاول الراوي أن يعوض النقص بعناصر جديدة لكنه كثيرا ما يفشل " [2]،بل هو ناتج عن استجابة الراوي لتغيرات المجتمع ورغبة في الإبداع .

الأمر الثاني : " هنالك حملة للتراث يتقنون أصول قواعد الرواية التي أخذوها عن شيوخهم اتقانا جيدا عارفين معرفة جيدة بأسرارها ، وهم ينفرون من التجديد ، لكنهم يحرصون على ما كان يوما من الأيام جديدا ، وزادت التجربة من تنميق فنه ، فيبعثون في مستمعيهم إحساسا بأصالة الأداء ، ومعرفة أسرار الصنعة "[3]

فمن الظلم في هذه الحالة أن نتهم هؤلاء (أي المحافظون على النص الأصلي) بالضعف والعجز عن الإبداع .

---

(1) المرجع نفسه، ص 118 .

(2) عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطلة الضحية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1998،ص8 .

(3) المرجع نفسه ، ص 09.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فينتهي الباحث إلى عدم معرفة ما إن كان قد أخذ عن رواة يستحقون الاهتمام أو لا ، فاقترح" أحمد على مرسي" مقياس « موفق الراوي من التراث » للحكم لصالح هذا أو ذاك ، فقال :"إن المهم ليس هو موضوع الأمانة ، أو عدم الأمانة ، لكن المهم في الحقيقة هو موقف (الراوي) هل ينظر للمواد التي يمتلكها على أنها تراث جدير بالاحترام ، أم ينظرون إليها على أنها مواد يمكن التصرف فيها ، أو زخرفتها " .[1]

وللفصل في هذا الأمر نقول : إن كلا من الأمانة والإبداع ضروريان لأجل بقاء النص الشعبي عموما والنص القصصي خصوصا ، على أن تكون الأمانة بعدم تغيير المضمون و جوهر الحكاية الشعبية ،وأن يكون الإبداع في الأداء ، وطريقة العرض ، وإن كان هناك تغير في المضمون فلا يجب أن يكون ناتجا عن ضعف ذاكرة الراوي ، بل وإن حدث ، يجب أن يكون دون قصد منه ، واستجابة عفوية لتغيرات المجتمع فالراوي الجيد ، من يحافظ على جوهر الحكاية ، ويمتلك موهبة تميزه عن غيره بتوظيفه للغة شاعرية تضع المستمع في قلب أحداث الحكاية ، ويدرك أن هناك جملا لها فاعلية خاصة ، ومن ثم ينبغي أن تقال بطريقة معينة تروق للمستمعين [2]، فلا يتردد أبدا في توظيف كل المهارات اللغوية والفنية لأجل شد المتلقين .

وهذه المهارات في الحقيقة ؛ هي إشارات وعلامات دالة على وجود الراوي لكن خارج النص ، أما العلامات الدالة على وجود الراوي في النص فهي محدودة وقليلة جدا ، من بينها " وجود الأنا في النص " ولكن يجب التمييز بين " الأنا " التي تخص شخصية من الشخصيات و " أنا " الراوي فلو تأملنا هذا المقطع المأخوذ من حكاية " الناعس والبخيل " : « قال لها : والله ما نتحرك ما نكسرلك الحطب ، كسول مسكين مش ،كما أنا لقيتوني نحش في الحشيش » لعرفنا أن العبارة الأولى : هي مقولة الناعس على لسان الراوي ، وأن العبارة الثانية هي ما قاله الراوي عن نفسه .

---

(1) أحمد علي مرسي ، مرجع سابق ، ص 119.

(2) ينظر غراء حسين مهنا ، مرجع سابق ، ص 25 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن هنا نقول أن الراوي يقوم بمجموعة من الوظائف نجملها فيما يلي :

1- **وظيفة السرد و الحكي** : وهي بديهية إذ أن أول أسباب تواجد الراوي؛ سرده للحكاية .

2- **وظيفة تنسيق** :فالراوي يأخذ على عاتقه التنظيم الداخلي لأحداث الحكاية ، (تذكير بأحداث سابقة وربطها بأحداث لاحقة).

3- وظيفة إبلاغ : وتتجلى في إبلاغ رسالة للمتلقي سواء كانت تلك الرسالة الحكاية نفسها ، أومغزى أخلاقي أو إنساني كما في الحكاية الواردة على لسان الحيوان كحكاية الذئب والقنفذ ، و" سي محمد " .-

4- وظيفة إنتباهية : وهذه الوظيفة يقوم بها الراوي لاختبار وجود الاتصال بينه وبين المتلقي موظفا بعض المهارات الفنية واللغوية (كتغيير نبرة الصوت) .

5- **وظيفة تعليقية** : وتتجلى هذه الوظيفة في معظم الحكايات الشعبية ، عندما يبدي الراوي رأيه تجاه حدث ، فكثيرا ما يتكرر قول الراوي أثناء سرد الحكاية « كان واحد الفقير مسكين» ، أو أن يقول « كان واحد السلطان ، وما هو السلطان غير الله » .

6- وظيفة إفهامية أو تأثيرية :

وتتمثل في شرح بعض الكلمات المستعصية ، ومحاولة دمج المتلقي في عام الحكاية الشعبية بكل السبل. [1]

ولا يحدث التفاوت بين الرواة من حيث الموهبة والمهارات الفنية واللغوية فقط ؛ بل يتفاوتون أيضا "من حيث كمية القصص التي يحفظونها ، ومن حيث نوعيتها ، فهناك من تغلب على حصيلته القصص ذو الطابع الخرافي ، وهناك من تحتفظ ذاكرته بالكثير من القصص ذي الطابع الاجتماعي والواقعي والخالي من الخوارق ، وهناك من يمثل موضوع ذكاء الشخوص ودهائهم وحياتهم مادة غالبة على مروياته. " [2]

---

[1] ينظر سمير المرزوقي ، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة -تحليلا وتطبيقا- ، الدار التونسية للنشر ،ص108-110.

[2] عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية ، مرجع سابق ، ص 08 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و يصنّف "عبد الحميد بورايو" الرواة في الجزائر إلى رواة محترفين و رواة غير محترفين ،و المقصود بالاحتراف هو اتخاذ الرواية كمهنة معترف بها اجتماعيا في القطر الجزائري منذ قرون مضت ، فمن الرواة المحترفين من كان متخصصا في رواية قصص البطولة البدوية مثل السيرة الهلالية و سيرة عنترة ، وكان هؤلاء الرواة يفدون إلى القرى و التجمعات السكانية في ليالي الصيف و يتخذون من الأماكن العامة محلا للأداء.

أما الرواة غير المحترفين فهم لا يحترفون الرواية بالمعنى المذكور سابقا لكنهم يتمتعون بقدرات ومواهب تماثل التي يتمتع بها الرواة المحترفون و قد تفوقها ، إذ غالبا ما يكون الراوي غير المحترف هو المعلم الذي أخذ منه الرواة المحترفون ، و يشترك الراوي المحترف و الراوي غير المحترف الناشئان في أن كليهما نشأت بذور قدراتهما على الرواية في الأسرة و الحي. [1]

و قد اختفى الرواة المحترفون من منطقة البحث منذ ما يزيد عن جيل من الزمن ، و لم يظهر جيل جديد منهم ، ولكن الذاكرة الشعبية القصورية مازالت تحتفظ بأولئك المداحين الذين كانوا يأتون من مناطق مختلفة من الوطن ، ويذكر مجتمع البحث أن هؤلاء الرواة كانت تتراوح أعمارهم بين الأربعين و الستين سنة و يرتدون زيا تقليديا مكونا من سروال عرب و فوقه " قشابية " أو "برنوس عرب " إذا كان الفصل شتاءا ،أو قندورة إذا كان الفصل صيفا ، و قد ترافقهم آلات الناي التي تتفاعل نغماتها مع أحداث القصة للتأثير في المتلقين "و إن تأكد الراوي أنه تمكن من المستمعين و أدخلهم عالم القصة ، و شعر بتجاوبهم يأبى أن يكمل القصة و يجعل مساعديه يعزفون قطعة موسيقية ، ويقوم صاحب الدف بالضرب عليه ثم يدور حول المتلقين ليجمع المال. "[2]

وغالبا ما يفعل الرواة ذلك عندما تكون أحداث القصة في غاية التعقيد و التأزم فيلحظ في وجوه المتلقين اللهفة و الشوق لمعرفة النهاية ، فلا يجد المتلقي مخرجا سوى الدفع لاسترضاء الراوي.

و هذا الجيل كما ذكرنا اختفى و لم يظهر مثله جيل آخر .

---

(1) ينظر عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي بمنطقة بسكرة ، مرجع سابق ، ص 41.

(2) نبيلة بلعبدي : الحكاية الشعبية بمنطقة الشلف ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ،جامعة الجزائر ،2001/2000 ص59.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الرواة غير المحترفين فهم المنتشرون في المنطقة ،و هم الذين التقينا بهم و أخذنا عنهم نصوص الحكايات .

التعريف بأهم رواة لمنطقة :

- احمد قويني :

راوي شعبي مجيد جدا و هو أشهر رواة المنطقة و أفضلهم –لولا المرض –ذو خبرة طويلة في الرواية ، يبلغ من العمر خمسة وتسعين سنة ، لا يجيد الكتابة و القراءة ، تعلم فن الرواية انطلاقا من احتكاكه برواة سابقين من المنطقة ، أو من خلال التقائه برواة هواة في أسفاره و تنقلاته الكثيرة ، يتمتع بذاكرة قوية و هدوء كبير أثناء عرضه للأحداث ، ولا يتفاعل إلا نادرا مع الأحداث نظرا لوضعه الصحي المتدهور فيلجأ إلى التكرار حرصا على تلقين المتلقي كل التفاصيل المتعلقة بالوقائع و الشخصيات .

المميز في هذا الراوي أن هدوءه الجميل ملفت يشد اهتمام المتلقين ،تتميز حكاياته بالطول والتأكيد على إبراز بطولات البطل الملحمي ، أخذنا عنه سبع حكايات و هي :1- صغرونة ،2- محمد بن السلطان ،3- الطير بو ريشة ،4-نصف عبد ،5-ابن عمير 6- رداح المصونة ،7- الثئران الثلاثة .

-عبد القادر فطوش :

راوي شعبي ماهر ومجيد جدا ، يبلغ من العمر سبعة وخمسين سنة يجيد الكتابة والقراءة ، ويهوى المطالعة ، يتمتع بشخصية هادئة ورزينة وبذاكرة قوية ونظرة ثاقبة للحياة ، يحرص على أداء الحكايات كما تعلمها وتلقاها ، تأكدنا من ذلك من خلال استماعنا لنفس الحكاية منه مرتين؛ المرة الأولى كانت شتاء السنة الماضية والمرة الثانية كانت شهر فيفري من هذه السنة 2009 م.

يهتم بذكر التفاصيل ووصف كل الشخصيات وصفا دقيقا . كثير التفاعل مع أحداث الحكايات فيعبس عند تأزم أحداث ويتبسم حتى الضحك عند انفراجها .

تتميز بعض حكاياته بالطرافة وعرض المغامرات والتفاؤل . و يعرض بعضها الآخر جوانب من الواقع الاجتماعي ، في حين تجسد أخرى نظرة الإنسان الشعبي الحكيمة للحياة . استقى مادته من مصادر متنوعة يمكن حصرها في :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- احتكاكه برواة سابقين من المنطقة والتقاؤه برواة محترفين و هواة التقى بهم في منطقة القصور أو التقى بهم في أسفاره المختلفة.

2- اطلاعه على بعض المصادر التراثية ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفع وكتاب ألف ليلة وليلة .

أخذنا عنه القدر الأكبر من الحكايات الشعبية منها حكاية :الذئب و القنفد ، سي مديه سي ملحق أخوه ،المنحوس ، هارون الرشيد ، الغني والفقير ، شي ما هو شي ، الطفلة و القط، الغبي،البخيل و الناعس ،فاعل الخير ،حد الزين .

- محمد علون :

راوي مجيد وشاعر مبدع ، له خبرة طويلة في الرواية ونظم الشعر ، يجيد القراءة والكتابة استقى مادته من أجداده ورواة سابقين ،ومن خلال تنقلاته الكثيرة في شرق الجزائر ووسطه .يتميز بنبرة خطابية حادة فرغم كبر سنه 94 سنة إلى أنه ما يزال قوي البنية فصيح اللسان قوي الذاكرة. تركز حكاياته على إبراز كيد المرأة وتقلب الزمان أخذنا عنه ثمان حكايات ، وهي : 1- بوطماية 2- اليتيمات 3- علم النساء ، 4-الصاحب ، 5- ابنة الفقير ، 6- سي علي بو علي ، 7- الثيران الثلاثة ،8-حبحب رمان .

2- مناسبات الحكي :

يلعب اختيار المكان و الزمان دورا مهما في انتشار الحكاية الشعبية و ضمان استمرارها .ويمكن إجمال مناسبات سرد الحكايات الشعبية في منطقة القصور فيما يلي :

2- **1- مناسبات رسمية :** و تكون رواية الحكايات فيها من طرف رواة مهرة في الأسواق ، أو في حفلات الزواج ،و أمام مقامات الأولياء الصالحين، و في المناسبات الدينية ، إذ يختار الراوي حكايات تتلاءم مع المناسبة .

2-2- مناسبات شبه رسمية :

و تكون رواية القصص و الحكايات فيها من طرف رواة غير محترفين عند تجمع أفراد الأسرة والحي عن سابق موعد أو طلب كما يفعل جامعو الأدب الشعبي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-3- مناسبات غير رسمية :

و تكون رواية القصص و الحكايات فيها من طرف رواة غير محترفين أو من طرف أشخاص عاديين لا يمارسون الرواية عادة ،فتأتي عرضا في الحديث و دون قصد و بمحض الصدفة في ثنايا الحديث ، كأن تكون عبارة مثلية يتلفظ بها المتحدث كمثل يدعم به رأيه و ليؤكد ما يسوقه من كلام كأن يقول أحدهم " كي راحت قطعت السلاسل و كي جات شعرة جابتها " فيستفسر أحد الحضور عن معنى هذه العبارة المحلية فتُسرد له حكاية "هارون الرشيد " كاملة حتى يفهم معنى هذه العبارة المثلية ، أو كأن تقول عجوز لكنتها "فلانة تاكل فرز ملال *"ثم تشرع مباشرة في سرد الحكاية رغم معرفتها المسبقة بأن المعنية تعرف معنى هذه العبارة المثلية جيدا و ذلك لاستفزازها وإغاضتها .

و تقول هذه الحكاية إنّه كانت هناك امرأة تتظاهر بعدم الأكل أمام زوجها وإذا ألح عليها أخذت بيضته وقشرتها ، ثم لا تأكل إلا لبها ، ودامت على تلك الحال وقتا من الزمن إلى أن جاء اليوم الذي طلب فيه منها الزوج الذهاب معه للحصاد فوافقت وأخذا معهما زاد اليوم ، انطلقا وعندما حان وقت الغداء لم تأكل سوى مح البيضة ، وعندما صار الوقت عصرا لم تستطع الزوجة تحمل الجوع ، وطلبت منه العودة لوحدها ، فأذن لها بذلك ، وعندما وصلت إلى البيت سارعت في أكل والتهام كل ما وجدته ، ليتقدم منها زوجها الذي وصل خفية ، وقال لها: « هذي لي تاكل فرز ملال*» .

وقد يدعو إلى القص أيضا انقطاع الكهرباء،فيلتفت كل أفراد العائلة حول كل من يتوسمون فيه الرواية الجيدة ، يستمعون ، ويستمتعون بأحداث الحكاية ، ويتجاوبون معها إلى درجة يتمنون استمرار انقطاع الكهرباء .

ويبقى الجو المفضل لسماع الحكاية الشعبية في " القصور " هو ليالي الشتاء ، حيث الظلام الحالك ، والبرد القارص ، والعائلة ملتفة حول موقد النار الحطبي ، أو تحت الأفرشة الصوفية ، ويزيد الجو شاعرية نزول الأمطار وصفير الرياح ، فيستأنسون بحكاية تتلوها حكاية أخرى إلى أن

* الملال هو كلمة أمازغية تعني صفار البيض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخيم النعاس على أعين الجميع وتطلب رؤوسهم الوسائد ، فيكونوا قد عاشوا بذلك عالما حالما يفيض أملا في المستقبل وحنينا إلى الماضي الجميل ...

3- استجابة الناس للحكي:

يمكن وصف تلقي المجتمع الشعبي القصوري للحكاية الشعبية بالإيجابي جدا ، إذ لا يكتفي بالاستماع والاستقبال فقط ، بل يعد طرفا مشاركا ، وفعالا في تحفيز الراوي على المواصلة ، والإبداع في الحكي .

ومن خلال مشاركتنا في مختلف التجمعات لاحظنا مدى شغف المجتمع الشعبي بسماع الحكاية الشعبية ؛ " فالجماعة هي التي تختار الراوي غير المحترف وتهيئ له المكان بينها ، وقد تؤثره بالفراش الوفير نسبيا وبالمخدة دون بقية الجلوس خاصة إذا كان من كبار السن "[1] ، وكثيرا ما تجدهم يتسابقون للجلوس أمام الراوي للاستماع الجيد للحكاية لملاحظة كل إشاراته و تعابير ملامح وجهه ، فتجدهم يتسلطون على الراوي ، ويملون عليه شروطهم خاصة فيما يتعلق باختيار النص وقد يقع نقاش بين الراوي والجماعة من ناحيته ، أو قد يقع بين الأفراد المستمعين من ناحية أخرى ، حول القصة المرشحة ، فما يناسب الأطفال ، لا يناسب البالغين ، كما أن الرجال يفلون نوعا من الحكايات يختلف عما تفضله النساء ، ويلجؤون في هذه الحالة في كثير من الأحيان إلى " القرعة " ، لكن الأمر يختلف إذا كان الراوي محترفا ، إذ يكون أكثر حرصا على مراعاة مزاج الجماعة ورغباتهم ،فهو لا يشبع نزاعات نفسه فقط عن طريق الرواية مثل الراوي غير المحترف إنما هو يؤدي عملا .

فلا بد أن يتملق الناس الموجه إليهم هذا العمل ، ليقبلوه ، ويحوز رضاهم ، فيضع في حسبانه أنه كلما أجاد في الأداء ، وقدم ما لاءم مزاج جمهوره ؛ جذب عدد أكبر من الناس ، وحصل بالتالي على عطاء مالي أكثر ، فيجعلون من الدخل المادي في الحلقة مقياسا لنجاحهم في الأداء .

---

[1] عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة ،مرجع سابق ،ص 37.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويتجلى تجاوب المتلقين مع الرواة من خلال حمله على رفع صورته أو إسكات الأطفال ، أو أن يطلبو منه تكرار مقطع لشدة إعجابهم به ، كما يتجلى عند ما يتوقف الراوي عن الاسترسال في الحكاية ليوجه سؤالا للحاضرين ، فيهب الجميع في إعطاء الإجابة ، ليقنعوا الراوي أنهم مازالوا يقظين .

فالمجتمع المتلقي في منطقة البحث مندمج في عالم الحكاية الشعبية إلى درجة ينسون فيها صلتهم بالعالم الواقعي ، فيتفاعلون مع الأحداث وتظهر على وجوههم سمات التأثر ومعايشة شخوص الحكاية ، فتجدهم يتعاطفون مع الشخوص الخيرة فيفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ،فإذا تتبعت وجوه المتلقين في حكاية " بوطماية "تجد وجوها عابسة ، وعيونا مغرورقة بالدموع ، وقلوبا مكسورة خاصة من طرف الأطفال والنساء طوال الحكاية ، وذلك بسبب موت والديها وضياع أخويها ،و تجدهم يتنفّسون الصعداء عندما تلتقي بأخويها،ويشرع كثير من أصحاب القلوب الرهيفة بالبكاء ،فتجد الجميع يردد عبارة :" الحمْدُ لِلّه لي خْلَق ما يْضيَّع " أو أن تقول إحدى النساء :" يا مَّا حنَّانا كُونْ ما لقاتْشْ خاوتْها و الله ما نرْقُد اليُوم".

-أما في حكاية "سي محمد" ؛فتجد الابتسامة و الفكاهة تُخيّم على الحاضرين ،ويزداد المشهد متعة عندما يشبه الراوي شخصية من شخصيات الحكاية بأحد الحضور إذ يتحيّن الراوي كل فرصة ليجعل حكايته أكثر إمتاعا لمستمعيه الذين هم بدورهم يستجيبون لمثل هذه المداعبات ويظهر هذا عندما يُكثر الحاضرون من التعليقات في جلسة ممتعة جدا .

-و إذا كانت النسوة تفضل الاستماع للحكايات التي تكون فيها المرأة ضحية ،فإن الرجال يفضلون الحكايات التي تصوّر مغامرات البطل الملحمية وتصف كيد المرأة وجبنها أمام الرجل .أما الأطفال فلا يجدون فرقا بين هذه أو تلك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4-خصائص الحكاية الشعبية القصورية :

يتحدث الكثير من الدارسين عن وجود أربعة عوامل تلعب دورا هاما في رواج القصة الشعبية وتحريرها المحلي "و هي الزمان و المكان ،والراوي ،و المجتمع"[1] وتمثل هذه العناصر الأربعة الأجنحة التي تطير بها الحكاية الشعبية،وهناك عامل آخر مهمّ أغفله كثير من الدارسين ويلعب دورا كبيرا في انتشار الحكاية الشعبية،وهو طبيعة و خصائص الحكاية الشعبية نفسها .

ومن أهم مميزات الحكاية الشعبية ما يلي :

1-العراقة :"فالحكاية الشعبية ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف، بل انتقلت من جيل إلى جيل سواء كانت مدونة أو منطوقة "[2] و تحرّر الحكاية الشعبية من قيود الزمان والمكان يجعلها ممكنة الحدوث في كل زمان و مكان .

2-مجهولية المؤلف :

إذ أنتجها إنسان شعبي في وقت ما ثمّ ذاب في ذاتية الجماعة " إنها تنتقل من شخص إلى آخر بحرية و لا يزعم أحد أن الفضل يعود إليه في الحفاظ عليها "[3]و خير دليل على ذلك عدم ذكر الراوي وافتتاح الحكاية الشعبية القصورية بـــ"قالْك " التي تدل على أن الحكاية هي رسالة الجيل السابق إلى اللاحق .

لكن الميزة الأكثر وضوحا في الحكاية الشعبية هي اعتمادها على الأسلوب الشفوي والأسلوب الشفوي يجعلها تتميز بالمرونة فتكون قابلة للتطور بالزيادة و النقصان،" وفي مثل هذه الحالات تكون الحكاية عرضة لأن تفقد إحكامها البنائي"[4] و يكون الراوي الأداة المحركة في ذلك ، إذ يلعب هذا الأخير دورا كبيرا في تغيير نصوص الحكايات و تطويعها وفقا لمزاجه أو مع ما يتناسب مع اهتمامات جمهوره "و بهذا تتخذ الحكاية الشعبية أسلوب الشكل المفتوح الذي يترك فيه للراوي مطلق الحرية بما يتلاءم و مقدرته على السرد و التصوير ،و طابع جمهوره ، و مستواه النفسي والثقافي. "[5]

---

(1) ليلي قريش ، مرجع سابق ، ص 93.

(2) ينظر حسين عبد الحميد أحمد رشوان :الفولكلور و الفنون الشعبية ، دار الانتصار ، دون ذكر بلد النشر، 1993،ص58.

(3) عبد الحميد يونس ،مرجع سابق ، ص11.

(4) عز الدين اسماعيل :القصص الشعبي في السودان ،-دراسة في فنية الحكاية و وظيفتها ،الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر،1971،ص149.

(5) نمر سرحان ، مرجع سابق ،ص 19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحكاية الشعبية القصورية في معظمها قريبة إلى الإنسان الشعبي إذ أنها تلاحق المجتمع في تطوره ، فهي لاتقتصر على ناحية من نواحي المجتمع بل تركز على جميع النواحي من النمط المعيش ، وأسلوب التعامل مع الأفراد وأمور الدين والمعتقدات ،وتكون نهايتها سعيدة أو حزينة أو مفتوحة على الاحتمالات كحكاية " المنحوس".

وكثيرا ما تظهر فيها ملامح بيئة القاص ، إذ يحس السامع أن مواصفات الحياة في الحكاية الشعبية ماثلة أمامه في واقعه وذلك باستخدام التشبيه والمقارنة ، ويظهر هذا أكثر عند الحديث عن المسافات والمراتب الاجتماعية ففي حديث الراوي في حكاية " رداح المصونة " ، عن أرض " رواح " يقول « هُوَ الرَّاجْل خرْج ، تْبْهَرْ ، لْقَى الدّْنْيا زاهْيَة ، والنّْواوِير ، والوادْ يجري كِواد وْدْرْن كيما كانْ عْلى دِيدانُه .»

وفي حديثه عن السن يقول « كان عندُه طُفلة قدَّك هكْذَ في العْمُر ، وقد ابنْتي في الطُّول والعَرض» ، وفي حديثه عن الرتبة الاجتماعية يقول : « كان فلاَّح مسكين كي رْبايْعنا » *

وهدف الراوي دمج الملتقى في عالم الحكاية الشعبية ، وإثبات أن هذه الأحداث ممكنة الحدوث في كل وقت .

- وأسلوب الحكاية الشعبية القصورية هو أسلوب بسيط يفهمه المجتمع المتلقي، لغتها مألوفة ، وواضحة لا يعتريها أي غموض ولا يشوبها الإبهام وإذا تخللتها بعض الجمل والعبارات التي بطُل جريانها على الألسنة ، فهي من العبارات المفتاحية التي لا يمكن تغييرها أو حذفها أبدا من نص الحكاية ، وهي عبارات كثيرا ما يتوقف الراوي لشرحها ، وهي العبارات التي أطلقت عليها الباحثة "غراء حسين مهنا" اسم القوالب الثابتة Les clichès " تستخدم الحكاية الشعبية قوالب ثابتة في التعبيرLes clichès "[1] ، وهذا يعد من العوامل الهامة بالنسبة إلى الراوي والمتلقي على السواء ، فالأول ؛ يجد في هذه القوالب الثابتة التي لا تتغير لحظات راحة من عناء التفكير ،والثاني؛ يجد فيها عبارات تساعده على ولوج عالم الحكاية ، ويفهم أنها لازمة لا يمكن تغييرها .

---

* أمثالنا.

[1] غراء حسين مهنا ، مرجع سابق ، ص 46.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3-الحيز الزماني والمكاني

أولا-المكان : لا تعطي الحكاية الشعبية القصورية أسماء الأماكن أو المناطق التي جرت فيها أحداث الحكاية .لكنها تذكر ما إن كان المكان الذي يعيش فيه البطل مدينة أو ريفا أو قرية أو غابة أو صحراء ، كما تهتم الحكاية الشعبية القصورية بوصف هذه الأمكنة (جبل ، بئر ، نهر ، واد ،تل) ، ويتجلى هذا أكثر عندما يقارن الراوي بين بيئة الحكاية وبيئة مجتمع القص .

ثانيا -الزمان : إن الحكاية الشعبية تؤكد أن الأحداث قد حدثت قديما ذات مرة ، وفي يوم من الأيام دون تحديد ، فأحداثها تدور في عالم متحرر من كل القيود الظرفية وهو عالم الممكن المطلق غير أن زمن الحكاية لا يستحيل تحديده دائما ، إذ نجد في بعض الحكايات الشعبية القصورية بعض الإشارات التي تدل على عهد تاريخي ما من خلال بعض العبارات والألفاظ كالسرايا والقاضي و السلطان .

كما لا تخلو بعض الحكايات من تقدير المدة التي قضاها البطل في قطع المسافات ففي حكاية " رداح المصونة " تم تحديد زمن الذهاب والإياب بستة أشهر، و في حكاية "هارون الرشيد "ذكرت أن البطل غاب عن بلدته أربعة عشر عاما كاملة .

وراوي الحكايات القصورية شديد الإحساس بعنصر الزمن وبكيفية مستمرة ، فهو يصر دائما على فكرة تعاقب الليل والنهار و ما إذا كان الزمن صباحا أو ظهرا أو مساءا.

و ميل الحكاية للتحرر من البعدين الزماني و المكاني لا يقصد من ورائه التظليل ، و إنما يقصد من ورائع التأكيد على صلاحية هذه الحكايات و إمكانية حدوثها في كل مكان و زمان .

ويجب أن يتفطن الباحث عند تحليل الهيكل الزمني لنص الحكاية إلى وجود اختلاف و تنافر بين ترتيب أحداث الحكاية و ترتيب الراوي نفسه لهذه الأحداث ، و يمكن تمييز نوعين من التنافر الزمني :

1- قد يتابع الراوي تسلسل الأحداث طبقا لترتيبها في الحكاية ، ثم يتوقف راجعا إلى الماضي ليذكر أحداثا سابقة للنقطة التي بلغها السرد ، وهو ما يعرف **باللواحق.** تقوم هذه اللواحق بإعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية ، أو سد ثغرة حصلت في النص القصصي أي استدراك متأخر ، أو تذكير بأحداث ماضية للتكرار، أو للمقارنة بين وضعيتين مختلفتين للبطل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- قد يتابع الراوي تسلسل الأحداث طبقا لترتيبها في الحكاية ثم يتوقف .لكن يوافق التوقف هذه المرة نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد ، و هو ما يعرف **بالسوابق**.وترد السوابق لسد ثغرة لاحقة ، أو لغرض التشويق ، و خلق حالة انتظار عند المتلقين. [1]

* ومن المميزات الفنية للحكاية الشعبية القصورية ما يلي:

-أنها تكرر نفس العبارة عديد المرات في حكاية واحدة كعبارة " يا القْمر العالي ، يا القْمر العالي وِين عادت الغُولة في اخْواتَاتي ؟*"التي تكررت عدة مرات في حكاية" صغرونة".

- و أنها تكرر نفس الفعل للدلالة على طول المسافة "راح مشى ، مشى مشى "، أو على مرور الزمن " روح ، روح ، روح بلاد يعمره و بلاد يخليه ".

-كما أن الحكاية الشعبية لا تخلو من ألوان البديع كالسجع: " مفْرّش القْطيفة ،وهازّْ المُكْحْلَة الخْفيفة ، و متزوج بالمرأة الظْريفة " ،و الترادف:"قَبَض ، احكم النَّعجة " ، والجناس:" يا هَتّاف يا نَتّافْ يا جْبّاد الرِيَّة ما بِين الكْتاف " ، و طباق: "طلع ،هبط "...إلخ .

4- صيغ الاستهلال والختام:

تطبع الحكاية الشعبية القصورية بعبارة افتتاحية و ختامية تشكل إطارا للحكاية ، فهي تسبق النص للإيذان ببداية الحكاية أو تكون في الأخير للإيذان بنهايتها .

أ- العبارات الاستهلالية :

يلاحظ عند الاستماع للحكاية الشعبية القصورية من أفواه الرواة أثناء روايتها ، أنهم يتخذون لبدايتها أكثر من شكل ، ويلاحظ أن هذه العبارات هي أنماط شكلية يتقيد بها كثير من رواة المنطقة .

- "يا سادة ، يامادة ، يدِّينَا ويديكُم علَى طْريق الهْناء والسّْعادة ، على الستُّوت أُم البهوت الله لا يَرْحمْها نهار تموت ، تسَبَّح وتنَبَّح ، وتطَيَّر ضْروس الكَلب غالا عاد ينْبح ، الزحَّافة تطلع الكيفان ، والطَرشة تْجيب الخْبَر مْنين كان " هذه العبارة يفتتح بها الرواة المهرة المجيدون ، وغير المجيدين ويتوقف غير المجيدين عند هذا الحد ، ويواصل المجيدون بقولهم :

---

[1] ينظر سمير المرزوقي ، جميل شاكر : مرجع سابق ، ص 80-84.

* أيها القمر العالي أين وصلت الغولة في أكلها لشقيقاتي؟ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالك :« - قاللهم الأعْمىَ عدِّيتْهُم في ثْمَانْية .

- وْالفَرْطاسْ قَالهْم طَاطِي طَاطِي حَكمُونا مْنْ القْطَاطِي.

- العايب قَالهم هزُّوني وهيَّاو لِيهُم ».

أو « قالك خَشيتْ في عَيْن المَهْراسْ قالت لُهم مَا وْسْعك يا بْلاد النَّاسْ.

قالك خشِّيت في عَين البْرة قالت لُهم ما وسْعَك يا بْلاد الله »

« - قالك الأول هوية ، والثاني هوية ، والثالث هوية :

-أوَّل هْويَة : الغَيْم يْزِيد فِي الثّنية .

- والثّاني هْويَّة : الفارس ثْواتيه المَطيَّة .

- والثَّالث هْويَّة : الطْبَق ثْواتيه الرِحية » .

أو : « قالْك : أوَّل هِيفْ ، والثَّاني هيفْ ، والثَّالْث هِيفْ.

قالْك :- أوّل هيف : وِيناه مُحراث بلا رْدِيفْ .

- الثّاني هيفْ: ويناه ويشون بلا قطِيفْ .

-الثَّالث هيفْ ويناه سُلطان بْلا وصِيفْ » .

أو : « قالك : الأول فْراحة ، والثاني فراحة ، والثالث فراحة .

قالك :- أول فراحة : جَابْدة مْنْ المال ثْرَوَّح للمراحة هي الفْراحة.

- الثاني فْراحة : الفْلاحة هي الفْراحة .

- الثالث فراحة : جابدة من الخَيْل تتْرْبَط في الطُرَّاحَة هِيَ الفْرَاحة » .

أو : « قالك : الأول بْني ، والثّاني بْني ، والثالث بْني .

قالك :- أول بني : الِّي يَحْرْث في الصَّحْراء ، و يْقُول رَاني بْتْبْني .

- الثاني بني : الّي يَكْسَب وْلْد النَّاس ، ويْقُول عَنْدي بني .

- الثالث بني : الي يَحْلَب مَعْزة ويْقُول راني بتَبْني » .

أو : « قالك : الأوّل ثْعُوس ، والثَّاني تعوس ، والثَّالث تعوس .

قالك :- أوّل تعوس : ويناه ثْرَّاس بْلا بَرنُوسْ .

- الثّاني تعوس : عَزري متبَّعو طارُوس .

- الثّالث تعوس : يْشْرب الماء عْلَى الفَقُوس» .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو « قالك : الأوّل هْبال ، والثّاني هْبال ، والثّالث هبال .

قالك : - أوّل هْبال : يَمْشِي في الطّريق ، ويْقُول نَلْقى المَال .

- الثّاني هْبال : طَمَّاع النّسَا في رقَاب الرّجَال .

- الثالث هبال : صَدّ للْعَقبة و بَال »

أو « قالك : الأوّل طا ، والثاني طا ، والثّالث طا .

قالك : - أوّل طا ويناه رأس بلا مَشطة .

- الثّاني طا : ويناه وِيشُون بْلا غْطاء .

- الثّالث طا : ويناه بَيْدون بلا مْغطة » ، وقد يجمع الراوي بين هذه الصيغ جميعا .

من خلال هذه الصيغ نلاحظ أن هناك :

1- تزاوجا بين ما هو دنيوي ، ومقدس « كان واحد السلطان وما هو السلطان غير الله ».

2- الاعتماد على المفارقة كخاصية مميزة لوعي الإنسان الشعبي بالحياة و تناقضها (الطرشة / تسمع) .

3- تبدأ هذه الصيغ بالحديث عن شخصية نمطية معروفة في الحكاية الشعبية القصورية هي العجوز الستوت .

4 - كما تكتشف هذه الصيغ عن أهم مستلزمات ومقومات المجتمع الشعبي في المنطقة كالمشط والبرنوس .

ب- العبارات الختامية :

و هي عبارات قصيرة وقليلة جدا في نصها لأن الحكاية انتهت ، فلا داعي لشد انتباه المتلقين .

ومن العبارات الختامية الشائعة في القصور :

«- جاتْني برِيَّة مْن فاسْ ، قْراوها في بُوسعادة ، عَيني طَلبت النّْعاس ، وراسي طْلب الوسادة .»

«- حْكايْتْنا مْشاتْ الوادْ ، الواد ، وأنا ولّيت مْعَ الجْواد .»أو «- هذا ما سْمَعنا وْهذا ما قُلنا ».

فتؤدي هذا البداية والنهاية وظيفة لها أهميتها ، إذ يشكرن معا إطارا للحكاية يضم كلّ الأحداث والمواقف فبعد إذن صيغ البداية تتوالى الأحداث ، وتتراكم ، وتتأزم ، ثم تنفرج ، ثم تأتي صيغ النهاية فتكون إيذانا بنهاية الأحداث .

من هنا نستنتج أن : الراوي و المجتمع المتلقي و مناسبات القص ليست وحدها الأطراف الفاعلة في انتشار الحكاية الشعبية القصورية ، بل إن الحكاية نفسها تنادي متلقيها للإصغاء لها من خلال هذه الصيغ والخصائص .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني :

أنماط الحكاية الشعبية القصيرة .

- تمهيد

1- حكايات الواقع الاجتماعي .

2- حكايات المعتقدات .

3- حكايات الحيوان .

4- الحكايات المرحة .

5- حكايات المغامرات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد :

إذا كان تصنيف القصص الشعبي صعبا ؛ فإنّ إيجاد تصنيف وتفريعات للحكاية الشعبية هو أكثر صعوبة لأن الباحثين لم يستقروا على رأي واحد ، فمنهم من تجنب التصنيف كالدكتورة " غراء حسين مهنا " في كتابها" أدب الحكاية الشعبية" ، و منهم من صنّف دون أن يذكر معايير هذا التصنيف كنبيلة إبراهيم في كتابها " قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية " وعبد الحميد بورايو في كتابه " الأدب الشعبي الجزائري " ، وعبد الحميد يونس في كتابه " الحكاية الشعبية " .

فقد صنّف عبد الحميد يونس الحكاية الشعبية إلى : حكايات الجان ، سير شعبية ، حكايات الشطار ، الحكايات المرحة ، الحكايات الاجتماعية ، حكايات الألغاز [1] .

- وقسمت نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية إلى : حكايات الواقع الاجتماعي ، حكايات الواقع الأخلاقي ، حكايات الواقع السياسي ، حكايات عن موقف الإنسان الشعبي من العالم الغيبي ، حكايات المعتقدات ، الحكايات الهزلية [2] .

- وصنّف " الكردنار هجرتي كراب " الحكاية الشعبية إلى حكايات الجان ، الحكايات المرحة حكاية الحيوان ، الخرافة المحلية ، السيرة النثرية [3] .

- وصنف "عبد الحميد بورايو" الحكاية إلى : حكايات الواقع الاجتماعي ، حكايات الحيوان ، الحكايات المرحة ، الحكايات المحلية [4] .

-وصنّف "عزي بوخالفة" الحكاية الشعبية إلى : حكايات الواقع الاجتماعي،حكايات الملامح السياسية ،حكايات المعتقدات الشعبية،الحكايات المرحة ، حكايات الغيلان،الحكايات الوعظية [5].

---

[1] عبد الحميد يونس ،مرجع سابق ، ص 29 – 95 .

[2] نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، مرجع سابق ،ص172.

[3] ينظر الكردنار هجرتي كراب : علم الفولكلور ،ترجمة رشدي صالح ،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 28 -131.

[4] ينظر عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري، مرجع سابق ،ص 82.

[5] ينظر عزي بوخالفة ، مرجع سابق ، ص 73.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- نلاحظ من خلال هذه التصنيفات أنها كثيرة ومتنوعة في آن واحد، إذ لا نجد توافقا تاما ولو بين باحثين وهذا ما يكشف عن صعوبة تصنيف الحكاية الشعبية من جهة ، وخضوعها للمحلية وتنوعها من جهة أخرى .

- أما التصنيف الذي نقترحه ؛ فقد فرضته علينا الحكاية الشعبية نفسها ،و غرضنا من وضع تصنيف للحكاية الشعبية القصورية هو الاقتراب من القضايا المختلفة التي اهتم بها الإنسان الشعبي وشغلت حيزا من تفكيره والكشف عن ثراء الحكاية الشعبية القصورية ، لهذا نعتقد أن المدونة الموجودة بين يدي الباحث هي التي تحدّد له التصنيف الأنسب ،فاعتمدتُ في تصنيفها على أساس المحتوى وطبيعة الشخصيات ونوعية الوظائف والأهداف التي يتكرر ظهورها ضمن مجموعة من الحكايات لتشكل بذلك نمطا مستقلا، فجاء تصنيفنا على النحو الآتي :

1- حكايات الواقع الاجتماعي ، 2- حكايات المعتقدات ، 3- حكايات الحيوان ، 4- الحكايات المرحة ، 5- حكايات المغامرات (اللص الشريف) .

- فقد جاءت حكايات الواقع الاجتماعي لأنها عولجت بأسلوب واقعي لا غرابة ولا خوارق فيه إذ يخيل لمستمعيها أنها حدثت بالفعل أو أنها ممكنة الحدوث .

- وحكايات المعتقدات لأنها تجسد معتقدا له دور في تبصير الإنسان بحقيقة الحياة ، فتدعو إلى الرضا بقضاء الله وقدره وعدم الكفر به .

- وحكايات الحيوان لأن شخوصها قامت مقام الإنسان فتصرفت بتصرفاته ، وقد يقاسمها الإنسان في أداء الأدوار الرئيسية أو الثانوية .

- ثم تأتي الحكايات المرحة التي تعتمد في بنائها على المواقف الفكاهية وتعالج الأموراليومية بشيء من السخرية.

- وأخيرا ننتهي إلى حكايات المغامرات أو اللص الشريف ، لأن شخصية اللص تسعى لنفس الهدف في جميع حكايات هذا النمط ،وهو الحصول على المراتب العليا عن طريق السرقة .

- وقد اعتمدنا في دراسة هذه الأنماط على ذكر الخصائص المشتركة للحكايات في الصنف الواحد ثم التعليق عليها ، وأحيانا نلخص بعضها ،ثم نتحدث عن محتواها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- حكايات الواقع الاجتماعي :

يمكن تعريف حكايات الواقع الاجتماعي بأنها " تلك الحكايات التي تكشف بصورة جلية عن الصراع الطبقي ، وعلاقات الجماعات الشعبية بعضها ببعض " [1] ، فتبدأ بعرض المفارقات الاجتماعية التي يعيشها أفراد المجتمع ، وتنتهي بانتصار الفقير النبيل على الغني الوضيع .

ويتجلى هذا المعنى في حكاية سكرة التي تروي قصة أخوين أحدهما فقير و الآخر غني ،وبلغ عوز الفقير حد التسول .عند حلول العيد لم يستطع تحمل رؤية الحزن في عيون عياله ،فذهب مكرها إلى أخيه و خاطبه قائلا : "يبدو انك نسيت وصية والدنا لك؟ "،فأجابه الغني أنه يرسل مع خادمته معروف الصدقة إلى القبر المنسي ،و يبدو أنها كانت تأخذ الصدقة إلى القبور فعلا.

اغتاظ الفقير كثيرا من هذه الكلمة ،و تمنّ لو أن الأرض انشقت و بلعته ،فخرج مكسور الخاطر من عند أخيه و رفع يديه للسماء و دعا الله تعالى قائلا : "يا ربّ يا مُعين ،يا حنان يا منان أغنني عن السؤال" ،و لم يلبث أن مشى خطوة أو خطوتين،فإذا به يسمع صوتا قريبا منه ،فأسرع و اختبأ وراء شجرة ، فإذا به يشاهد أربعين لصا يتقدمهم زعيمهم يحاولون إزاحة صخرة عن مغارة تدعى "سكرة" ،فانزاحت بصعوبة ودخل اللصوص و عندما خرجوا نسوا المغارة مفتوحة ،فأسرع الفقير ودخل إلى هناك،فإذا به يشاهد ما لم ترى عينيه من قبل ؛سبع جرار مملوءة ذهبا خالصا و سبع صحون مليئة بالأطعمة اللذيذة ، فأخذ من كل جرة قدرا يسيرا ،و أكل من كل صحن ملعقة وخرج ، عندما عاد اللصوص لم يلاحظوا دخول أحد وراءهم .

ذهب الفقير إلى بيته مسرورا ،ثم ذهب إلى بيت أخيه ليحضر المكيال ،فاستغربت زوجة الغني هذا الطلب وقالت :" رَبحوا أولاد الطَلاّبْ و رَايحينْ يْكيْلُوا بالرُّبْعي ، واشْ رَايحين يْكَيلوا هذا ؟!"

---

[1] نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، مرجع سابق ،ص114.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لأن الفضول كاد يقتلها وضعت غراءا أسفل الصاع،وأرسلت وراءه ابنتها للتشويش عليهم فما إن شرع الرجل في وزن الذهب وابنة أخيه تصيح و تقول: "هاتُونا الرُّبعي نْتاعنا امَّا تْضرُبني ، هاتونا الرُّبعي نتاعنا مَّا تضربني "، فارتبك عمها الفقير و ترك ماسّة أسفل الصاع و عندما استلمت زوجة الغني الصاع جن جنونها : "رَبحوا أوْلاد الطْلالبة ولاّو يكَيْلوا في الذّهَبْ !ثمّ أضافت قائلة لزوجها:الآن الآن إذهب إلى أخيك و اعرف منه من أين أتى بالذهب " فقال لها :" عليك أن تجدي حيلة لأقنعه فأخي ليس ساذجا ليخبرني بالسر بعد ما بدر مني " .ففعلت وذهب إلى أخيه الفقير ، وعرض عليه أن يحلق له لحيته بنبرة حنونة ، فلبى الفقير مطلب أخيه وسلم له رأسه ، فإذا بالغني يهدده بالسكين و إذا لم يخبره من أين أتى بالذهب فسيذبحه .لم يجد الفقير مخرجا فدله إلى مكان الكنز وحذره من كيد اللصوص .

ذهب الغني إلى تلك المغارة ، وانتظر دخول جميع اللصوص ودخل وراءهم ، واختبأ بين الجِرار وقرّر بينه وبين نفسه أن يستغل غياب اللصوص عن المغارة في جمع المجوهرات ، ثم يخرج متسلّلا عندما يدخلون في المرة المقبلة .

وهذا الذي حصل ملأ الأكياس بالذهب وأكل بشراهة من كل الصحون ، وعندما أحس بقدوم اللصوص اختبأ ، لكن اللصوص تأكدوا أن أحدا دخل المغارة بعدما لاحظوا نقصا ملحوظا في المجوهرات والطعام ففتشوا حتى عثروا عليه فذبحوه وعلقوا جثته أمام المغارة ليكون عبرة لمن يعتبر .

عندما أطال الغني الغياب ذهبت زوجته إلى أخيه الفقير وطلبت منه أن يتفقد أخاه ، فذهب فوجده معلقا أمام باب المغارة ، فحمله على كتفه و لم ينتبه إلى قطرات دم أخيه التي كانت تسيل وراءه ، عندما عاد اللصوص لم يجدوا الجثة فاقتفوا أثره من خلال قطرات الدم ، فعثروا على الباب و اختبؤوا في قرب من جلد البقر ، إلا زعيمهم الذي دقّ الباب :" من الطارق ؟" " ضياف ربي تاجر زيت أظلم عليه الليل ،فهل لي في داركم مأوى؟ " يجيبه الفقير :"أهلا وسهلا بضياف ربي " ، وأمر زوجته بإعداد الكسكس للضيف ، بينما هي تقوم بإعداده ؛ تذكرت أنها لا تملك زيتا ، فخطرت على بالها قرب الزيت ، فاقتربت من واحدة منها، وعندما بدأت في فتحها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاحظت أنها تتحرك ، فأخبرت زوجها بالذي حصل وأخبرته عن الخطة التي رسمتها للقضاء عليهم فعمل الفقير بنصيحة زوجته ، ودخل إلى ضيفه : " تقول زوجتي أن الكلاب تحوم حول الفناء عندما اشتمت رائحة جلد البقر ، فما رأيك أن ندخلها للإسطبل ، واعذرني فلا أستطيع مساعدتك لأني أعاني آلاما في الظهر " ففعل زعيم اللصوص ، وبمجرد أن أدخل القربة الأخيرة إلى الإسطبل غلّق الفقير الباب جيدا ونادت زوجته الجيران ، فأضمروا النار في الإسطبل ومات اللصوص . أما الأموال فقد أرجعها لأصحابها ، والذي تبقى منها وزعه على الفقراء ، وهو منهم .

- الواضح أن هذه الحكاية قد ألغت البعدين الزماني والمكاني ، فلم تضع اسما لا للفقير ولا للغني لتكون نموذجا قابلا للاحتذاء والحدوث في كل مصر وعصر ، فكل غني أو فقير يستمع إلى هذه الحكاية يحس أنه المتحدَّث عنه ، فينبغي أن يبقى الفقير متمسكا بالأمل ومؤمنا بقدرة الله تعالى على تغيير الأحوال ، وينبغي على كل غني ألا ينسى نعمة الله عليه ، ويدرك أن المال مال الله تعالى فعليه أن ينفق للفقراء منه ، وأن أبواب الرزق ستنغلق في وجهه إذا طمع و لم يقنع كما حصل مع الغني .

- و لم تهمل هذه الحكاية حيلة المرأة ، فقدمتها بصورتين :

الأولى : وظفت زوجة الغني الحيلة استجابة للفضول و الحسد فهي غاية غير نبيلة .

الثانية : وظفت زوجة الفقير الحيلة لغاية نبيلة وهي مساعدة زوجها في القضاء على اللصوص .

هذا عن المغزى الاجتماعي والأخلاقي المقصود من هذه الحكاية ، ولكن هذه الحكاية تعطينا أيضا تصورا عن أنماط وطبقات المجتمع فتؤكد أن الفقير عفيف النفس عزيزها قنوع لا يلجأ إلى السؤال إلا مكرها ، في حين أننا نجد الغني من خلال هذه الحكاية ذليل النفس ، غير قنوع وحسودا، فرغم أنه غني إلاّ أنه لم يتردد في تهديد أخيه بالقتل لأجل الذهب ، ثم لم يقنع بما أخذه من ذهب فكان طمعه سبب وفاته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- هذه الحكاية قريبة جدا إلى تصور مجتمع البحث وواقعه الاجتماعي والأخلاقي ، فحكايات الواقع الاجتماعي تعالج بجدية السلوكات الاجتماعية ، وتتميز عن غيرها من الأنماط بخلوها من العناصر الخرافية ، فتنتهي بشكلها الواقعي وهدفها الاجتماعي ، دون أن تتدخل لأجل تحقيق ذلك عناصر أسطورية أو خرافية ، فهي بناء فني بسيط ، وسرد وعظي بأسلوب واقعي.

- فأحداث حكايات الواقع الاجتماعي ليست غريبة أبدا على المسامع ، فإن لم تكن قد وقعت فهي ممكنة الوقوع ذلك أن حكايات الواقع الاجتماعي " تلتزم القصد ، ولا ترى في المبالغة ، حتى ولو كانت هذه المبالغة مرتبطة بمثل اجتماعي أو أخلاقي غير مرغوب فيه ..."[1] فتنزع إلى فن التشخيص ، ورسم النماذج البشرية الدالة على طبقة أو سلوك اجتماعي .

- ويتجلى هذا المعنى أكثر في حكاية " اليتيمات "التي تروي قصة سلطان ماتت زوجته ، وتركت له ثلاث بنات ، فتزوج بعدها بامرأة طيبة وحنونة اعتنت به وببناته وغمرتهم بحبها وعطفها وحنانها ، فعاشوا عيشة هانئة إلى أن أنجبت زوجة الأب بنتا تغار كثيرا من شقيقاتها الثلاثة اعتقادا منها أن أمها تحبهن أكثر منها ، فأصبحت تحرض أمها عليهن ، وتقوم بأعمال شريرة تنسبها إلى أخواتها ،فصدقت الزوجة الأمر وطلبت من زوجها طردهن من البيت ، فوافق بعدما هددته بترك المنزل والرحيل ،لكنهن عدن إلى البيت بعدما لم يستطعن الابتعاد عن أبيهن وزوجته، فطلبت منه هذه المرة بعد اقتراح من ابنتها إبعادهن إلى مكان بعيد ، فقام بذلك مكرها .

تمضي الأيام ويفقر الأب وتموت ابنتهما بسبب المرض ، و يشعر الأب وزوجته بالندم الشديد لما فعلاه بالبنات ، فشرعا في البحث عنهن لكن دون جدوى ، وبلغ منهما الفقر حد التسول ، فطرقا أبواب عديدة إلى أن طرقا باب السلطان ، فخرجت إليهما إحدى بناته ، فتعرف عليها الأب وزوجته فور رؤيتها .

صحيح أن هذه الحكاية لم تحدث في الواقع ، لكنها ممكنة الحدوث ، لأنها صورت معاناة اليتيم ورفض المجتمع له ، وقدمت لنا صورة اجتماعية واقعية عن تغلب إرادة الزوجة على عاطفة الأبوة.

---

[1] عبد الحميد يونس ، مرجع سابق، ص 85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- حكايات المعتقدات :

تشغل المعتقدات الشعبية جزءا هاما من حياة الإنسان الشعبي القصوري بل إنها تمتد لتشمل كل مناحي حياته ، لذلك نجدها تتخلل بصورة تلميحية وغير صريحة معظم الحكايات القصورية ، وتطبع حكايات أخرى بصورة جلية وصريحة يمكن ملاحظتها عند سماعها لأول مرة ، فسمينا النمط الذي تظهر فيه المعتقدات بصورة جلية " حكايات المعتقدات " .

يستمد هذا النمط من الحكايات مادته من الواقع النفسي والاجتماعي في ارتباطه بمعتقدات دينية شعبية / غيبية ، تمارس تأثيرا قويا في مجرى حياة الناس ، فكانت المعتقدات في القصور ثمرة تزاوج بين الواقع والمعتقد ،فحكايات المعتقدات في القصور هي حكايات مشبعة بمعتقدات دينية وشعبية آمنت بها الجماعات الشعبية وثبتتها في الحكاية بغرض تأكيد المعتقد ، خاصة بما يتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر .

- فيتعمد المجتمع الشعبي عرض حكاية تتناول مشكلة توزيع الأرزاق التي ليس لها حل سوى الرضا بقسمة الله تعالى .فتفتتح حكاية " فرحات " أحداثها بشعور البطل الحطاب الفقير بالظلم لأنه ولد فقيرا ، فقرر تغيير سكناه وكان واثقا أنه سيصبح غنيا لأن جاره عندما فعل ذلك تغيرت حاله إلى الأحسن ، فجمع أغراضه وصحب أمه وزوجته وأولاده وهم بالرحيل ، وهم في طريق السفر صاحت زوجته « نسيت الغربال باش نخبز الكسرة »* عاد الزوج إلى بيته القديم ، فوجد حظه يحمل الغربال ويرقص « صاحبي رايح للزاب ، وأنا لاحقه »** فقال :« مادام الشَّرْ يْتَبعني ولاحْقني لاه نرحل! » ، فأحضر أمه وزوجته وأولاده وأغراضه ، واستقر من جديد في بيته القديم .

ويتجلى هذا المعنى أكثر في حكاية " ابنة الفقير " التي تقول أنه كانت هناك فتاة جميلة وفقيرة تعيش مع والدها في الغابة ، وكان حبها لوالدها كبريا جدا ، فكانت كثيرا ما تسب القدر

---

* نسيت الغربال كيف أعد الخبز .

** صديقي يرحل وأنا سأتبعه (يقصد الفقير) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«لماذا خُلقنا فقراء وغيرنا أغنياء ؟!» فقررت أن تغير هذا القدر « خُلق أبي فقيرا وأنا سأغنيه » فسألت عن ابن السلطان متى يأتي ليشرب هو وحصانه من ماء النهر ، ذهبت إليه وأغوته بجمالها الفتان ، فتزوج منها وعندما استقر أمرها هناك استأمنها زوجها على أمواله فقامت بسرقتها ووضعتها في " الزوادة " وأعطتها لوالدها الذي أتى لزيارتها وعندما خرج زلق فوقع فمات وتطاير الدم من رأسه وكتب به على الجدار « أنا أفقرته وأنت أغنيه ، وأنا قتلته وأنت أحييه ».

فهذه الحكاية والحكاية التي سبقتها أكدت فكرة القدر المحتوم ، وجسدت لنا فشل إرادة الإنسان أمام إرادة الله عز وجل .

قد يفهم البعض أن الغرض من هذه الحكايات هو البقاء مكتوفي الأيدي ما دام كل شيء مفصولا في أمره مسبقا ، طبعا هذا ليس الذي ترمي إليه حكايات المعتقدات القصورية " فلا يغير الله ما في قوم حتى يغيروا ما في أنفسهم " وإنما لغاية أخرى مفادها الرضا منذ البداية بقضاء الله وقدره ، وحمده وشكره على كل شيء في جميع الأحوال ، وإذا أراد الإنسان أن تتغير حاله عليه بالإيمان بقدرة الله تعالى على تغيير الحال لأنه وحده القادر على ذلك تماما كما فعل الفقير في حكاية " سكرة " عندما لجأ إلى الله ودعاه أن يغنيه عن السؤال فأغناه . أما إذا لم يرضى بما قدره الله له وسبّ القدر وشتمه ؛ فإن عقابه ستكون بعدم تحسين حاله كما في حكاية " فرحات " أو أشد من ذلك كما حدث لابنة الفقير .

فتتحقق بذلك العدالة في حكايات المعتقدات القصورية ، فيكون العقاب لمن كفر، والجزاء لمن آمن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- حكايات الحيوان :

يذهب بعض الدارسين إلى أن حكايات الحيوان هي أشهر الحكايات الشعبية على الإطلاق ، "لأنها ترد على ألسنة الجميع بلا استثناء ، إنها موجودة في كل بيئة ، وعند كل أمة ، وبين مختلف الأجيال والطبقات ، وقد استطاعت أن تحتل مكانا ظاهرا بين الأشكال القصصية فيما سمي بالأدب المثقف أو الأدب الرفيع " [1] .

وتعد الهند الموطن الأول لحكايات الحيوان في نظر دارسيها حتى أنهم يذكرون أن كل حكاية يلعب فيها الحيوان دورا نسبيا ، لابد أن تكون متصلة من قريب أو من بعيد بالهند .

والباحث في حكايات الحيوان يلاحظ أنها تقسم إلى قسمين :

القسم الأول : حكايات الحيوان الشارحة أو المفسرة ، وهي التي تفسر الظواهر المتعلقة بعالم الحيوان نفسه كاختلاف أشكالها وأحجامها ، " ومن الشواهد على هذه الطائفة تلك الحكاية التي تفسر السبب في كون الدب غير مذنب ،إذ أن الحكاية تقول أنه أضاع ذنبه" [2]

" لأنه تحدى ثعلبا بأنه يستطيع أن يغمس ذيله في الماء ، يصطاد به السمك ، فتجمد الماء من حول ذنبه فاندفع ناجيا بنفسه ، ففقد ذنبه أثناء ذلك "[3]، وبالتالي يعد هذا النمط جزءا من الأساطير الشارحة .

القسم الثاني : حكايات الحيوان التي توظف هذا العالم في تفسير ظواهر اجتماعية لا علاقة لها بالحيوان فتتصرف شخوصها تصرف الإنسان العاقل ، ويعد هذا القسم (أي الثاني) نوعا من الحكايات الشعبية ، في حين يعد القسم الأول جزءا من الأساطير الشارحة لأنها من إنتاج الإنسان البدائي الذي ابتدع حكايات تفسر له خصائص الحيوانات .

وقد لاحظنا أن القسم الأول ، والخاص بالحكايات الشارحة المفسِّرة لم يعد متداولا في منطقة البحث فلم نعثر على عينات منها أثناء الجمع الميداني " ولعل اختفاءها يعود إلى تطور الوعي العلمي عن طريق انتشار التعليم ، والاستفادة من وسائل الإعلام والتثقيف الحديثة والتي تقدم

---

[1] عبد الحميد يونس ، مرجع سابق ، ص 29.

[2] المرجع نفسه ، ص 31.

[3] الكردنار هجرتي كراب ،مرجع سابق ،ص 115.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفسيرات علمية دقيقة،وموضوعية لتلك الظواهر التي كانت تشغل ذهنيات المجتمعات القديمة ، وبذلك لم تعد تحظى بالاهتمام الذي كانت تحظى به فيما مضى. " [1]

وعلى العكس من ذلك لاحظنا انتشار القسم الثاني بشكل كبير في منطقة البحث ، لأنها طريقة ذكية وغير صريحة تسمح للإنسان الشعبي تمرير خطابه الإيديولوجي فتتصرف تصرفات الإنسان العاقل ، تفكر كما يفكر، تتكلم كما يتكلم ، تبطش كما يبطش ، وتحتال كما يحتال ... كما هو حاصل في حكاية " الثيران الثلاثة " التي تروي قصة ثلاثة ثيران لا تفترق أبدا ؛ الأول أبيض اللون، والثاني أحمر ، والثالث أسود .

وكان هناك أسد يتربص بهم ويتلهف لأكلهم ، لكنه كان يخشى منها عندما يراها مجتمعة فإذا تكتلت وتعاونت يستحيل التغلب عليها حتما ، فكان لابد له أن يجد حيلة تفرق بينهم ، فلجأ إلى سيد المحتالين الذئب: « جئتك في أمر جلل أرجو فيه مساعدتك » قال الأسد . «خيرا إن شاء الله » يجيب الذئب، فقال له الأسد: «هناك ثلاث ثيران سمينة أتلهف لافتراسها ولكنها لا تفترق أبدا ، وعندما تنام تجعل قرونها متشابكة فيما بينها ، فلم أجد أيّة طريقة تمكنني منها » ، فوافق الثعلب على مساعدته شرط أن يعطيه نصيبا من كل ثور. تردّد الأسد في البداية لكنه وافق على اقتراحه في النهاية .

ذهب الذئب إلى الثورين الأسود والأحمر واختلى بهما ، وأخبرهما أنه و لمصلحتهما سينصحهما بما ينفعهما وسيبوح لهما بسرّ خطير يجب ألا يعلم به الثور الأبيض ، فأخبرهما أن الأسد يتحين الفرصة لافتراسهم جميعا ،"وأظن -يواصل الأسد – والله أعلم أنه سيبدأ بالثور الأبيض لأنه يظهر في الليل ،فأنصحكما ألا تناما معه هذه الليلة وإلا افترسكما معه."

و حين جنّ الليل سلّ الثوران الأحمر و الأسود قرونهما من قرني الثور الأبيض ، وذهبا و تركاه .عندما جاء الأسد وجده وحيدا فلم يجد صعوبة في افتراسه ،وأعطى الثعلب ما وعده . بعد مرور ثلاثة أيام عاد الثعلب إلى الثور الأسود و نصحه بضرورة اعتزال الثور الأحمر لأن الأسد يعتزم افتراسه لأنه و الله أعلم يظهر بالليل (يقصد الثور الأحمر) و ذهب وتركه.عندما أظلم الليل سلّ الثور الأسود قرنيه من قرني الثور الأحمر ،و هرب وتركه.عندما

---

[1] فوزية بن سالم :الحكاية الشعبية في مدينة بجاية ،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ،1992/1991، ،ص60.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاءه الأسد وجده وحيدا فافترسه،وأعطى الثعلب ما وعده .بعد ثلاثة أيام عاد و افترس الثور الأسود وأعطى الثعلب ما وعده

هذه الحكاية تؤكد أن في التعاون منفعة وفي الفرقة مهلكة ، فعندما كانت الثيران مجتمعة استحال على الأسد افتراسها ، وبعد ما افترقت سهل أمر افتراسها بعد خديعة الثعلب .

وإضافة إلى الوحدة والتكتل والالتحام ، تدعوا هذه الحكاية إلى التزام الحرص والحذر من المحتالين الذين حالفهم الحظ في هذه الحكاية ، على عكس حكاية "الثعلب والقنفذ" التي لم يكن فيها الحظ حليف المحتالين .

وتروي هذه الحكاية قصة ذئب وقنفذ اشتركا في فلاحة الأرض واتفقا على غرس البصل أولا وعندما نضج غرّت أوراق البصل الثعلب فبادر الذئب قائلا : " أنا أختار أولا ، واخترتُ أن آخذ ما فوق الأرض " ،فقال القنفذ: " لا بأس ، وأنا آخذ ما تحتها " ، فأخذ كل واحد منهما نصيبه إلى السوق ليبيعه و لم يجن الثعلب ولو درهما ، فقرر الذئب أن يعوض ما خسر في المرة المقبلة ، فاشتركا في مرة لاحقة في زراعة القمح وعندما نضج ، بادر الذئب القنفد مرة أخرى ، وقال : " سآخذ أنا ما تحت الأرض ، وخذ أنت ما فوقها " ، فوافق القنفد وأخذ كل واحد منهما محصوله إلى السوق ليبيعه ، و لم يجن الذئب هذه المرة شيئا ، فغضب و لم يرض بالقسمة ، فاحتكما إلى القاضي الذي اقترح إجراء سباق عدو والذي يفوز به سيأخذ المحصول ،فرح الذئب كثيرا بهذا الاقتراح إيمانا منه أنه سيفوز ، لكن الذي حصل أن القنفذ فاز بمساعدة أصدقائه ، فغضب الذئب كثيرا وقرر أكله ، ففر القنفد هاربا وقفز في كفة ميزان وجدها أمامه ، فإذا به يترل إلى البئر التي وجد في قاعها الخير العميم ، فرفع القنفد صوته عاليا للذئب: " لو تعلم يا صديقي ، أنا في خير عميم ، القمح ، الشعير ، كل شيء متوفر هنا"، فقال له الذئب: " وكيف نزلت هناك؟ " ، " الأمر سهل ، أنظر أمامك تجد كفة ميزان اقفز فيها ، وسترى كيف ستلحق بي " ، ففعل الذئب فترل ليصعد بذلك القنفذ فقال له الذئب " تبًّا لك ماذا فعلت بي ؟ ." فقال القنفذ : " هذه هِي الدُّنيا واحد هابْط ،واحد طالع "

إضافة إلى العبرة التي انتهت بها الحكاية " يوم لك ، ويوم عليك " فإنها عاقبت الذئب المحتال ، وكأن الإنسان الشعبي يريد أن يقول من خلال هذه الحكاية خير حيلة هي ترك الحيل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا قارنا كيفية معالجة الحيلة بين هذه الحكاية والحكاية السابقة نتأكد من وجود وعي ونضج وخبرة لدى الإنسان الشعبي في الحياة ، إذ يدعونا إلى ترك الحيلة للحصول بسرعة على المبتغى ، كما هو واضح في حكاية " القنفذ والذئب " ويلح على الالتزام بالحيطة والاحتراس لتجنب شر المحتالين كما هو واضح وجلي في حكاية " الثعران الثلاثة " ولا تخلوا حكاية " القنفذ والذئب " من الدور التعليمي خاصة فيما يتعلق بخصائص النباتات ، فيدرك الطفل من خلال هذه الحكاية أن ثمار البصل تكون تحت التربة ، في حين تكون ثمار القمح فوق التربة ويظهر الدور التعليمي أكثر في حكايات الحيوان في حكايات التواتر كحكاية " الطفلة والقطة".

والإنسان الشعبي القصوري يهتم بحكايات الحيوان لتحقيق الأغراض السابقة ، وأيضا لأنه يريد أن يردَّ لهذا الكائن الاعتبار مكافأته له على أعماله الجليلة التي قدمها و يقدمها.

فالحيوان من ساعد الراعي فصار سلطانا في حكاية " سي عي بو علي "التي تحكي قصة فقير يرعى الغنم يدعى "سي علي بو عي" في أحد المرات جاءه ذئب يعرج مسلوخ جلده عن عظمه يطلب النجدة ، فأشفق الراعي على الذئب وساعده على الشفاء فدهن جسم الذئب بالزبدة وجلده بالحليب فقال الذئب للراعي : " ليتك تذبح لي كبشا لأشفى تماما وإذا فعلت ذلك ، سأغنيك إذا أغناك الله "، فلبى الراعي للذئب ما طلب ليس طمعا بل رأفة وإشفاقا، وعندما انتهى الذئب من أكل الكبش طلب منه سرقة كبش آخر ففعل الراعي ، لكن هذه المرة كشف أمره من طرف رئيسه فطرده ومضى" سي علي بو علي" والذئب يمشيان ، فعثرا على قرية مهجورة .

بعد مدة من الزمن أراد "سي علي بو علي" الزواج من ابنة سلطان البلدة المجاورة ، فأرسل الذئب ليخطب له لأنه لا يملك أهلا ، فذهب الذئب وحام حول فناء القصر فخرجت إليه ابنة السلطان " ياذِيب يا بُو ثْعِليب ، بُكر الصّْباح ماشي ، تَرضى يطُل عْليك كَلب سيدي السلطان ".

عندما عاد والدها أخبرته بما حدث و طلبت منه ألا يذهب لأداء صلاة الفجر في اليوم الموالي حتى يواجه الذئب الذي عاد إلى قصر السلطان في نفس الوقت فخرج إليه السلطان :" ياذيب يا بو ثعليب ، بُكر الصباح ، ماشي ترضى نحرَّش عليك كْلابي " فأجابه الذئب أنه جاء يريد الحسب و النسب لسيده "سي علي بو علي" سلطان البلدة المجاورة فقال له السلطان :" أحضر أهله وتعالوا" ، فقاطعه الذئب : أكيد سنحضر قوما كبيرا فاستعدوا " . ذهب الذئب مباشرة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصدقائه الذئاب ، وربط في ذيل كل واحد منهم سعفة شوك وأضمر فيها النار ، في ذلك الوقت فرش السلطان كل القصر بالزرابي والكمخة والحرير والقطيفة ، وجهز ابنته ، وجلس ينتظر أهل العريس ، فإذا به يسمع صوتا " ويه ، ويه ، ويه " فخرج ، فاعتقد أن القادمون بشر فأذهله العدد وطلب من الذئب أن يأتي هو والعريس فقط .

بعد مضي زمن ، أراد الذئب أن يختبر وفاء سي علي بو علي ، فأسرعت زوجته لإخباره ، فحزن عليه حزنا شديدا فاطمأن الذئب لذلك ، وعندما مات الذئب فعلا أقام له "سي علي بو علي" قبرا يتردد إليه دائما .

- تعرض هذه الحكاية إمكانية تعايش الإنسان والحيوان ووفاء كل منهما للآخر فالذئب وفّى بوعده لسي علي بو علي بعد مساعدته على الشفاء بمشيئة الله وبادله الإنسان بالمثل ، عندما حزن عليه بعد وفاته .

- و تعطينا هذه الحكاية ميزة أخرى لحكاية الحيوان القصورية و هي أنه ليس من الضروري أن توافق طباع الحيوان تصرفاته في الحكاية ،فإن كانت حكاية " الذئب والقنفذ " قد كشفت طباع الذئب الحقيقية وهي المكر والخداع ؛ فإن هذه الحكاية "حكاية سي علي بو علي " قد أكدت وفاءه رغم طباعه الماكرة في الواقع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4- الحكايات المرحة :

الحكايات المرحة هي " تلك الأحدوثة القصيرة ، المنثورة أو المنظومة، التي تحكي نادرة أو سلسلة من النوادر ، وتنتهي بموقف فكه مرح "[1] .

لكن الألفاظ العربية التي تدل على الفكاهة والمرح كثيرة منها : المزاح و السخرية والمفارقات و النادرة و النكتة .

فالمزاح : " ينبع من لحظة مرح يعيشها الإنسان بقصد التخفيف عن متاعبه النفسية ، وقد يصل المزاح إلى حد النكتة إذا نجح المازح في اختياره الألفاظ ذات المغزى المزدوج في إصابة المعنى بالتلميح السريع "[2] .

واللمز : " هو تهكم بموضوع بعيد عنا ، أي أننا نقف منه وجها لوجه ، دون أن تربطنا به علاقة نفسية "[3] ، وقد حذر الله تعالى منه لقوله ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾[4] .

و السخرية : هي نقد لادغ ، يحمل علاقة عاطفية قوية بين الساخر وموضوع السخرية ، والساخر يكون واعيا بسخريته إلى درجة أننا نحس بكل ظلال التجربة منذ إحساسه بعدم الرضا حتى مرحلة التعبير عن هذا الإحساس " وبدلا من أنه يثير الضحك فإنه يثير الكراهية مرة ، والاشمئزاز مرة أخرى "[5] لأنه يتعمد إبراز عيوب الخصم وتجريحه ، للإنقاص من شأنه .

فاللمز قد يكون فادحا لكنه لا يشير إلا إلى من يحمله الشيء من عيب همسا " وأما السخرية لاذعة لأنها تكشف عن الإحساس العميق بعد الاقتناع من ناحية ، وهي تتعرض لنقد الموضوع بطريقة ساخرة من ناحية أخرى ."[6]

---

(1) الكردنار هجرتي كراب ،مرجع سابق ، ص 94.

(2) مرسي الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ، دار الوفاء ، لدينا الطباعة والنشر الإسكندرية ، 1999 ، ص 138.

(3) محمد سعيدي ، مرجع سابق ، ص 91.

(4) سورة الحجرات ،الآية 11.

(5) مرسي الصباغ ، مرجع سابق ،ص 138 .

(6) المرجع نفسه ،ص 133 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و **المفارقات** : هي الجمع بين الشيء ونقيضه أو ما يبعد عنه ويخالفه .

و **النادرة** : وهي لغة : الغريب ، الخارج عن المعتاد ، ونوادر الكلام ، وما شد وما خرج عن الجمهور

واصطلاحا هي أقصوصة لا تطول إلى درجة الحكاية الهزلية ، ولا تقصر لدرجة النكتة . تدور أحداثها غالبا حول الحياة اليومية ، وشخصياتها تتسم ببطء الاستجابة الشرطية ، حيث تجمع فيها الكلام الذكي المعتمد على سرعة الخاطر والحدث الجارح والعبارات اللاذعة .[1]

النكتة : هي نص أدبي يحتوي على خبر قصير في شكل حكاية يحركها حدث قصير ، أو كلمة تشكل النواة الاختلافية التي تفجر الضحك .

أما **الحكاية المرحة** : فتختلف عن اللمز والسخرية والمزاح ؛ في أن هذه الثلاث تؤدي غالبا إلى إثارة الكراهية والتشاحن ، لأن اللامز أو الساخر أو المازح معلوم ، والمقصود باللمز أو السخرية أو المزاح معلوم أيضا ، أما الحكاية المرحة فتنتهي دائما إلى الفكاهة والتآلف والانبساط لأنها رسالة غير مباشرة مجهولة المؤلف والمحرر تحمل في ثناياها نقدا وتقويما للسلوك بأسلوب طريف دون فضح ، أو تجريح .

وفي هذا تتفق مع النكتة والنادرة ليجري الاختلاف فيما هو شكلي ، إذ أن الحكاية المرحة كما قلنا هي سلسلة من النوادر ،وتختلف النادرة عن النكتة في أن النادرة لا تقصر أبدا لدرجة النكتة ، فالنكتة إذا طالت قليلا فهي نادرة ، والنادرة إذا تعددت أو طالت فهي حكاية مرحة .

وقد يعتقد البعض أن هدف الحكايات المرحة لا يتعدى الضحك ، لكنها في الحقيقة تهدف إلى نقد المجتمع وتقويم السلوك بمنهج سلبي عكس حكايات الواقع الاجتماعي التي تتوسل المنهج الإيجابي ، فالحكاية المرحة تعالج مواضيع واقعية واجتماعية بطريقة فكهة وطريفة فيكون بذلك النقد الموجه إلى المجتمع أشد وطأة لأنه ينقده ويسخر منه في نفس الوقت .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 139.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتدور أحداث الحكايات المرحة القصورية حول الحياة اليومية ، وتغلب عليها المفارقات والأخطاء والحماقات ، وتستخدم في سبيل ذلك أسلوبا فيه كثير من المغالطات الكلامية، وتمتاز شخصياتها بالسذاجة والبلادة والغباء تواجه مشكلات عادية ملموسة ، وتتعرض لمواقف مألوفة ،فحكاية" شِيء ماهو شِيء" تروي أن هناك رجلا نزع خفيه ،وخشي أن يجد فيها الحصى فقال :" إنشاء الله ما نلقى شِيء " فسمعه صياد ففهم أنه يقصده بالحكي ، فضربه ،وقال له الأجدر بك أن تقول: " إنشاء الله بالسَّبعة والسَّبعات ، والْيَة والميات " فمضى ، فصادف موكبا جنائزيا ، فقال لهم : " إنشاء الله بالسبعة والسبعات والمية والميات " ، فضربوه حتى أوقعوه أرضا ، فقال لهم : " ماذا أقول إذن !؟" الأجدر بك أن تقول : " عظم الله فيما أصابكم " ، فمشى فصادف موكب عرس ، فقال لهم : "عظم الله أجركم فيما أصابكم " ، فأوجعوه ضربا ، فقال: احترت ماذا أقول؟ ،قل : " إنشاء الله تربح وتسعد وتجيب سبعة " ، فمضى فصادف رجلا يجرّ كلبة أنجبت جروين ،فقال له : "إنشاء الله تربح وتسعد وتجيب سبعة " فضربه هو الآخر ، فقال له :" يا إلهي ماذا أقول ؟!" فأجابه قائلا :" الأجدر بك أن تقول يجَعلها سبَّاحه، نَبَّاحه ، وتلاقي الخيل في الساحة " ، فصادف شخصا اشترى بقرة فقال له :" يجعلها سباحة نباحه ،تلاقي الخيل في الساحة". "ماذا! تعالى إلى هنا " ، لم يتردد في إمطاره بوابل من اللكمات ، الأجدر بك أن تقول " يجعلها مْزبادة ،ملبَانة ، وعلى فُم مُولاها تتبادى " ، فمشى فصادف شخصا يرمي الأوساخ في المزبلة ،فقال له :" يجعلها ربّي مزبادة ،ملبانة ، وعلى فم مولاها تتْبادى " تعال هنا ،ولم يختلف هذا الرجل عن سابقيه ،وقال له : " الأجدر بك أن تقول تيبَسْ وتتحرتَتْ ، ويديها الريح " فدهش ، ثم صادف رجلا يغرس البصل فقال له : " تيبس وتتحرتت ،ويديها الريح " ، فضربه الرجل وقال له الأجدر بك أن تقول :" تكبر وتسْتَكبر ،وتولِّي الحبَّة قد رأس البقر" فمضى فصادف السلطان يحمل إبنا له يعاني من وجود حبٍّ في رأسه، فقال له : " إنشاء الله تكبر وتستكبر ، وتولي الحبة قْد رأس البقر ." ولم يتردد السلطان في قتله ،فمات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكيد أن المستمع يضحك كثيرا عند تلقيه هذه الحكاية ،ولكنه مع ذلك يدرك أن المغزى منها ، ليس الضحك فحسب ، بل أيضا توخي الحذر خاصة فيما يتعلق بالفهم الصحيح للتراكيب اللغوية وتؤكد هذه الحكاية واقعا اجتماعيا معاشا ، وهو عدم التعاطف مع الحمقى ، فالقانون لا يحمي المغفلين .

فالحكاية المرحة تشبه إلى حد كبير الرسم الهزلي الساخر (الكاريكاتير) ذلك لأنها تجعل من الشيء الذي يستحق الضحك بصورة تبدو في حجمها وشكلها خارجة عن المألوف ، وبذلك تنال الاهتمام.

وتواصل الحكايات المرحة القصورية نقد الحمقى والسذج من خلال حكاية"الإخوة" ، التي تروي قصة ثلاثة أشقاء تابوا عن المعصية وشرب الخمر ، وحتى تكتمل توبتهم قرروا الذهاب إلى الحج مشيا على الأقدام ودام سفرهم إلى هناك حوالي سنة ، وعندما وصلوا إلى الحدود السعودية ، توقف أحدهم فجأة ، وقال : "آه ، لقد نسيت هويتي " ،فقالا له : " لا بأس ، إذهب وأحضرها وسننتظرك سنة أخرى " فقال : " لا ، أخشى أن تشربا العسل وتتركاني " ،فوعداه وأقسما له أنهما لن يقرباه حتى يجتمعوا من جديد، فوافق.

قرر شقيقاه أن يستغلا كل ذلك الوقت في العبادة فكانا يصليان طوال الوقت ،وكم هي كثيرة تلك المرات التي وسوس لهما الشيطان فيها بشرب العسل .لكنهما لم يفعلا ذلك التزاما بالوعد ، إلى أن أصيب أحدهما بسعال حاد ، فقرر أن يشرب منه قليلا ، وكان ذلك اليوم الأخير من السنة، فبينما هو يحمل قارورة العسل ، وإذا بشقيقهما يخرج من وراء الصخرة " لحسن الحظ ، لحسن الحظ ،لم أذهب وإلا لكنتما شربتما العسل ،وتركتماني " فضيّع هذا الأحمق الذهاب إلى الحج لمجرد حمقه وعدم ثقته بشقيقيه .

فالإنسان الشعبي بهذا يكره الحمق و البلادة وسوء الظن لهذا يجب أن يكون العقاب قاسيا كما حصل في النموذجين السابقين .

وبعد عرضنا لهذه الحكايات المرحة القصورية ،يتضح لنا أن هدف الحكايات المرحة هو إدخال السرور و الإمتاع في قلوب المتلقين ، والأهم من ذلك الوصول بالكائن الاجتماعي إلى درجة من النضج والوعي بالواقع المحيط.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- حكايات المغامرات :

إذا كانت الحكايات المرحة تسخر من الحمقى والمغفلين ، وإذا كانت النادرة تستعين بالحيلة والذكاء لتحقيق غايات غالبا ما تكون نبيلة ،فإن حكايات المغامرات أو كما يسميها عبد الحميد يونس (حكايات الشطار) تمجد الذكاء والحيل لأجل كل الغايات حتى و لو لم تكن هذه الغايات نبيلة فسميت بحكايات " اللص الشريف " .

تصف هذه الحكايات بطولات شخص عاش حياة صعبة بعيدا عن كل مظاهر الرفاهية ، وربما نشأ متشردا و شبّ خارجا عن حياة الأسرة بل خارجا عن نظام المجتمع ،ولا يعتمد إلا قليلا على قواه الجسمية في تحقيق لقمة عيشه ، بل يعتمد على المكر والخديعة والحيلة لتحقيق ذلك .

ويتجسد هذا المعنى في حكاية " سي مدية وسي ملحق خوه " ، التي تروي قصة فتى يتيم ، عاش حياة قاسية ، سأل يوما أمه عن عمل والده ، فاستحت أن تخبره بأن والده كان لصا ، فقالت له : " اذهب إلى صديق أبيك هنا ك يخبرك عن عمل والدك "

فقال له صديق والده : " تعال ورائي وسأخبرك " ،وبينما هما يمشيان شاهد صديق والده عش بيض فوق الشجرة فطلب من الفتى أن ينحي له ظهره ليركبها حتى يسهل عليه الوصول إلى العش فلبى الفتى مطلبه ، وكان كلما وضع الرجل بيضة في قرمونة القشابية " كلما سلها الفتى ، ووضعها في" قرمونته "، وعندما نزل الرجل من فوق الشجرة ، أحس أن" قرمونته " فارغة ، فقال للفتى اللص : " وتسأل عن عمل والدك! ؛لقد فقته كثيرا " ، فغضب منه وطرده .

تابع اللص السير لوحده فعثر على لصّ مثله ،فتصاحبا وترافقا إلى أن شاهدا شخصا مترجلا قادما من بعيد رفقة حصانه ، فاتفقا على سرقة الحصان ووضعا لأجل تحقيق ذلك خطة محكمة. عندما اقترب صاحب الحصان منهما ومن المقبرة ، حفر أحدهما قبرا ودخل فيه في حين اختبأ الآخر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندما وصل صاحب الحصان إلى المقبرة ، قال :" السلام عليكم أهل المدينة ، أنتم السابقون ونحن اللاحقون " ، فسمع صوتا يصدر من أحد القبور يقول :" كل يوم تردد هذا الكلام ، لكنك لم تلتحق بنا أبدا" . فترك الفارس الحصان وفرّ هاربا ، فاحتفظ أحدهما بالحصان و اتفقا على أن يحتفظ الآخر بالمسروق الموالي .

فبينما هما يمشيان فإذا بهما يشاهدان "حولي " وهو غطاء صوفي معلق في حبل الغسيل فأخذاه ، وبهذا يتعادلان إذ أخذ أحدهما الحصان والآخر " الحولي " ،وكان من أخذ الحصان لا يدع صديقه يركب عليه في النهار وكان صاحب الحولي لا يترك صديقه يتغطى به في الليل .

وفي أحد ليالي الشتاء القارصة برد صاحب الحصان و لم يجد أمامه سوى" حولي " صديقه ، النائم فشطر منه جزءا وتغطى به ، عندما تحرك صاحب الحولي لاحظ نقصا فادحا في حجمه ، دون تفكير أسرع إلى فرس صديقه وقطع أنفها ، عندما استيقظا في الصباح تأكد كل واحد من فعلة صديقه ، فقررا بيع" الحولي مطبق " و" العود بعمارته* " حتى لا ينتبه أحد إلى عيب كل منهما .

عندما ذهبا إلى السوق ؛" حَلُّوا هذا الحولي نْشوفوا شْحال الطول ،شحال العرض؟ " فقال صاحب" الحولي ": أقسمت على بيعه مطويا " ، وقالوا لصاحبه :" وأنت " ، أجابهم :" أنا أيضا أقسمت على بيعه وهو يضع اللجام " ، فباع كل منهما سلعته ،وفكرا هذه المرة في سرقة شيء أكبر وهو خزينة السلطان الذي كان مريضا ، فقررا استغلال ذلك، فقال أحدهما للآخر : اذهب إلى السلطان واقرأ عليه آيات من القرآن الكريم ، وسيشفى بإذن الله ، ثم ألهه بالنكت والأمثال والقصص و الألغاز .....بينما أنا أقوم باستغلال انشغال السلطان وحاشيته بك ، وأسرق الخزينة لكن الحظ حالف الأول و لم يحالف الثاني ، فقد قُبض عليه بعد جهد جهيد من طرف الحراس ، وقتل .

ولكن مع ذلك استمرت السرقة فكان يقوم اللص في كل ليلة بترع قطعة قرميد من السقف ويقفز عبرها إلى الخزينة .

---

* عْمارتُه أي لجامه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاستنجد السلطان" بالشيخ المدبر " ، وطرح عليه مسألته ، فإقترح عليه الشيخ المدبر أن يضع وليمة يدعو فيها جميع الناس .ويأمر بوضع مسكر في الطعام . وأكيد أن السارق سيعترف بذنبه ، وهذا الذي كان .فبمجرد أن خيم الليل اعترف اللص بكل ما فعل فقبض عليه ، وأمر المنادي أن يبلغ الرعية أن هناك احتفالا كبيرا يقام بمناسبة القبض على لص أتعب كاهله .

وربطه باكرا وسط الساحة ، فجاءت" العجوز الستوت " :" يابني ،لماذا أنت مربوط هكذا !" فقال لها :"إني أعاني كثيرا من آ لام في الظهر لهذا ربطته بالحبل " ، فقالت له : " وهل هذا الأمر مجدٍ ؟" قال لها "نعم."فقالت له : " ليتك يا بني ترحمني وتربط لي ظهري فأشفى " أجابها :

" طبعا ، بكل سرور ،فكِّ الحبل وسأربطك به" ففعلت فربطها وفرّ .عندما اجتمع الناس لرؤية تنفيذ الحكم لم يجدوا إلا عجوزا مسنة مربوطة في الشجرة .

قرر السلطان أن يعيد نفس الخطة فقبض عليه وربطه وسط الساحة بحضور الرعية والسلطان ، وما إن علِّق حبل المشنقة جاء ابن السلطان " ما بك يا أبي ، شخص كهذا تقتله ! هذا هو الشخص الذي تحتاجه في الأوقات الصعبة " فوافق السلطان ، وعينه وزيرا في دولته .

أذكر جيدا إعجاب المجتمع المتلقي بهذه الشخصية ،وهذا يعني أن المجتمع الشعبي القصوري يكره الحمقى والمغفلين ، كما في حكاية" شيء ماهو شيء " ويزكّي الذكاء حتى ولو وظف من أجل تحقيق غاية ما بطريقة غير شرعية .

ويختلف هذا النمط عن غيره من الأنماط في أنه لا يعاقب أبدا اللص الماكر المخادع ، بل يجازيه ببلوغ أعلى المراتب . فلم تعد ابنة السلطان هي الغاية أو المكافأة التي يحصل عليها البطل بعد توفيقه فقط ، وإنما أصبحت المناصب الإدارية العليا هي الغاية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الثاني :

الحياة الاجتماعية في الحكاية الشعبية القصورية .

سأحاول في هذا الباب استخراج مجموعة من الملامح الاجتماعية و السياسية و الطبقية و شتى صور الحياة الشعبية من عادات و تراكم اعتقادي انحدر عبر الحقب الزمنية إلى سكان المنطقة وترسب في لاوعيهم الجماعي ،انحدر إليهم من مصادر مختلفة بعضها قديم يرجع إلى الديانات القديمة ،وبعضها يرجع إلى تأثر البيئة القصورية بالتصورات الإسلامية بشتى الأشكال ، فحاولنا التقيّد بنصوص الحكايات كطريقة للوصول إلى ما نسعى إليه ، و هذا لا يعني أننا عزلنا النص عن إطاره لأننا اضطررنا في حالات كثيرة إلى ربط النص بإطاره المرجعي لإبراز مختلف البصمات و التأثيرات التي تركتها البيئة القصورية في الحكاية الشعبية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول :

الفئات الاجتماعية و علاقاتها في الحكاية الشعبية القصورية

1- الفئات الاجتماعية:

1-1- الفئة الغنية .

1-2- الفئة الفقيرة.

2- العلاقة بين الفئات الاجتماعية :

2-1-العلاقات الأسرية .

2-2-العلاقة بين الفئتين الفقيرة و الغنية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- الفئات الاجتماعية في الحكاية الشعبية:

1-1 الفئة الغنية:

1-1-1 –ابن السلطان :

تقدم الحكاية الشعبية ابن السلطان البطل على أنه شخصية تتمتع بالقوة و العفة و النزاهة والحكمة إضافة إلى الجاه و السلطة،و هي صفات يحبها المجتمع الشعبي و يحترمها كثيرا . لكنها صفات لا تؤهله لأن يكون بطلا إلا إذا قام برحلة شاقة و صعبة بحثا عن شيء ثمين فتكون المغامرات التي يخوضها في رحلته تلميحا إلى بطولته و يكون الحصول عليها ترسيخا لها.

* **قد يكون الشيء الثمين مصرحا به ؛فتحدد ماهيته و مكانه منذ البداية** كحكاية"حد الزين "عندما حدد السلطان لابنه غانم مكان المرأة التي يجب أن يتزوج منها و أخبره عن اسمها و اسم والدها فقال له:" رُوح للمضرب الفُلاني للسلطان الفلاني راه عنده طُفلة تقول للشّمس طُلي و إلا نْطل يقولو لها حدّ الزين ".

فيبدأ ابن السلطان رحلة بحثه عن نصفه الآخر ،و يبدأ معها الراوي رسم ملامح البطل . فتذكر الحكاية أن أول ما صادف البطل في طريقه صوت بكاء يرتفع كلما اقترب منه ،عندما سأل صاحبته عن مكان ابنها أخبرته أنه في السجن.فك غانم وثاق الشاب و أخرجه من السجن، فقرر الفتى مرافقة ابن السلطان و مساعدته على قضاء حاجته.

و كان أول ما صادف ابن السلطان و صديقه نملتين تختصمان على حبتي قمح.قام الشاب بفك النزاع بينهما بإعطاء حبة قمح لكل واحدة منهما. عندما واصلا السير لمحا خترين يختصمان على حبة بصل فض الشاب خصومتهما و أعطى لكل منهما نصفا . و بعدما قطعا مسافة طويلة وصلا إلى بلاد حد الزين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حالما وصل الرفيقان إلى سرايا ((حد الزين)) طلب غانم من صديقه أن يخطبها له من أبيها، فوافق الشاب و قصد قصر السلطان خاطبا . بمجرد أن علم السلطان بنوايا الشاب سخر منه و من طلب صديقه و أملى عليه مجموعة من الشروط التعجيزية ،إذا استوفاها الرفيقان سيكون السلطان أول المباركين .

أولا : سيقوم خدم السلطان بخلط سبع قناطر قمح مع سبع قناطر عدس و سبع قناطر حلبة و سبع قناطر أرز و سبع قناطر شعير و سبع قناطر ذرى و سبع قناطر كسبر و على البطل ابن السلطان أن يقوم بفرز كل صنف من هذه الحبوب ووضعه على جنب، و ذلك في يوم واحد.

ثانيا : إذا استوفى البطل الشرط الأول عليه أن يقوم بحرث سبع أراضي بور في يوم واحد .

ثالثا : إذا استوفى البطل الشرط السابق عليه أن يخبر السلطان بمكان كفَنه و كفَن زوجته .

رابعا : إذا حقق البطل الشرط الثاني عليه أن يميز موكب عروسه من بين تسعة و تسعين موكبا متشابهة تماما .

وافق الرفيقان على هذه الشروط دون اعتراض .فأمّا الشرط الأوّل؛ فقد قام الشاب بحرق بيض النمل فكان جيش من النمل أمامه و وضعوا كل حبّة أمام مثيلتها.فانتهوا من الفرز في يوم واحد . و أمّا الشرط الثاني ؛فقد قام الشاب بحرق بقايا الخنازير فكان جيش من الخنازير أمامه قاموا بحرث كل الأراضي في يوم واحد .أما الشرط الثالث؛ فقد أخبرته أم العروس عن مكان كفنها و كفَن زوجها ، أما الشرط الأخير فقد تمكن الشاب من معرفة موكب عروس صديقه بفضل حدسه .

لحد الآن لم يقم ابن السلطان "غانم" بأي عمل ليستحق لقب البطل بل صديقه هو الذي قام بكل شيء وقدم له "حدّ الزين" على طبق ، و لكن مع ذلك تصر الحكاية الشعبية على لسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراوي منح غانم لقب البطل ليس لكونه ابن سلطان و كون الشاب فقيرا، بل لأن المبادرة بالخير كانت من غانم عندما أخرج الشاب من الأسر و ألغى الفارق الاجتماعي بينهما و وافق على مصاحبته ،و أيضا لأن التضحية الأكبر كانت منه عندما قرر ذبح ابنه مقابل شفاء صديقه من الشلل ، فاستعاد صديقه عافيته قبل موت ابنه مكافأة له على إخلاصه ، و كانت هذه الحادثة اختبارا حقيقيا لوفاء الصديق لصديقه حتّى و إن كانا من طبقتين مختلفتين .

***قد يكون هذا الشيء الثمين مجهولا غير مصرح به فلا تحدد ماهيته أو مكانه** كما حدث في حكاية "محمد بن السلطان"عندما احتار السلطان في تعيين خليفته بعد موته فنصحه (المدبّر)بإجراء امتحان ترشيحي لأبنائه السبعة ليحصل الفائز فيه على لقب ولي العهد و كان نص الامتحان هو جلب أثمن شيء من البلاد التي سيقصدها كل واحد منهم. انتشر أبناؤه السبعة بين الأمصار ، و قرر كل واحد منهم جلب أثمن شيء من مكان تواجده . و لاشك أن الجميع فكر في الذهب و لا شيء غير الذهب ما عدا البطل الذي أدرك بحكمته أن والده لا يمكن أبدا أن يقصد الذهب و خزانته مملوءة ذهبا .بينما هو في حيرته تلك سمع من أحدهم أن ابنة سلطان تلك البلدة ترفض الزواج و من كثرة إلحاح والدها عليها أصبحت بكماء .قال بينه و بين نفسه : هذا هو أبي يقصد الزواج .قصد البطل السلطان وأخبره عن نيته في الزواج من ابنته ،فوافق السلطان على طلبه شرط أن تشفى ابنته أولا وتوافق عليه ثانيا.

قام محمد بن السلطان بجمع كل سكان البلدة في باحة القصر و طلب من سلطانها إحضار ابنته إلى هناك .عندما حضر الجميع مشى البطل بين الحضور و طرح اللغز التالي : "اجتمع ثلاثة أصحاب ؛كان أولهم نجارا و ثانيهم بائع قماش و ثالثهم إماما. عندما جن عليهم الليل أكلوا وناموا .أثناء نومهم استيقظ النجار أولا فنحت من الشجرة التي كانت أمامه جسد امرأة عندما انتهى من ذلك عاد إلى نومه ،بعده مباشرة استيقظ تاجر القماش فوجد المنحوتة أمامه فكساها من رجليها إلى رأسها ثم عاد إلى نومه .بعده مباشرة استيقظ الإمام فوجدها على تلك الحال فقرأ عليها آيات من القرآن الكريم و عاد إلى نومه ، فنَفخت روحها و صارت امرأة كاملة .في رأيكم من يحق له الزواج من هذه المرأة ؟" فور انتهائه من طرح اللغز بدأ كل فريق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدلي بدلوه ؛ فريق يقول بأحقية النجار بها ، و فريق آخر يقول بأحقية التاجر بها ، بينما هم بين مد و جزر ظهرت ابنة السلطان بوجهها المشرق و قالت : لماذا لا تكون من نصيب الإمام الذي قرأ عليها آيات بينات فنُفخت روحها! .فكانت هذه الكلمات تحقيقا للشرط الأول، أما الشرط الثاني ؛فكان تحقيقه في حلّ اللغز أي قراءة آيات من القرآن الكريم .فتزوج منها و عاد إلى القصر فعينه والده ولي عهده .

فالبطل حصل على شيء ثمين لم يكن يعرف لا كنهه و لا مكانه من البداية .

قد يكون الشيء الثمين معلوما و غير مصرح بمكان وجوده منذ البداية كما حدث مع "محمد الهلايلي" في حكاية "رداح المصونة " عندما عيرته "الستوت"بأنه ليس على شيء وأنه لم يحقق شيئا حتّى و إن كان ابن سلطان ما لم يتزوج من "رداح المصونة"فسجن نفسه في القصر و تظاهر بالمرض و قال بأنه لن يشفى حتّى يأكل حساء "الستوت ".عندما أتته الستوت ضغط عليها فأقسمت له أنها لا تعرف شيئا عن مكانها و الشيء الوحيد الذي تعرفه عنها هو جمالها الفتان الذي سمعت عنه فقط، فقرر البحث عنها ، وبينما هو في رحلته تلك صادف الشيخ المدبر فأخبره عن مكانها البعيد جدا ،فتخلى البطل عن كل شيء و قصد بلاد رداح المصونة وخاض حربا ضروسا لأجلها، و لم يعد إلا بها . فالبطل حصل على شي ثمين عرف ماهيته في البداية ،لكنه لم يكن يعرف مكانه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-1-2-ابنة السلطان :

إذا كان البطل يجب أن يتجمّل بصفات كثيرة حتّى يستحق لقب البطولة و يمجّد من طرف مجتمعه ؛فإن ابنة السلطان يكفي أن تتحلى بجمال فتّان لتنال اهتمام الأبطال و تكون محور صراع ،فمحمد الهلايلي ترك عزّ السلطان و تاه في البراري و قطع مسافات بعيدة جدّا وخاض معارك طويلة ليفوز برداح و طبعا ما كان ليعلق وسام البطولة لو لم يعد بها .

ونفس الشيء حصل مع غانم الذي رغم استيفائه لجميع شروط السلطان لكنه لم يفز بابنة السلطان "حدّ الزين"إلا بعد تغلبه على ابن عمها في مبارزة دامت من شروق الشمس إلى غروبها .

وإذا كانت ابنة السلطان في المثالين السابقين محور صراع بين البطل وأقاربها ؛فإنها في حكاية محمد بن السلطان محور صراع بين الإخوة بل و بين الأب و أبنائه خاصة بعد تخلصهم من البطل (محمد بن السلطان).

و الواقع أن ابنة السلطان لم تفعل أيّ شيء لتستحق كل هذا الاهتمام سوى أنها تمتلك جسدا قويما و وجها جميلا و هذا ما يعكس رغبة الرجل في الامتلاك الجسدي للمرأة "فما هي إلا ماعون ينجب الذرية يرضي فيه الرجل نازعته الجسدية "[1]. و الملاحظ أن ابنة السلطان الفاتنة لا تكون إلا من نصيب الأبطال بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي .أما بنات السلطان الأخريات (شقيقات البطلة) فقد يتزوجن من أبناء السلطان إخوة البطل كما حدث في حكاية نصف عبد ،أو يتزوجن من طبقة راقية كما حدث في حكاية (هارون الرشيد).

و حتمية زواج البطل من ابنة السلطان يعكس رغبة الفئات الاجتماعية في تحقيق المعادلة الصعبة التي تزاوج بين سلطان الرجل و رقة المرأة إذا كان البطل ذا جاه ،وبين رجولة البطل و سلطان المرأة إذا كان البطل فقيرا .

---

[1] أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي ،مطبعة السنة المحمدية ،دون طبعة ،القاهرة ،1981، ص229.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-1-3-السلطان :

إذا تأملنا المدونة نلاحظ أن نصوص الحكايات الشعبية القصورية التي تناولت شخصية السلطان تفوق الثلث ، وهذا يعني أن هذه الشخصية قد فرضت نفسها على منتج الحكاية في فترة من الفترات .

و تختلف الصور و الأدوار التي يقوم بها السلطان من حكاية لأخرى :

1-فإما أن تستفتح الحكاية الشعبية أحداثها بعبارة «كان واحد السلطان ، وما هو سلطان غير الله و إذا كذبنا استغفر الله »و في هذه الحالة يكون السلطان هو المحرك الأساسي للأحداث ؛

-إما **بوصية** يتركها لأبنائه قبل موته ، كما فعل أحد السلاطين عندما جمع أولاده الثلاثة قبل وفاته و أعطى لابنه الأكبر حفنة تراب و لابنه الأوسط حفنة عظام و لابنه الأصغر مفتاحا، فلم يفهم الأبناء معنى هذه الوصية فقرروا البحث عن معناها في رحلة مليئة بالمواقف الغريبة ، وكانت هذه المواقف هي نفسها أحداث الحكاية.

- أو **باختبار حبّ أبنائه له**؛ كأن يطلب منهم القيام بعمل صعب جدا كما حدث في حكاية الطير بو ريشة عندما أراد السلطان اختبار حب أبنائه له فقال لهم : الي يجْبْنِي يجِيب لي مْثْرد كسكاس و رأس أمُه في العمارة » . أحضر الأبناء الستة لوالدهم ما طلب ما عدا الابن الأصغر لأنّ قلبه رقّ على أمه و لم يستطع ذبحها ، فغضب منه والده و طرده ، و كانت المغامرات التي خاضها البطل هي أحداث الحكاية .

- أو **باختبار كفاءة أبنائه** كما فعل السلطان في حكاية " محمد بن السلطان " عندما طلب من كل واحد من أبنائه السبعة الابتعاد و إحضار أثمن شيء من المكان الذي يقصده كل منهم، وكانت المغامرات التي خاضها الأبناء و خاصة البطل هي نفسها أحداث الحكاية .

2- إما أن يكون السلطان هو البطل و قد تحقق هذا في حكاية واحدة و هي حكاية "هارون الرشيد " الذي اجتمعت فيه أغلب صفات الكمال البطولي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- إما أن يذكر السلطان بطريقة عرضية في الحكاية ، و في هذه الحالة يكون السلطان مجرد وسيلة توصل البطل إلى غايته ، قد تكون هذه الغاية ابنته كما حدث في حكاية "رداح المصونة" و "حد الزين " ،و قد تكون الغاية هي الحصول على ابنته و السلطة معا ، و هذه الغاية هي غاية البطل الفقير ،ففي حكاية " ابن عمير" أجبر السلطان على التنازل عن عرشه بعدما يئس من القبض على اللص " ابن عمير" ، وقد تكون الغاية هي الحصول على عمل فقط كما هو حال عصفور الذي تخلص من شبح البطالة بعد اتصاله بالسلطان .

1-1-4-زوجة السلطان :

ظهرت زوجة السلطان كسند قوي لزوجها في حكاية واحدة ، وهي حكاية " هارون الرشيد" عندما ساهمت في خروج زوجها من الأسر ، و القبض على المجرم بائع لحوم البشر،و بعدها أقنعته بضرورة الخضوع لأمر الله تعالى والابتعاد لمدة أربعة عشر عاما كاملة ، وظلت وفية له طوال هذه المدة ، و بعدما عاد تفهّمت زواجه من امرأة أخرى و طلبت منه إحضارها للعيش معها.

و ظهرت زوجة السلطان في حكاية "فاعل الخير " كامرأة طيبة و حنونة يتقطع قلبها دائما شفقة على حال الرعية ، فعندما قصد بابها أحد المتسولين منحته التاج الذي كانت تضعه فوق رأسها ، و عندما علم زوجها بذلك قطع يدها و طردها من المترل لتتيه بعدها في الفيافي إلى أن عثر عليها رجل صالح تزوج منها و كان ذلك الرجل هو المتسول الذي أعطته تاجها في يوم من الأيام .

أما باقي الحكايات فقد فضلت الحديث عن زوج السلطان وهي أم ترتجف خوفا على أبنائها، فها هي أم " احمد الهلايلي " تمنع ابنها الخروج من القصر خوفا من أن يصيبه أي مكروه ، ثم تحاول ردعه عن الذهاب في رحلة ستة أشهر الشاقة ، وهاهي زوجة السلطان في حكاية "حد الزين" تسعى لتأمين زواج لائق لابنتها فتخبر عريس ابنتها عن مكان كفنها و كفن زوجها ، وهو الشرط الوحيد الذي عجز العريس "غانم " عن تحقيقه .

وها هي زوجة السلطان في حكاية " بوطماية" تحاول إقناع زوجها القبول بميمون كزوج لابنتها الكبرى بعدما وقعت في غرامه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-1-5- الغني :

نقصد بالغني هنا :الشخص الذي استغنى عن الناس في طلب المال فهو شخص يملك المال لكنه لا يملك السلطة .

لم تتناول الحكاية الشعبية القصورية كثيرا الغني فمن بين الحكايات المجموعة نجد ثلاث حكايات فقط تعرضت صراحة للغني . وكلها حكايات أعطت صورة سيئة جدا عن الغني .

فأما الأولى؛و هي حكاية "سكرة" فقد قدمت لنا الغني في البداية ظالما عندما أكل حقّ أخيه ، ثم قاطعا للرحم عندما لم يزر شقيقه و لم يسأل عن حاله ثم حسودا عندما حسد أخاه الفقير، ثم مخادعا عندما ذهب إلى أخيه على غير عادته و تظاهر أنه يريد أن يحلق له لحيته فإذا به يضع المدية على رقبته و يهدده بالقتل إذا لم يخبره عن مكان الكنز ،ثم طماعا عندما لم يقنع بما حمله من ذهب فكان كلما همّ بالخروج من الغار عاد إليه ليجمع أكثر ،و هو على تلك الحال إلى أن جاء اللصوص و قضوا عليه و علقوا جثته أمام الغار ليكون عبرة لمن يعتبر .

أمّا الحكاية الثانية ؛ و هي حكاية "البخيل و الناعس" فقد قدمت لنا الغني بخيلا جدا عندما حرم زوجتيه من قطعة لحم رغم أنه يملك قطيعا من الغنم، فسرقت زوجتاه شاة غنم و طلبتا من الراعي ذبحها و سلخها شفقة بوحمهما .عندما تفطّن البخيل لذلك قام ببيع كل غنمه و قرّر دسّ النقود الذهبية في مكان بعيد عن أعين زوجتيه ،بعد طول تفكير دسّ نقوده في كيس ووضعها تحت جذع شجرة أمام الوادي . تمر الأيام و تنزل أمطار غزيرة و تجرف جذع الشجرة وما يحمله إلى بيت الفقير . فيتحول المال إلى الفقير الناعس على حدّ تعبير الحكاية ويصبح غنيا في حين يتحوّل الغني إلى متسوّل .

و تعطي الحكاية فرصة للبخيل لاسترجاع ماله، لكن طمعه يمنعه من استغلالها ؛عندما باع غريف الخبز المملوء بالنقود و لم يعمل بنصيحة أم الناعس التي طلبت منه أخذها إلى البيت وعدم لمسها حتّى يصل إلى أبنائه .لكنه باعها و كان المشتري هو الفقير الكسول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و أما الثالثة ؛ فهي حكاية "علي اللفحل و علي الجايح "التي قدمت لنا الغني و هو "زرق العينين" ظالما عندما استغل ضعف و طيبة علي الجايح ،فلم يكتف بجعله خادما لديه ، بل كان يضربه دون سبب .

1-1-6-زوجة الغني :

المتأمل للحكايات الشعبية يكوّن انطباعا سيئا عن زوجة الغني فقد قدمتها حكاية " سكرة " على أنها شخصية شريرة تحرِّض زوجها دائما ضد أخيه الفقير و تقنعه بعدم زيارته ، و إذا أتاه أخوه الفقير لزيارته تخفي عنه الأمر ، هذا فضلا عن نظرة الاحتقار التي لم يسلم منها الفقير في كل مرة يقوم فيها بزيارة بيت أخيه ، ثم قدمتها على أنها امرأة جحودة عندما كانت تردُّ الطبق الذي كانت ترسله زوجة الفقير فارغا بدعوى أنها لا تملك شيئا تضعه فيه ،ثم وصفتها بالوقاحة عندما رفضت إعطاء الصاع لأخ زوجها قبل أن تعرف سبب أخذه و عندما أمرها زوجها بإعطائه إياه وضعت الغراء في قاعه حتّى تتعرف على الشيء الذي يريد الفقير كيله ، و الحسد لم يكن صفة غريبة عن هذه المرأة التي كادت الغيرة تقتلها بعد أن علمت أن الفقير كان يريد أن يزن الذهب بالصاع ، و لم تتوقف عند هذا الحد، بل طلبت من زوجها تهديد أخيه بالسكين إذا لم يخبره عن مكان الكنز .

و تأبى هذه الحكاية ترك هذه الشخصية دون عقاب ، فقد عاقبها القدر بموت زوجها وإفلاسها بعد ذلك .

ولا تختلف صورة زوجة الغني في هذه الحكاية عن صورتها في حكاية " علي اللفحل و علي الجايح "فقد ذكرت أنها قاسية جدا إذ كانت تحرّض زوجها على ضرب علي الجايح ويا ليتها تتوقف عند هذا الحد ،فقد كانت تدوس على رجليه و تلعن الفقر و الفقراء .لكن هذا الوضع لم يستمر لا لها و لا لزوجها بعد أن قدم توأمه علي اللفحل و خلّص أخاه من الاستعباد وقضى على "زرق العينين " و زوجته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-2- الفئات الفقيرة :

1-2-1-الابن الفقير :

لا تركز الحكاية الشعبية على الابن الفقير إلا إذا كان بطلا .

إذا كان ابن السلطان لا يحتاج إلا لابنة السلطان الجميلة ليعلق وسام استحقاق البطولة ؛ فإن الابن الفقير عليه أن يضحي و يفعل الكثير إضافة إلى زواجه من ابنة السلطان الجميلة ليستحق لقب البطولة .فإذا كان تحقيق البطولة لدى ابن السلطان يتوقف عند امرأة فإن تحققها لابن الفقير يتعدّى ذلك ؛فإن كان ابن السلطان يتمتع منذ البداية بالجاه و السلطان فإن ابن الفقير عليه أن يبحث عنه .و إذا كان ابن السلطان يتحوّل إلى بطل بمجرد زواجه من ابنة السلطان الجميلة (رغم صعوبة الحصول عليها)؛ فإن الابن الفقير لا تكتمل بطولته إلا إذا تجاوز فقره أولا و تزوج من ابنة السلطان ثانيا.

وإذا كان هدف ابن السلطان الحقيقي هو الظفر بابنة السلطان الجميلة فإن هدف الابن الفقير الحقيقي هو الوصول إلى السلطة ليكون الزواج من البطلة مجرد نتيجة حتمية لذلك .

يتضح هذا في حكاية(ابن عمير) الذي رفض أخذ مكافأة من السلطان بعدما نجح هو وأصدقاؤه الثلاثة في إنقاذ ابنته لأن أخلاقه لم تسمح له بذلك فأعجب به السلطان كثيرا و أصر على أن يترل عنده ضيفا.

أثناء إقامة ابن عمير في القصر آلمه كثيرا رؤية الخزينة مملوءة ذهبا بينما الناس يتضورون جوعا،ففكر في تأديب السلطان و نجح في سرقته عدة مرات رغم وضع السلطان لكل الاحتياطات إلى أن يئس السلطان من العثور على السارق و أعلن أمام رعيته الولاء لمن فعل به كل ذلك ،فاعترف ابن عمير بفعلته و عينه سلطانا عليه و زوجه ابنته .

و الواضح في هذه الحكاية أن ابن عمير ما هو إلا حجة تستر وراءها المجتمع الشعبي لتبرير فعل السرقة ؛ فالسرقة لم تسمح للسلطان لكنها سمحت لابن عمير لأن هدفه كان حسب الحكاية الشعبية هو تأديب السلطان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا المنطق كان من الممكن قبوله لو كان ابن عمير رجلا صالحا لم يقم بفعل السرقة من قبل، لكن الحكاية الشعبية فضحته عندما أقرت منذ البداية بأنه لص محترف، و لم تقل في النهاية أن ابن عمير قام بتوزيع الأموال على الفقراء بعدما صار سلطانا ، لكن مع هذا يبقى ابن عمير بطلا في نظر مجتمعه لأنه تجاوز فقره و وصل إلى السلطة.

لكن السؤال المطروح هنا : ما هو الشيء الذي حمل الجماعة الشعبية على تزكية السرقة أو على الأقل تبريرها و ترغيبها للمتلقي رغم اقتناعها بعدم شرعيتها ؟

و الجواب : أكيد أن المجتمع الشعبي قد جرّب كل الطرق الشرعية للوصول إلى السلطة وأدرك أنه لا سبيل لدخول الفئة الفقيرة القصر إلا السرقة و الخداع لاسترداد مال أخذ بالطريقة ذاتها.

1-2-2-ابنة الفقير :

تلقى البطلة ابنة الفقير تأييدا كبيرا من طرف مجتمع القص لأنها شخصية مقهورة يمكن أن نجد لها مثيلا في الواقع ،فهي شخصية غير متطلبة تحمل أحلاما بسيطة ،ولا تسعى إلا لتحقيق حياة سعيدة هادئة و لا تتطلب سعادتها الوصول إلى الهرم الاجتماعي بل تكفيها لقمة عيش بسيطة ووسط عائلي مستقر لتعيش حياة سعيدة .

فالاستقرار الأسري هو ما بحثت عنه "حب حب رمان" طوال أطوار الحكاية فبعدما كانت تتمتع بالاستقرار مع زوجها و ابنها ها هي تفقد زوجها و تضطر للبحث عن الاستقرار مرة أخرى ،و لأنها أم حريصة جدا على رعاية ابنها رفضت كل المتقدمين لها و فضلت العيش الهادئ مع أشقائها السبعة و أزواجهم ،لكن الهدوء لم يدم طويلا إذ تعكر صفو العائلة بعدما تمكنت الغيرة من زوجات إخوتها الست و بدأن يفكرن في التخلص منها بأي طريقة و لم يجدن أفضل من الستوت لمساعدتهن ،فاقترحت عليهن خطة تدين حب حب رمان و تطعنها في شرفها . و لأن الأمر يتعلق بالعرض و الشرف قرر الإخوة إقامة الحد عليها إلا أنها فرت بعدما علمت بالأمر من زوجة أخيها الأصغر التي تكون ابنة عمها و أخذت معها ابنها وكانت كلما مرت الأيام يشرع بطنها في الانتفاخ فاستنجدت بـــ "المدبّر"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي خلصها من الثعبان ، و تنتهي الحكاية نهاية سعيدة بعودة الاستقرار لحب حب رمان عندما عادت لإخوتها و هي تحمل في يديها دليل براءتها.

و لا تسمح الحكاية الشعبية القصورية أن تتجاوز أحلام ابنة الفقير الاستقرار العائلي و لا تتوانى في معاقبة ابنة الفقير إذا تجاوزت أحلامها حدود ذلك ، فقد سمحت لابنة الفقير التفكير في الزواج و تحقيق الاستقرار.لكنها لم تسمح لها اعتلاء السلطة .

1-2-3- الفقير :

إذا كان الفقير قد حُرم المال ، فقد مُنح العفة و النبل على الأقل من طرف المجتمع الشعبي القصوري على لسان حكاياته الشعبية ، فها هي معظم الحكايات الشعبية تعطينا أروع الصور عن الفقير فقد وصفته حكاية " سكرة" بالطيبة عندما كان يصل أخاه دائما ، ثم بالعفة عندما كان يتردد في طلب المال من أخيه ، ثم بالإيمان القوي عندما رفع يديه إلى السماء تضرّعا و دعا الله أن يغنيه عن السؤال بعدما نهره أخوه ، فكان أول ما سمعه بعد الدعاء صوت قريب كان لمجموعة من اللصوص ،ثم بحسن الحظ عندما نسي الأربعون لصّا باب المغارة مفتوحا ، ثم بالقناعة عندما أكل من كل طبق من الأطباق السبعة ملعقة واحدة وأخذ من كل جرة من الجِرار السبع حفنة واحدة ، ثم بالرأفة عندما رقّ قلبه على أخيه و ذهب للبحث عنه رغم أنه هدده بالقتل ، ثم بالحكمة عندما استطاع التخلص من اللصوص بمساعدة زوجته ، ثم بالعدل عندما أعاد الأموال إلى أصحابها . و في الأخير تكافئه الحكاية على نبله ببقاء أموال كثيرة لم يعرف أهلها فقام بتوزيعها على الفقراء و هو واحد منهم.

والفئات الاجتماعية تتعاطف مع الفقير ليس لمجرد أنه فقير، بل لأنه استحق ذلك لنبله و حكمته و خير دليل على ذلك أنها لم تتوان في معاقبة جحا- وهو إنسان فقير- لأنه تحايل على الفقراء الضعفاء ،ولم تتوان الحكاية الشعبية القصورية في معاقبة "الغبي" و" شيء ما هو شيئ " لحمقهما و غبائهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-2-4-زوجة الفقير :

تواصل الحكايات الشعبية إظهار إعجابها بالفئات الفقيرة ، هذه المرة تجسد هذا الإعجاب في شخصية زوجة الفقير، فقد وصفتها حكاية "البخيل و الناعس " بالعفة و عزة النفس عندما كانت ترفض الصدقات التي كان الجيران يقدمونها لها و تعتبر ذلك إهانة لها و لزوجها، وبالإيمان القوي عندما كانت تتضرع لله تعالى بالدعاء حتّى تتغير حالها، و بالقناعة عندما رفضت اكتناز الأموال التي عثر عليها زوجها و فضلت بدلا عن ذلك بناء مسجد بتلك الأموال و فتح بيت تطوعي لعابري السبيل، ثم وصفتها هذه الحكاية بالكرم و الرحمة عندما رقّ قلبها على المتسول إذ أفرغت كل النقود الذهبية في وسط رغيف الخبز و طلبت منه عدم فتحه أو الأكل منه حتى يصل إلى زوجتيه و أولاده .

و لا تختلف هذه الزوجة عن زوجة الفقير في حكاية " سكرة " التي تحملت بالعفة و عزة النفس عندما رفضت مدّ يدها لأبيها الغني ، و بالطيبة و نقاء السريرة عندما كانت تحث زوجها دائما على الذهاب لزيارة أخيه رغم أنه سرق أموالهم ، ثم وصفتها هذه الحكاية بالإيثار و الكرم عندما كانت تحرم نفسها من بعض الأكل التي كانت تحضره لهم والدتها في بعض المناسبات و تعطيه لأبناء أخ زوجها حتى تتآلف القلوب بين الأسرتين ، و كانت زوجة الفقير في هذه الحكاية حافظة لأسرار بيتها و زوجها ، فعندما كانت تسألها أمها عن أحوالها المادية تحمد الله و تثني على زوجها كثيرا ، و كانت أيضا ذكية و حكيمة عندما اكتشفت أمر اللصوص الأربعين و ساعدت زوجها في التخلص منهم .

و إذا كنّا لا نعثر إلا نادرا على هذين النموذجين في مجتمع القص فإن هذا ما يجب أن تكون عليه زوجة الفقير حتّى تعيش حياة زوجية هانئة ، لأنها إذا لم تتحلى بهذه الصفات سيكون مصيرها كمصير أم التوأمين في حكاية " علي اللفحل و علي الجايح "التي كانت دائمة التذمر من الفقر و دائمة التظاهر بالمرض أمام زوجها حتى تجلب اهتمامه فكان جزاؤها الموت على يد ابنها "علي لفحل" .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-2-5-الشيخ المدبر :

نستطيع أن نستشف الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشيخ المدبر من خلال إشارات خاصة تلمح إلى حالته الاجتماعية، تمثلت هذه الإشارات أساسا في وصف بيته القديم و هندامه الذي يتكون أساسا من سروال عرب رثّ جدا و قندورة قديمة و عمامة يضعها على رأسه تدل على الأصالة والحكمة والوقار؛ إذ تحلى الشيخ المدبر في الحكايات الشعبية التي تناولته بالحكمة ورجاحة العقل ،نتأكد من هذا في حكاية "الوصية "عندما استطاع فك رموز وصية أحد السلاطين الذي ترك لابنه الأكبر حفنة تراب ولابنه الأوسط حفنة عظام ولابنه الأصغر مفتاحا. احتار الأبناء الثلاثة في تفسير فحوى الوصية فاتجهوا إلى الشيخ المدبر لمساعدتهم وفي طريقهم إليه تعرضوا إلى مواقف غريبة تحتاج هي الأخرى لتفسير .

أما **الموقف الأول**: فكان رؤيتهم لاتانة تتمتع بصحة جيدة رغم أنها تعيش في أرض جرداء .

و**الموقف الثاني** : كان رؤيتهم لاتانة نحيفة جدا رغم أنها تعيش وسط المروج الخضراء .

و **الموقف الثالث**: فكان رؤيتهم لكبش ينطح الحجر ثم ينام ويعاود نفس الشيء في اليوم الموالي .

و**الموقف الرابع**: كان رؤيتهم لقدر تغلي وتتوقف لوحدها .

و**الموقف الخامس**: كان رؤيتهم لثعبان استطاع الخروج من الغار وحين أراد الدخول إليه لم يتمكن من ذلك .

و**الموقف السادس** :كان رؤيتهم لشيخ هرم توجهوا إليه و بدأوا في طرح قضيتهم عليه اعتقادا منهم أنه الشيخ المدبر فأخبرهم أنهم أخطأوا العنوان ودلهم إلى المعني .

أما **الموقف السابع** :كان مقابلتهم للشيخ المدبر الذي كان يبدو شابا ،والأغرب من ذلك أن الشيخ الذي صادفوه في الموقف السادس يكون ابنه.

.بمجرد وصول الأبناء الثلاثة إليه طلبوا منه شرح المواقف الغريبة التي واجهوها في طريقهم قبل تفسير وصية أبيهم ،فراح المدبر يشرح هذه المواقف موقفا موقفا وأخبرهم أن الأتانة التي شاهدوها في الموقف الأول حالها حال المرأة التي لا تملك المال لكنها تعيش حياة هنيئة وتحظي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باهتمام زوجها ،أما الأتانه التي شاهدوها في الموقف الثاني فحالها حال المرأة التي تملك المال لكنها تعيش حياة زوجية تعيسة وتعاني إهمال زوجها . أما الكبش الذي شاهدوه في الموقف الثالث فحاله حال الرجل الذي يهدد زوجته العاقر دائما بالزواج ، لكنه لا يفعل ذلك .

أما القدر في الموقف الرابع فحالها حال المرأة التي تكثر الصراخ والشكوى والتذمر دون أن يحمل قلبها حقدا تجاه أحد . أما الثعبان في الموقف الخامس فهو الكلمة التي إن خرجت من الفم فلن تعود إليه أبدا . أما الشيخ الذي قابلوه في الموقف السادس فيكون ابن الشيخ المدبر و قد كبر قبل الأوان لأن زوجته كثيرة الشكوى جاحدة للنعم ،وذاك الشاب الذي هو الشيخ المدبر نفسه فقد بقي شابا لأن زوجته صالحة شاكرة للنعم .

وبعد شرحه لكل هذه المواقف فسر لهم فحوى وصية والدهم وأخبرهم أن نصيب من ترك له التراب هو قطعة الأرض ونصيب من ترك له العظام هو قطيع غنم ونصيب من ترك له المفتاح هو خزينة الذهب .

هذه الرموز المشفرة لا يقوى على فكها عاقل لوحده ،بل يجب أن يجتمع لفكها عقول مجموعة من الحكماء.وفي هذا دليل آخر على جماعية الحكاية الشعبية وفطنة منتجيها، حكمة تتجلى أكثر عندما يستطيع الشيخ المدبر إيجاد الحلول الناجعة لمساعدة الشخصيات الخيرة على تجاوز المحن ،فالشيخ المدبر هو الذي أصلح افتقار السلطان في حكاية "نص عبد" للأولاد رغم زواجه بسبع نساء . فنصحه بإعطاء تفاحة لكل واحدة من نسائه فحملت نساء السلطان السبعة ،وهو من نصح السلطان في حكاية "محمد بن السلطان" بالزواج من ابنة عمه حتى يرزق بالأولاد،وهو من أخبر "احمد الهلايلي" عن مكان "ارداح لمصونة" وهو من خلص "حبحب رمان" من الثعبان الذي استوطن في بطنها بإجبارها على أكل لحم شاة كاملة مالحا دون شرب الماء ثم علقها في شجرة من رجليها فنزل الثعبان من فمها طلبا للماء .وهو من دلّ هارون الرشيد على الطريقة التي تمكنه من الحصول على لبن اللبؤة الموضوع في جلد ولدها والمربوط بشارب زوجها الأسد فنصحه بذبح شاة في اليوم الذي تصاب فيه اللبؤة بالمرض ووضعها أمام أبنائها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخذ هارون الرشيد بنصيحته وانتظر مرض اللبؤة فذبح شاة ووضعها أمام أبنائها الصغار ، فما كان للبؤة سوى أن تتعهد بالأمان لمن قام بهذا الفعل وتلبية كل طلباته حتى لو كان طلبه هو لبنها الموضوع في جلد ابنها والمربوط بشارب زوجها فخرج إليها مهللا وأخبرها أن ذاك طلبه .

الملاحظ أن شخصية الشيخ المدبر في الحكاية الشعبية القصورية قد حلّت محل الشخصية المانحة في الحكاية الخرافية و هما شخصيتان يساعدان البطل على الخروج من الورطة ، لكن الطريقة تختلف ففي حين نجد أن الشخصية المانحة تمنح البطل الأداة السحرية في الحكاية الخرافية ؛نجد المدبر يمنح البطل طريقة ناجعة تعتمد على الحكمة في الحكاية الشعبية .

1-2-6-العجوز الستوت :

في مقابل شخصية الشيخ المدبر الذي يقدم مساعدات للبطل نجد العجوز الستوت تعيق البطل وهي شخصية نمطية تقدمها الحكاية الشعبية القصورية على أنها قوة شريرة تتسم بالمكر والخديعة، وإن أطلقت عليها الحكاية الشعبية اسم الستُّوت فإن أعمالها هي التي صنفتها كونها مدبرة شريرة للشخصيات المناوئة للبطل.

و الملاحظ أن شخصية الستوت لا تلقى أي تأييد من طرف الراوي أو مجتمع القص ويبدو هذا واضحا منذ البداية من خلال صيغ الاستهلال التي لا تخلو من هذه العبارة :((ستوت أم البهوت الله لا يرحمها انهار تموت تسبح وتنبح وتطير ضروس الكلب غال عاد ينبح)) تمهيدا للأعمال الشريرة التي ستقوم بها مقابل ثمن؛ فهي من قامت بإخراج محمد الهلايلي من القصر بعد ما لم يتمكن الجميع من إخراجه، فاستعملت الحيلة وتظاهرت أنها جدته فسمح لها بالدخول، ولما حضر الأكل عابت عليه أكل اللحم دون العظم فأمر بإحضار اللحم بالعظم عندما انتهي من أكله طلبت منه كسر العظم وعندما سألها عن كيفية ذلك نصحته بضربه في نافذة الزجاج ففعل فكُسرت النافذة ،فلم يتحمل احمد الهلايلي روعة ما شاهده من مناظر الطبيعة فخرج مسرعا من القصر. وهي من قامت بمعاودة إدخاله إليه بعد ما أزعج أترابه بتغلبه الدائم عليهم في كل سباقات الخيل فتراجع الناس عن كلامهم وطلبوا منها إرجاعه إلى القصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكان لهم ذلك بفضل حيلة أخرى من حيل الستوت؛ إذ قامت هذه المرة بجمع أكبر قدر ممكن من القرب وملأتها ووضعتها على حافة النهر ثم تظاهرت أنها تصلي ، عند ما أتى احمد الهلايلي كعادته لم يستطع التحكم في فرسه الذي كان شديد الضمأ، ففقع كل قربها . في هذه الأثناء أنهت صلاتها وشرعت في سبّه وشتمه وحمدت الله أنه لم يتزوج برداح المصونة وإلا كيف كان حاله وشأنه ،فعاد بذلك إلى القصر.

فالستوت تفعل أي شيء لإرضاء زبائنها من القوى الشريرة فهي من أوجد الطريقة الناجعة لإبعاد حبحب رمان عن إخوتها السبعة بعدما طعنتها في شرفها.

بعد عرضنا لشخصية كل من الشيخ المدبر والعجوز الستوت نلاحظ أن تدبير الستوت يحدث الافتقار ويفقد الأحداث توازنها بفضل تدبيرها الشرير في حين يقوم الشيخ المدبر بإصلاح الافتقار وإعادة التوازن بفضل تدبيره الصالح.

والواقع أن منح التدبير الحسن للشيخ المدبر ومنح التدبير الشرير للعجوز الستوت ليس عبثيا على الإطلاق بل هو توزيع مقصود من طرف منتج الحكاية رسخ فيه نظرته السلبية للمرأة التي كلما تقدمت في السن صارت ستوتا ونظرته الايجابية للرجل الذي كلما تقدم في السن صار حكيما وشيخا مدبرا.

فمنتج الحكاية الشعبية اكتفى بجعل المرأة مجرد وسيلة يستكمل بها الرجل بطولته المبتورة أو ضحية لا تستطيع الدفاع عن نفسها "كأن يخطفها غول ،أو يتزوجها ساحر ماكر ، أو تجد نفسها وحيدة في الخلاء ، أو يرحل والدها ، أو والداها "[1] كما حدث لبوطماية و "صغرونة"، أو يجعلها زوجة أب شريرة تغار من ربيباتها اليتيمات كما حدث مع اليتيمات، أو زوجة أخ تغار من شقيقة زوجها كما حدث مع حبحب رمان.و ما هذا إلا تجسيد للنظرة الدونية التي تعانيها المرأة من طرف مجتمعها ؛ فالرأي الصائب لا يصدر منها إلا نادرا حتى في الأمور الخاصة بالعائلة أو بها ذاتها ،و إن السيادة لرب البيت و إذا مات احتل مكانه أكبر الأبناء لأنها ناقصة عقل و دين "و إذا أردت تحقير رجل فهو امرأة ومن الشتائم أن يلقب الرجل بأمه.فالمرأة

---

[1] مصطفى يعلى : القصص الشعبي قضايا و إشكالات ، دون معلومات نشر ،ص 10.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحت وصاية أبيها أثناء طفولتها و تحت وصاية زوجها في شبابها و تحت وصاية أبنائها أثناء شيخوختها و ليس لها الحق أبدا في أن تتصرف حسب إرادتها. "[1]

أكيد أن هذه الصورة السلبية التي رسمتها الحكاية الشعبية عن المرأة قد ورثها الإنسان الشعبي في شكل أعراف و تقاليد لم يتجرأ على تجاوزها فخضع لها أولا ثم أخضع المرأة لها ،وتبقى المرأة في كل الحالات راضية بما يتخذه الرجل و المجتمع من قرارات "لأنها حتى و إن ثارت على هذا الوضع فإن ثورتها تبقى محدودة جدا لتأثرها هي أيضا بميراث المجتمع الذي صاغ تلك الصور"[2]وقد تكون صورة المرأة في الحكاية الشعبية مستمدة من تصور ذاتي نسوي/نسوي أبدعته المرأة عن نفسها لنفسها أو رسمته عن نفسها لغيرها أي الرجل ، كحكاية علم النساء التي كشفت المستور للرجل عن المرأة و ذلك في عدة مواقف إذ تؤكد كلها خداع المرأة لزوجها إما بإخفاء الأكل عليه ، أو بالتظاهر بعدم الأكل ،أو بخيانته.

---

[1] أحمد رشدي صالح ، مرجع سابق ،ص228

[2] عزي بوخالفة : الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية ،-دراسة ميدانية في مدينة المسيلة- ،بحث معدّ لنيل الماجستير جامعة الجزائر ،1994، ص147.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-2 - الأسرة و علاقاتها في الحكاية الشعبية القصورية :

الأسرة :"هي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة" [1] و هذا الاجتماع" يجب أن يسير وفق قواعد خاصة به تعمل على تنظيم و تنسيق العلاقات بين الناس كعلاقة الدم و القرابة التي تحدد حق الوالدين على الأبناء وواجبات الأبناء نحو والدهم" [2]

فالأسرة بهذا هي" رابطة اجتماعية من زوجين و أطفالهما ، أو بدون أطفال ، أو من زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها ، و قد يتسع نطاق الأسرة ليشمل الأجداد والأطفال و بعض الأقارب شريطة أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة."[3]

و يتحدث علماء الاجتماع عن نوعين للأسرة :

1- الأسرة النووية :

و هي عبارة عن جماعة تتكون من زوجين و أبنائهما غير المتزوجين ،و ينتمي الفرد في العادة إلى أسرتين نوويتين الأسرة النووية التي تربى فيها ، و تعرف باسم أسرة التوجيه ،و الثانية التي يقوم فيها بدور الأب و هي أسرة التكاثر

2- الأسرة المشتركة :

تتكون كل أسرة مشتركة من أسرتين نوويتين أو أكثر ترتبط ببعضها من خلال خط الأب أو خط الأم ،أي من خلال علاقة الأب و الابن، أو الأخ و أخيه و كذلك الأخ و أخته و تكاد تكون الإقامة المشتركة هي القاعدة دائما .[4]

أسرة مشتركة =مجموع أسرتين نوويتين فأكثر .

---

(1) مصطفى الخشاب :دراسات في علم اجتماع العائلة، ص 13.

(2) أحمد خشاب : مبادئ علم الاجتماع،ط2 مكتبة مصر ،القاهرة ، ص 964.

(3) فادية عمر الجولاني :تحليل اجتماعي لبناء الأسرة و المجتمع ،دون دار نشر ،دون بلد نشر ،1995،ص12.

(4) ينظر محمد الجوهري : الانثربولوجيا ، مرجع سابق ، ص224، 225.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و إذا أرادنا أن نبحث عن هذين الشكلين في مدونتنا فإننا نجد أن الحكاية الشعبية لم تقصر في تناول كل منهما و لكن بدرجات متفاوتة ؛ ففيما يخص الأسرة النووية فإننا نجدها في حكاية :

1- "عصفور و جرادة"التي تفتتح أحداثها بزوجين يعيشان حياة مستقلة و يبحثان عن عمل.

2- "علي اللفحل و علي الجايح "التي تقول في البداية أن هناك زوجين رزقا بتوأمين أحدهما ذكي و الآخر غبي.

3-"ابنة الفقير "التي تروي قصة فتاة كانت تعيش لوحدها مع والدها وعندما تزوجت عاشت مع زوجها حياة مستقلة عن أبيها و أسرة زوجها .

4- "سكرة "التي افتتحت أحداثا برجل متزوج من امرأتين عندما مات تزوج ولداه و عاش كل واحد منهما حياة مستقلة عن الآخر وذكرت أن أحد الأخوين كان غنيا و الآخر فقيرا.

5-"فاعل الخير" التي عرضت حياة سلطان قامت زوجته بتقديم تاجها كصدقة لأحد المتسولين.

6-"اليتيمات" التي تعرض حياة سلطان ماتت زوجته وتركت له ثلاث بنات، تزوج مرة أخرى حتى تقوم زوجته برعايتهن .

أما فيما يخص الأسرة المشتركة فإننا نجدها في حكاية :

1-"حب حب رمان "التي افتتحت أحداثها بأم تعيش مع سبع إخوة و أزواجهم .

2-"فرحات " التي ذكرت في ثناياها أن الفقير يعيش مع زوجته و أمه.

3-"علم النساء" التي ذكرت أن البطل عاش مع والدته بعد زواجه .

4-" الوصية " التي افتتحت أحداثها بسلطان يعيش مع ثلاث أبناء كلهم متزوجون .

5-"منحوس " التي وصفت في البداية حال عائلة منحوس و ذكرت أنها كانت مكونة من الجد و الجدة و الأعمام و زوجاتهم قبل ولادته .

6-"هارون الرشيد " عندما ذكرت في البداية أن زوجته تعيش مع والديه ، ثم أقرت في ثناياها أن السلطان عاش مع أصهاره في بيت واحد .

7-"ابن عمير " الذي عاش في بيت صهره السلطان بعد الزواج من ابنته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8- "يحي بو لحي "التي ذكرت أن يحي متزوج و يعيش مع أمه، و ذكرت أيضا أن أخته كانت تعيش مع حماها و حماتها .

9-" رداح المصونة" التي أقرت في البداية أن والد محمد الهلايلي كان يعيش مع أمه ،ثم ذكرت أن محمد الهلايلي عاد و عاش مع والديه بعد الزواج.

10-" نصف عبد "التي أبدى فيها السلطان رغبته في العيش مع أبنائه بعد الزواج.

11-" محمد بن السلطان "التي أبدى فيها السلطان أيضا رغبته في العيش مع أبنائه بعد الزواج.

12-"سي مديه و سي ملحق أخوه " التي ذكرت أن البطل ترك والدته مع جدته و أعمامه وزوجاتهم قبل خوض رحلته .

13-" حد الزين " التي ذكرت أن غانم عاد مع زوجته و صديقه للعيش مع والديه .

14-"حكاية الإخوة " التي عرضت مغامرات ثلاث إخوة متزوجين و يعيشون في بيت واحد.

15-" الكبدة" التي ذكرت أن الأم ذهبت للعيش مع إخوتها المتزوجين بعد وفاة زوجها .

أما حكايات؛" الغبي" و "شيء ما هو شيء " و "جحا" "سي عليبو علي " ...فقد تعرضت لمغامرات البطل بصورة فردية فلم تركز على حياته الأسرية .

و لعل أول شيء يمكن ملاحظته من خلال هذا العرض أن عدد الأسر المشتركة في الحكاية الشعبية يفوق بكثير عدد الأسر النووية وهذا ما ينطبق بالفعل على مجتمع البحث إذ لاحظنا ذلك خلال معاينتنا الميدانية المباشرة ،فيقول قائل من خلال هذا أن الإنسان الشعبي القصوري يفضل العيش في كنف الأسرة المشتركة على حساب الأسرة النووية و الحقيقة حسب مجتمع البحث حتى و إن أراد البعض إنكارها غير ذلك ، فالإنسان القصوري كأي إنسان يحب العيش مع زوجته و أولاده بعيدا عن هموم ومشاكل الأقارب و العائلة فكما يردد الكثيرون هناك عبارة (هَمّْك من دَمّكْ) ،لكنه مجبر مع ذلك على تقبل العيش في كنف العائلة المشتركة بحكم خضوعه لتقاليد المجتمع التي تفرض عليه العيش مع والديه و إخوته بعد الزواج ولا يمكنه الانفصال عنهم إلا بعد تزويج ابنه الأكبر أي بعد أن تصبح لديه أسرة مشتركة خاصة به .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الغريب في الأمر أن الإنسان الشعبي القصوري حاليا متيقن أن فوائد العيش في الأسرة النووية تفوق بكثير فوائد العيش في الأسرة المشتركة ومع ذلك يبقى مع عائلته الكبيرة لأنه لا يستطيع تجاوز عادات الأجداد . و في هذا تجسيد لتغلب السلف على الخلف .

و ما يمكن ملاحظته أيضا من خلال العرض السابق أن المجتمع الشعبي القصوري واع بأهمية الأسرة ومدرك كل الإدراك أن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا في كنفها وخير دليل على ذلك أنه أنتج عشرين حكاية تتناول الأسرة بنوعيها من أصل ثلاثة و ثلاثين حكاية مدروسة.

بعد تعرضنا للأسرة بنوعيها في الحكاية الشعبية سنتطرق فيما يلي إلى طبيعة العلاقات التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة .

2-1-1- علاقة الوالدين بالأبناء :

الولد هو أغلى ما يملك الإنسان و هو أحب إلى النفس من النفس ، و هذا الشيء ليس غريبا على الأب و الأم فالأب يرى في ابنه امتدادا لذاته و استمرارا لوجوده و حياته و تأكيدا للقدرة على الرغبة في العطاء ،و ترى الأم في ولدها الأمل و الوسيلة في الحفاظ على زواجها لذلك نجد الوالدين في الحكاية الشعبية حريصين على نقل الخبرة و المعرفة إلى الأبناء عبر التربية و التلقين و التعليم و لا يكتفيان بذلك فقط بل يسعيان إلى تطوير الخبرة و تعميق المعرفة نحو الأكمل و الأرفع محاولين جهدهما تجنيب الأولاد ما وقعا فيه من أخطاء .

إذن لا يقتصر دور الوالدين على الإنجاب و الإطعام و الكساء و تأمين العيش ، بل يتعداه إلى التوجيه و التربية و النصح و الإرشاد .

ومن ذلك حكاية" الصاحب "التي تروي قصة أب سأل ولده ذات يوم عن صحبه، فأخبره أن له كثيراً منهم، وأنهم جميعاً مخلصون له أوفياء، فأراد الأب امتحانهم، فأقام لهم وليمة، دعاهم إليها، ثم وضع في غرفة وراء باب الدار أكياساً من الملح، ولدى انتهاء الوليمة، وقف الوالد أمام تلك الغرفة، وأخذ يسأل أصحاب ولده وهم يخرجون صاحباً صاحباً عن مدى إخلاص كل واحد لولده بمقدار ما يأكل من ملح، وكان كل واحد منهم يؤكد أنه على استعداد لتناول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القناطير، ولكنهم كانوا جميعاً يعجزون عن تناول ملعقة أو ملعقتين ويخرجون خائبين، غير قادرين على تأكيد مقدار إخلاصهم لولده، و لم يبق سوى صاحب واحد، ولما سأله الأب السؤال نفسه، بلّ هذا الصاحب إصبعه بلسانه، ثم لعق ملعقة واحدة من الملح، وقال للأب: "من لا يفي لذرة ملح، لا يمكنه أن يفي لقنطار"، وعندئذ قال الأب لولده: "هذا هو الصديق الحق فالزمه و لا تتركه".

و هذا الجزء من الحكاية بالغ الدلالة على حرص الأب على اختيار الصديق الوفي لولده، وهي تنطلق من عادة شعبية قوامها ما يكون بين الأصدقاء من الخبز والملح، وهي تقتضي بعد ذلك الوفاء.

و في نفس الحكاية سأل الأب ابنه مرة أخرى عن مدى استعداد أصدقائه لتلبية ما يطلبه منهم ومقدار وفائهم له، فأكد له أنهم جميعاً مخلصون له، وقادرون على نجدته في ساعة العسر، فأراد الأب امتحانهم، فأتى بخروف فذبحه، ثم وضعه في كيس، وطلب من ولده أن يحمله ثم مضى معه ليلاً إلى صحبه، وطلب منه أن يطرق عليهم الباب واحداً واحداً، يرجوهم أن يخبئوا جثة رجل تورط في قتله، وإذ بأصحاب ولده جميعاً يعتذرون له، ويرفضون إجابة طلبه، وما كان من الأب إلا أن حمل الكيس، ومضى إلى أحد أصدقائه، وقرع عليه الباب، فخرج إليه صديقه مرحباً، فطلب الأب من صديقه أن يخبئ عنده جثة القتيل المخبأة في الكيس إلى الصباح، فاستجاب الصديق إلى سؤاله، وأسرع يحمل عنه الكيس.

و هذه الحكاية حملت قدراً غير قليل من التشاؤم لتحذير الولد من الإكثار من الصحب، ولكنها تدل على نية حسنة، ورغبة عميقة في تجنيب الولد رفاق السوء.

و إن كان الأب حريصا كل هذا الحرص على ابنه فما بالك بالأم رمز الرقة و منبع الحنان، فالأم لا تكتفي بتقديم التربية و الحنان بل تضحي بذاتها لأجل ابنها ولا نجد أفضل من حكاية "الكبدة "لتجسيد هذا المعنى.

تروي هذه الحكاية قصة أمّ كانت تعاني ازدراء و احتقار ابنها لها لأن منظرها كان يبدو قبيحا دون أحد عينيها . تمضي الأيام و يكبر الفتى و يتزوج و يعيش بعيدا جدا عن والدته و لم يخطر في باله أبدا أن يسأل عنها ، بل هي من كانت تسأل عنه حتّى عرفت مكانه فذهبت إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكلها أمل في أن يستقبلها استقبالا يليق بمقامها بعد مرور وقت طويل من رؤيتها. بمجرد أن فتح لها الباب أمطرها بوابل من الشتائم و الإهانات .غادرت الأم بيت ابنها يائسة مكسورة الخاطر .بعد مدة قصيرة ماتت الأم و رفض الابن حضور جنازتها ، لكنه لم يتردد في قراءة الرسالة التي تركتها ظنا منه أنها الوصية ،فإذا به يصطدم بحقيقة مرة تقول أنه تعرض في صغره لحادث خطير أفقده إحدى عينية فأشفقت أمه عليه و خافت أن يقضي ابنها حياته مشوها فتبرعت له بعينها.

قدمت لنا هذه الحكاية أقصى ما يمكن أن تصل إليه تضحية الأم ، و أقصى ما يمكن أن تصل إليه قسوة الابن .و إن كانت نهاية هذه الحكاية تمثل صفعة قوية في وجه هذا الابن العاق؛فإنها تمنح فرصة لبقية الأبناء لمراجعة علاقاتهم مع أمهاتهم .

إذا كانت كل من حكاية "الكبدة" و حكاية " الصاحب" قد رسمتا معا صورا مثالية عن تضحية الأم و حرص الأب ؛فإن كلا من حكاية "محمد بن السلطان" و "علي اللفحل و علي الجايح "و " الطير بو ريشة " قد محت هذه الصور ؛ففي حكاية "محمد بن السلطان " أراد الأب قتل أبنائه لأجل امرأة ، و في حكاية "علي اللفحل و علي الجايح" حاولت الأم قتل ابنها لأنه غبي ،و في حكاية "الطير بو ريشة" حاولت الأم قتل ابنها الوحيد لأنه قيد حريتها نوعا ما .

في المقابل نجد أن الابن لا يتسامح أبدا مع والديه ؛فقد قام محمد بن السلطان بقتل والده لأنه طمع في زوجته ، وقتل علي اللفحل أمه لأنها كانت تريد قتل أخيه، وسجن الطير بو ريشة أمه لأنها كانت تريد قتله ، و قتلت ابنة السلطان الكبرى والديها لأنهما عارضا زواجها من الخادم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-1-2- العلاقة الزوجية :

لم تهتم الحكاية الشعبية القصورية كثيرا بعرض الحياة الزوجية لأن الكثير من الحكايات انتهت بالزواج على غرار حكاية "حد الزين" التي انتهت بزواج غانم من حد الزين و حكاية "رداح لمصونة" التي انتهت بزواج احمد الهلايلي من رداح ،وحكاية " الطير بو ريشة " التي انتهت بزواج البطل من "ودعة" ، و حكاية " محمد بن السلطان " التي انتهت بزواج محمد بن السلطان من ابنة القبائل و حكاية "ابن عمير " التي انتهت بزواج البطل من ابنة السلطان، و حكاية "ناقة عمار اليهودي " التي انتهت بزواج "نصف عبد" من ابنة السلطان .

و هذه الحكايات حتى و إن لم تتعرض للحياة الزوجية فإنها مهدت لحياة زوجية سعيدة من خلال توافر شروط الزواج الناجح .

أما باقي الحكايات ؛فلا يمكن و صف العلاقات الزوجية فيها بالناجحة تماما مادمنا قد سجلنا الطلاق في ثلاث حكايات كاملة ، وهي :

1- حكاية علم النساء: التي سجلنا فيها ثلاث حالات للطلاق .

الحالة الأولى :عندما اكتشف الفلاح بمساعدة البطل أن زوجته تخفي عنه الأكل لتلتهمه وحدها.

الحالة الثانية :عندما اكتشف الرجل المسكين بمساعدة البطل أن زوجته كذبت عليه وأقنعته بأن القدر تقوم بأكل اللحم بينما كانت هي من يفعل ذلك .

الحالة الثالثة : عندما اكتشف البطل أن زوجته نقوم بخيانته مع ابن عمها .

2-حكاية حبحب رمان : عندما اكتشف إخوة حبحب رمان الستة أن زوجاتهن هن من دبر مكيدة للبطلة للتخلص منها .

3-حكاية فاعل الخير : عندما علم السلطان أن زوجته قد تصدقت بتاجها لأحد المتسولين ، فلم يكتف بتطليقها فقط،بل بتر يدها أيضا .

إذا كان الطلاق قد نجم في الحكايتين الأولى و الثانية عن أخطاء مرتكبة من طرف المرأة؛ فإنه في الحكاية الثالثة ناجم عن خطأ من الرجل الذي لم يقدّر طيبة زوجته و نبلها، أي أنّ اللوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلقى على الطرفين .و هذا دليل على أن مجتمع البحث يدرك بأن نجاح العلاقة الزوجية يتوقف على الطرفين ،لكنه مع هذا مقتنع بأن مسؤولية الطلاق تتحملها المرأة أكثر من الرجل ؛فالزواج في حكاية " البخيل و الناعس " و حكاية " سكرة" و حكاية " هارون الرشيد "ما كان ليكون ناجحا لولا تحلّي المرأة بشيم العفة و القناعة و الصبر و رجاحة العقل ، وهي صفات في الحقيقة لا تملك المرأة إلا أن تتجمل بها و إلا تهددت حياتها الزوجية .

2-1-3- علاقة الأخ بالأخ :

تختلف في الحكاية الشعبية القصورية علاقة الأخ بأخيه الشقيق عن علاقته بأخيه غير الشقيق اختلافا جذريا . فالعلاقة بين الشقيقين هي علاقة حبية و دية ظهرت في حكاية " بوطماية" عندما أمسك كل من "حسن" و الحسين" بيد أخيه و لم يفترقا طوال أحداث الحكاية ، و لم يهنأ لهما بال إلا بعد العثور على شقيقتهما "بوطماية". و تجسدت هذه العلاقة أيضا في حكاية " علي اللفحل و علي الجايح" عندما تخلص علي اللفحل من أمه لأجل توأمه .

أما العلاقة بين الأخوين غير الشقيقين ؛فهي علاقة انفصال و تنافر تام وصلت حدّ العداوة في حكاية "محمد بن السلطان" التي ذكرت في البداية أن السلطان رزق بسبع أولاد من أمهات مختلفات .نشبت بين الأبناء عداوة كبيرة لأجل امرأة . تجسدت هذه العداوة في حكاية " سكرة" التي أقرت في البداية بأن أم الفقير نزلت ضرّة على أم الغني ، و كان هذا كافيا حتى ينشأ حقد كبير في قلب أم الغني و هو الحقد الذي غرسته في قلب ابنها فحرم أخاه من الميراث.

و تفضيل الأخ الشقيق على الأخ غير الشقيق أمر طبيعي في الحكاية الشعبية لأن الرابطة الدموية في الحالة الأولى هي رابطة قوية لأنها مزدوجة يشترك فيها الأب و الأم معا ،أما الرابطة في الحالة الثانية ؛هي رابطة ضعيفة تقتصر على الأب فقط الذي لا يهتم كثيرا بزرع روح المودة بين الأبناء ، هذا إضافة إلى أن العلاقة المتوترة بين الضرائر يكون لها انعكاس سلبي على الأبناء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لا يتفق الإخوة غير الأشقاء إلا في حالة واحدة عندما يتفق ستة منهم ضد أخيهم البطل بعد تفوقه عليهم في كل المجالات، كما حدث لنصف عبد الذي اتفق إخوته على قتله بعدما أثبت أنه أفضلهم و أشطرهم رغم نقص قامته .

2-1-4-علاقة الأخ بالأخت :

لقد قام الأخ بما هو مطلوب منه تجاه أخته في الحكاية الشعبية القصورية ؛فقد احتضن الإخوة السبع حب حب رمان بينهم بعدما مات زوجها ، و غمروها بالدفء و لبوا لها جميع مطالبها، فعاشت هناك معززة إلى أن دبّت الغيرة في قلوب زوجات إخوتها (ما عدا زوجة أخيها الأصغر)و دبّرن لها مكيدة دنيئة و لفّقن لها تهمة تمس شرفها و شرف إخوتها ،فقرر إخوتها إقامة الحد عليها ، لكنها فرت مع ابنها قبل ذلك ، و لم تعد إلى بيت إخوتها إلا و هي تحمل دليل براءتها في يدها ، و في هذه الحالة لم يملك إخوتها سوى طلب الصفح منها.

فعلى الأخ أن يقوم بحماية أخته و مد يد العون لها ، و في المقابل على الأخت صيانة شرفها و الحفاظ عليه لأنه من شرف أخيها و عليها أن تقوم مقام الأم في غيابها ، فبوطماية هي من سهرت على رعاية أخويها "حسن"و "الحسين"، فبعدما أشرفت على ولادتهما أمّنت لهما الأكل و المأوى ، و عرّضت نفسها للخطر عندما كانت تعود في وقت متأخر إلى البيت .في المقابل نجد أن حسن و الحسين ردّا لها الجميل بعدما عثرا عليها .

2-1-5-علاقة الأخت بالأخت :

إذا تأملنا علاقة البطلة بأخواتها فإننا نجدها غير حميمة على الإطلاق ،فإما أن تعاني البطلة من غيرة شقيقاتها كما حدث لبوطماية مع شقيقتها الكبرى التي كانت تغار من حسن بوطماية وجمالها، فقررت تعيينها خادمة لديها و منعها من رؤية زوجها حتّى لا يفتتن بجمالها ، و إما أن تعاني من احتقار إخوتها لها بعد زواجها من فقير و زواجهن من رجال ينتمون إلى طبقة راقية، وهذا ما حدث تماما للبطلة في حكاية "هارون الرشيد" في أكثر من موقف ، و لكن مع هذا لم يصل شعور الغيرة لدى أخت بوطماية حد التفكير في قتلها أو إبعادها ، و لم يصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شعور الاحتقار في حكاية بوطماية حد التفكير في قطع وصالها و عدم زيارتها ،فقد كن يقمن بزيارتها كلما اقتضت الضرورة ذلك .

2-2-علاقة الفئة الفقيرة بالفئة الغنية و الحاكمة:

2-2-1-علاقة الفئة الفقيرة بالفئة الغنية :

لقد استطاعت الحكايات الشعبية القصورية مجتمعة التعبير عن علاقة الفئة الفقيرة بالغنية وخاصة الحاكمة بطريقة ذكية جدا تنم عن حكمة منتج الحكاية الشعبية لأنها التزمت العدل والموضوعية مقياسا للحكم على الفئتين، فعاقبت الغني ليس لأنها تحسده أو تغار منه فقط ، بل لأنه طماع لئيم أيضا وكافأت الفقير ليس لأنها تتعاطف معه فقط ،بل لأنه عفيف نبيل أيضا.

المتصفح للحكايات الشعبية التي تناولت علاقة الفئة الغنية بالفقيرة يلاحظ انتصار الفئة الفقيرة على الغنية في كل الحالات بداية بحكاية سكرة ثم حكاية البخيل و الناعس ووصولا إلى حكاية علي اللفحل و علي الجايح .

أولا : حكاية سكرة .

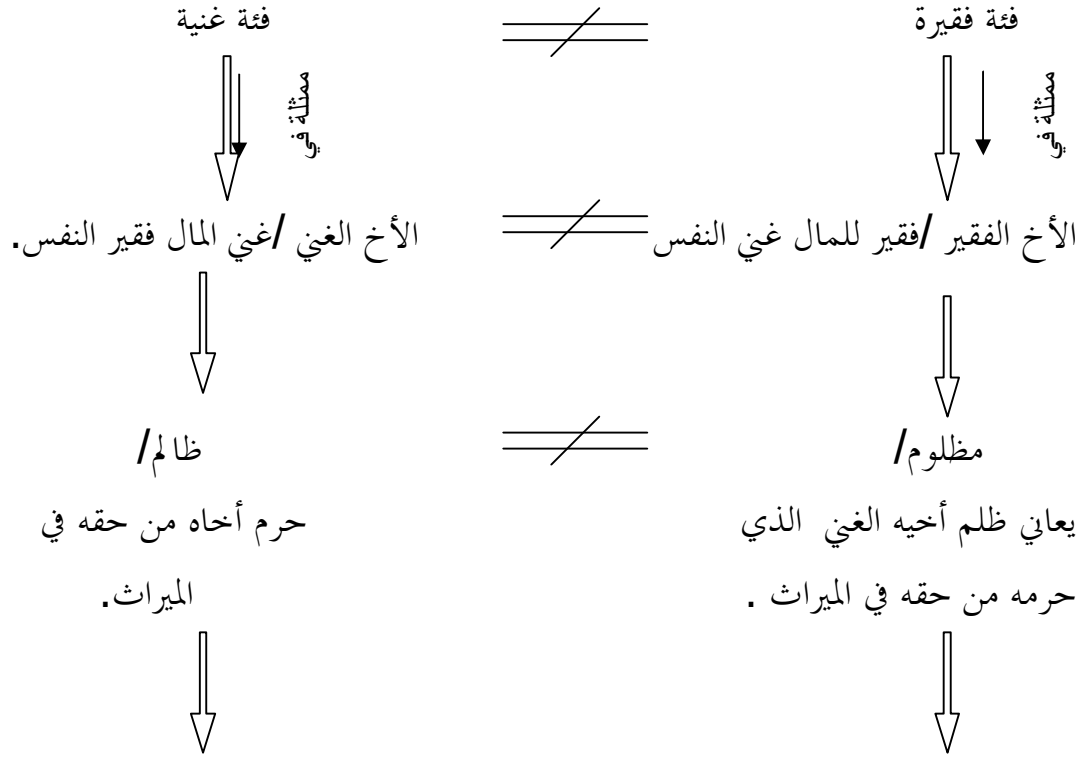

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عفيف النفس/ ≠ لئيم/

لأنه خجل من طلب حقه من أخيه ≠ لأنه رفض رد المال لأخيه

⇓ ⇓

حامد / ≠ جحود /

يحمد الله دائما رغم فقره المتقع ≠ لم يشكر الله أبدا على نعمه

⇓ ⇓

يجازيه الله على صبره ويرزقه من حيث لم يحتسب و دله إلى كنز

عاقبه الله فلم يبارك له في أمواله.

قنوع ≠ طماع

لأنه أخذ القليل من الذهب الموجود في المغارة. ≠ لأنه لم يقنع بأخذ القليل فجنى على نفسه.

النتيجة

⇓ ⇓

يصبح غني المال و غني النفس / ≠ قتله طمعه فمات فقير المال فقير النفس .

فرغم حصوله على المال بعد تخلصه من اللصوص يفكر في توزيع الأموال على الفقراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا : حكاية البخيل والناعس.

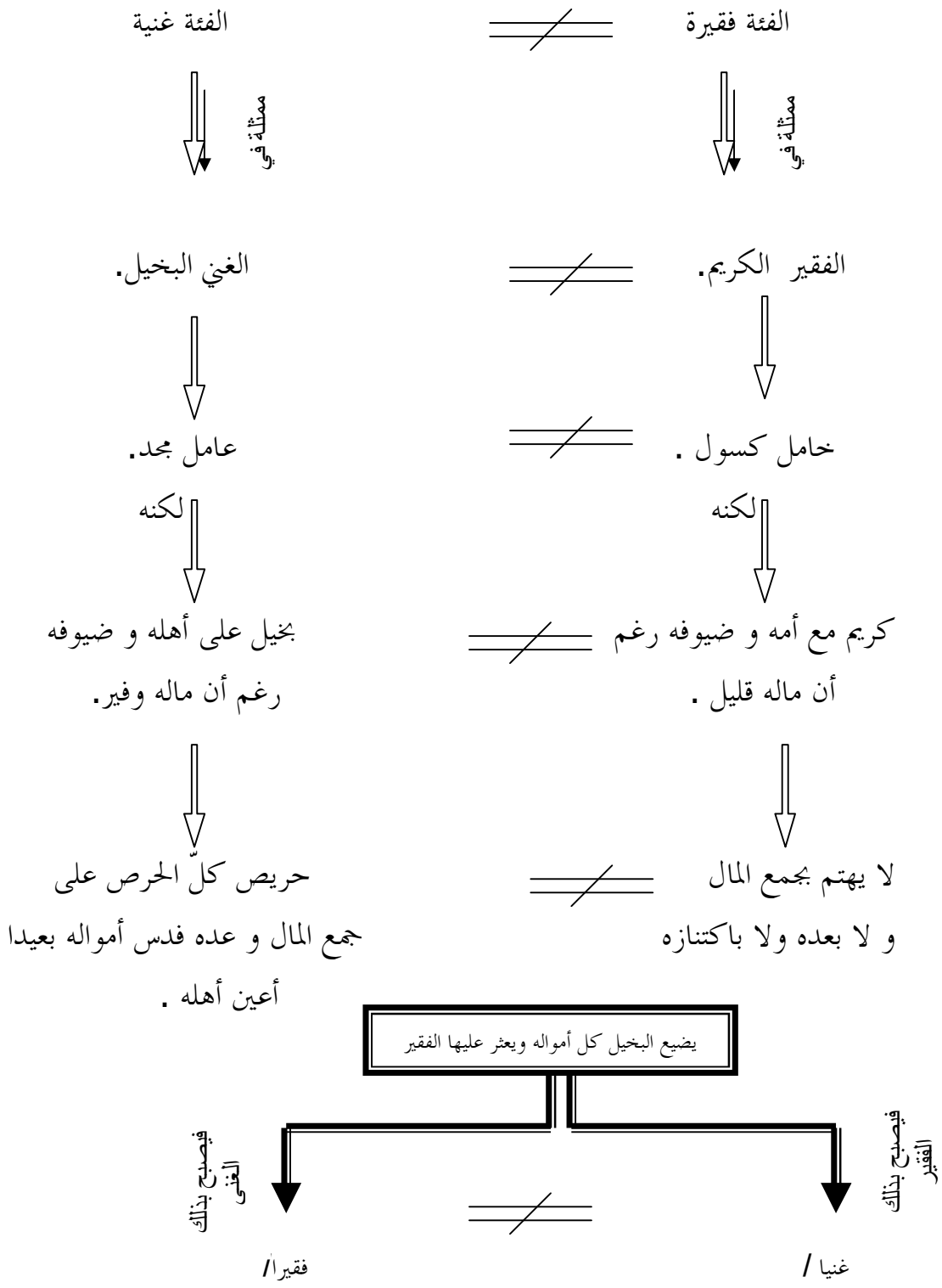

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

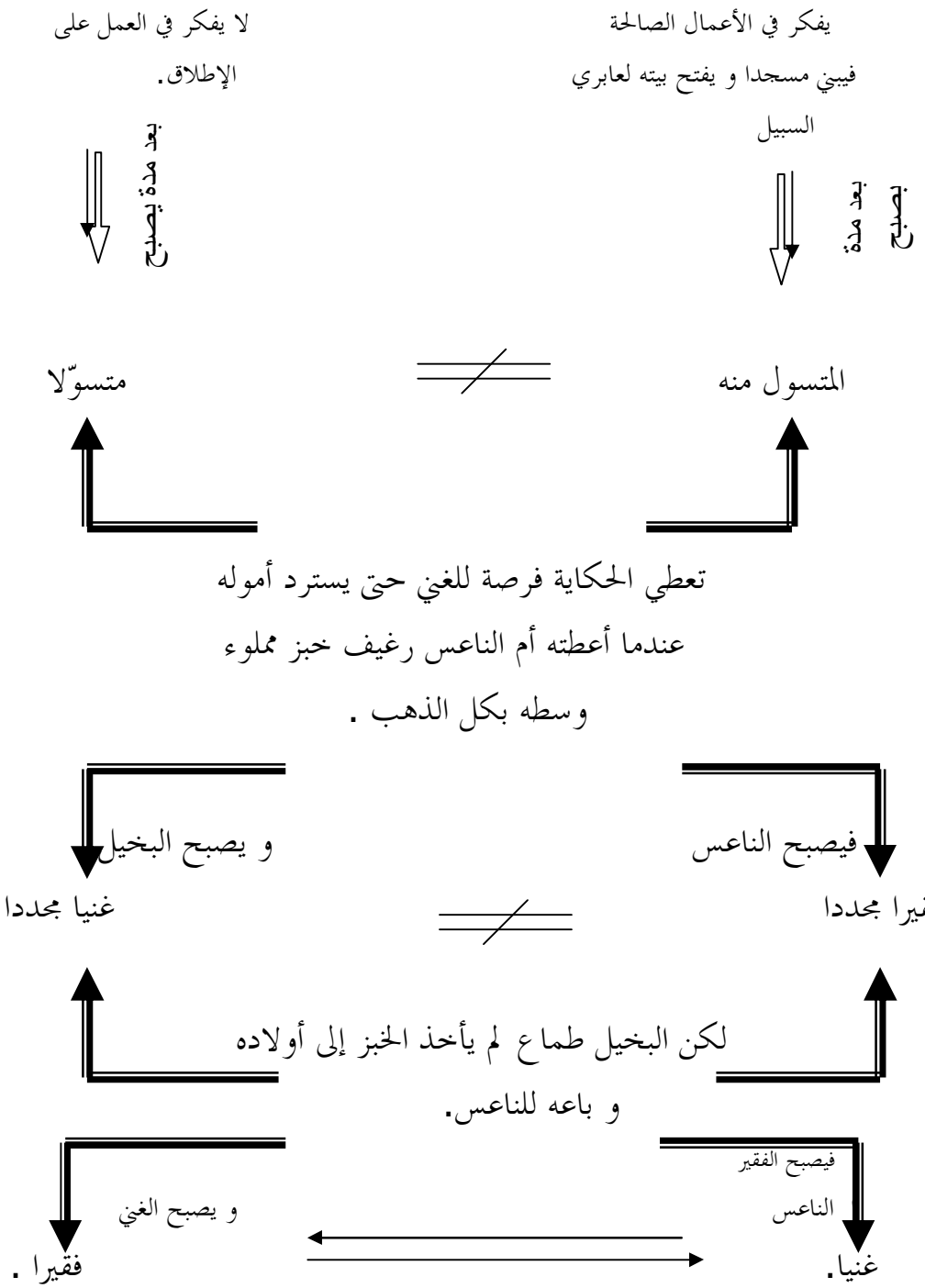

تعطي الحكاية فرصة للغني حتى يسترد أمواله
عندما أعطته أم الناعس رغيف خبز مملوء
وسطه بكل الذهب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: علي اللفحل وعلي الجايح .

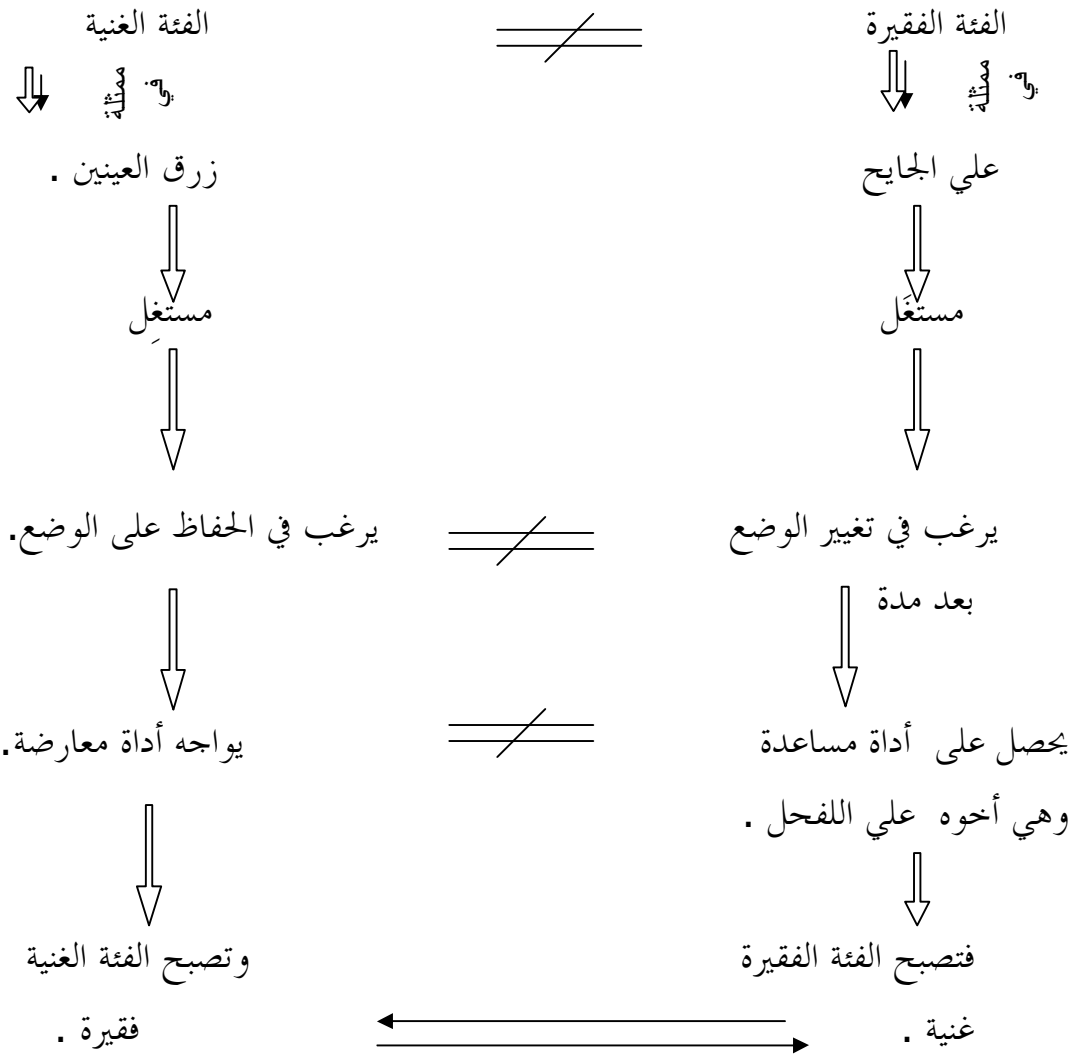

المتأمل لهذه الحكايات يلاحظ أنها انتهت بمعادلة عكسية صحيحة لأنها أكدت أنّ الفقر و الغنى أمران نسبيان إذ يمكن للفقير أن يصبح غنيا في يوم من الأيام ، كما يمكن للغني أن يصبح فقيرا .وعكست هذه الحكايات رغبة الفئات الفقيرة في تغيير أوضاعها و أملها في التغلب على الفئة الغنية ، و قد تحقق لها ذلك بفضل ثلاث طرق مختلفة :

الطريق الأول:تمثل في الدعاء و التضرّع لله تعالى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطريق الثاني : تمثل في عامل الحظ؛إذ انتقل المال من الغني إلى الفقير عن طريق الحظ بعدما جرفت الأمطار كيس مال الغني البخيل و وضعتها أمام منزل الفقير الناعس الذي لم يبدِ أبدا رغبة في تغيير وضعه فاستدركت الحكاية الوضع و أدركت أنها تعاطفت كثيرا مع الفقير فمنحت الغني فرصة لاسترجاع أمواله ، لكن طمعه و أنانيته منعاه من استردادها .

الطريق الثالث : تمثل في محاربة الغني بسلاحه و هو المكر و الخداع .

2-2-2- علاقة الرعية بالطبقة الحاكمة :

تحدثنا عن علاقة الفئة الفقيرة بالفئة الغنية . والآن سوف نتحدث عن علاقة الطبقة الفقيرة بالطبقة الحاكمة أو بعبارة أخرى علاقة الرعية بالسلطان.

إذا كانت علاقة الطبقة الفقيرة بالطبقة الغنية هي علاقة صراع ينتهي بانتصار الفقير على الغني ،فإن هناك تناقضا في تصور الحكاية الشعبية لعلاقة المحكوم بالحاكم ؛فأحيانا نجد حكاية تمجد بطلا من الطبقة الحاكمة وأحيانا أخرى نجد حكاية تمجد بطلا كادحا من عامة الشعب وهذا التناقض أمر حتمي يجسد الوعي السياسي الذي يتمتع به منتج الحكاية الشعبية .

1- **الحكايات التي تمجد البطل من الطبقة الحاكمة** :هدف البطل فيها هو الزواج من ابنة السلطان كما هو حاصل مع أحمد لهلايلي في حكاية رداح لمصونة وغانم في حكاية حد الزين و الطير بوريشة في حكاية الطير بوريشة.

المتأمل لهذه الحكايات يلاحظ أن الطبقة الحاكمة تكاد تكون منفصلة عن الرعية لولا وجود لعجوز الستوت والشيخ المدبر لحاجة الطبقة الحاكمة الملحة لهما، و لم تعطينا هذه الحكايات تفاصيل كثيرة عن السلاطين وأبنائهم لأن صورتهم غير معروفة لدى الرعية ، إذ يمارس السلطان سلطته المطلقة على الرعية إذ جنّد كل من السلطان وأبنائه أبناء الرعية وأجبروهم على محاربة بعضهم البعض لأجل امرأة وهي قضية خاصة لا تنفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرعية في شيء. ولكن مع ذلك ليس للرعية التفوّه ولو بكلمة رفض واحدة لأنه لا حول ولا قوة لهم.

وأشارت إليه ضمنيا في حكاية رداح لمصونة عند ما عاد محمد الهلايلي إلى أرضه وجند كل رعيته لأجل الزواج بابنة السلطان .

و هو ما لمحت إليه أيضا في حكايات الحيوان ؛فجسدت حكاية "الثئران الثلاثة"حبّ السلطان للتملك في شخص الأسد الذي لم يرق له رؤية رعيته قوية ، ففكر في كسر شوكتها حتّى لا تقوى عليه ،فاستعان بالذئب للقضاء عليها و كان له ذلك .

و جسدت حكاية "الذئب و القنفذ" تطاول الطبقة الحاكمة على الرعية في شخص الذئب الذي استهان بالقنفذ في البداية ثم رفض الاعتراف بالهزيمة أمامه فقرر أكله .

ولعل الذي يحمل الرعية على الإذعان للحاكم هو شعورهم بالامتنان لسلاطينهم لأنهم يقومون برعايتها وحمايتها من نوازل الدهر .شرط أن لا تتجاوز الرعية حدود المرعى .

فحق الرعية على السلطان هو حق الحياة ،ولا تهم الكيفية وحق السلطان على الرعية هو حق الطاعة.

الطبقة الحاكمة ≠ الرعية/الطبقة المحكومة .

↓ ↓

طبقة قاهرة ≠ طبقة ترضى بالقهر .

↓ ↓

لأن لديها القوة و السلطة . لأنها لا تملك إلا الفقر و الضعف.

↓ ↓

قادرة على حماية رعيتها. عاجزة على حماية نفسها.

↓ ↓

أعطى الحاكم الرعية أعطت الرعية الحاكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حق الحياة . ⟵⟶ الطاعة المطلقة

2-الحكايات التي تمجد البطل من الطبقة الكادحة :هدف البطل فيها هو هدف مزدوج ؛ الوصول إلى السلطة و الزواج من ابنة السلطان ولا تهم الطريقة "لأنه كلما اشتد الحرمان على الطبقة المسحوقة قويت فيها الأحلام بالفرح وهذا الفرح لايتحقق إلا بالسرقة والخداع لأن المحروم لم يعد يتحمل ثقل الفقر وهو يرى في الجهة الأخرى قناطير من الذهب مكدسة في خزينة السلطان "[1] لذلك يقرر"ابن عميّر" السطو عليها وفي هذا يبدأ صراع طويل بين الطبقتين.

[1] عزي بوخالفة ،مرجع سابق ،ص195.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قام اللص بالعمليات التالية:

1- إحساس البطل بالفقر يحوّله إلى لصّ يسطو على مخزن السلطان

وكانت ردود أفعال السلطان التالية :

السلطان يدرك النقص في خزانته فيلجأ إلى المدبر الذي يطلب منه تشديد الحراسة. -1

2- اللص يتحدى الحراسة الجيدة ويسرق المخزن ثانية مع أخيه

يدرك السلطان النقص ثانية ويلجأ إلى المدبر الذي ينصحه بتدعيم الحراسة.

2-

3- اللص يتحدى السلطان ويسرق الخزينة مرة أخرى.

المدبر ينصح السلطان بوضع الفخ في مدخل المخزن . -3

4- اللص لايبالي ويسرق المخزن لكنه يفقد صديقه فيضطر إلى حز رأسه وترك باقي الجسد في مخزن السلطان.

السلطان يفاجأ بوجود جسد بلا رأس في مخزنه. المدبر يطلب منه وضع الجسد في الطريق. وسيأتي أهله لأخذه ومن ثم يعرف اللص. -4

5- اللص يدرك اللعبة فيتنكر في شكل حيوانات غريبة يخشاها الحراس . يأخذ اللص جسد صديقه

المدبر ينصح السلطان بنثر الذهب على الطريق ليغري به اللص. ليتمكن من إلقاء القبض عليه -5

6-اللص يطلي أخفاف البعير بالغراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعبر الطريق فيلصق الذهب بأخفافها ويتنكر لها .

المدبر يطلب من السلطان وضع نعامة في السوق ومراقبتها لإغراء اللص بها . -6

7-اللص يتفوق ويسرق النعامة.

يطلب من المدبر البحث عن لحم النعامة لمعرفة اللص الحقيقي. تتطوع عجوز لتقصّي الخبر. -7

8-يقضي اللص على العجوز ويفصل رجليها عن جسدها ويحتفظ بهما.

يصر السلطان على البحث عن اللص ينصحه المدبر بتنظيم حفل تقدم فيه أشهى المأكولات ويضع فيها مادة مسكرة . لينضم إليه اللص ويعترف -8

9-ينضم اللص إلى الوليمة ويعرف بأنه اللص الذي دوخ السلطان

أعوان السلطان يقصون شارب البطل لتمييزه عن باقي الحاضرين -9

10- يخرج اللص ويكتشف ما وقع له فيفعل بالحاضرين ما فعل به أعوان السلطان لتظليلهم

تباغت المفاجأة السلطان يطلب من المدبر إعادة المحاولة . يفعل السلطان -10

11- ينضم اللص إلى الوليمة و يعترف مرة ثانية بأنه اللص الحقيقي

يثير ابن عمير شفقة السلطان عندما يطلب منه السماح له بتوديع أمه ،لكنه يذهب و يحضر رجلي العجوز-11

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-12 اللص يربط رجليه برجلي العجوز وعند
إضمار النار يترك رجلي العجوز

يعترف المدبر بفشله ويحذر السلطان من الموت أمام
لص تمكن من نزع ذراعه وكتفه .
السلطان يخشى الموت ويعفو أمام الملأ عن اللص -12 .

الواضح أنّ هذه الحكاية قد امتصت غضب الفئة الشعبية الفقيرة بإعادة التوازن رغم أن المنتصر ليس إلا فردا من هذه الطبقة "لكن معاناة تلك الطبقة هي التي أفرزت ذلك البطل لأنه لم يتوقف عند حدود معينة أثاء السرقة فهو لم يكن يسعى إلى تحقيق هدف شخصي فقط،بل الأهم من ذلك انتزاع الاعتراف بطبقته "[1]

بهذا يبدو أن هناك نية من الطبقتين لأجل محو الفوارق التي تجعل المجتمع قسمين قسم أدنى وقسم أعلى إلى الحدّ الذي تذوب فيه آثار الطبقية لدرجة لا تدعو إلى إثارة التزاع بين الفئات الاجتماعية المتمايزة ويمكن أن نعطي حكاية عصفور وجرادة مثالا على ذلك وهي الحكاية التي لم يجد فيها السلطان أي مانع في توظيف عصفور لديه بعد ما أبدى رغبته في ذلك ، ولعل أكثر حكاية ترغب في محو الفوارق بين الحاكم والرعية حكاية" هارون الرشيد"التي نلخصها في المخطط التالي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموقف الأول:

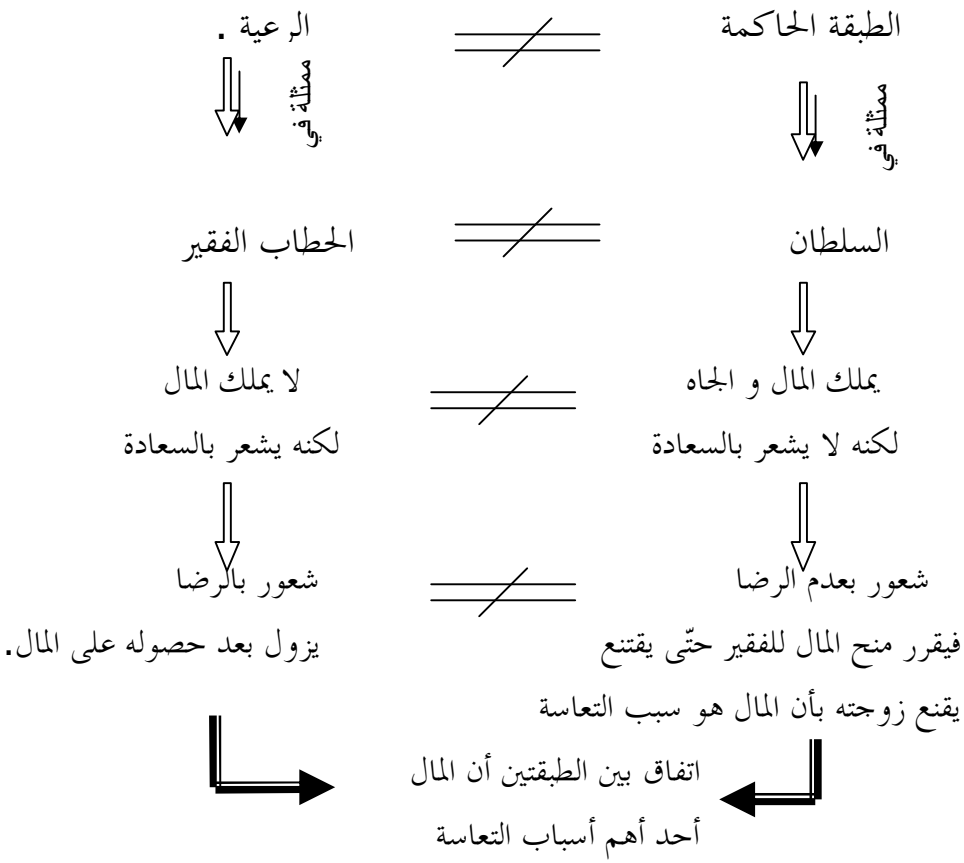

الموقف الثاني : يتفقد الحاكم الرعية.

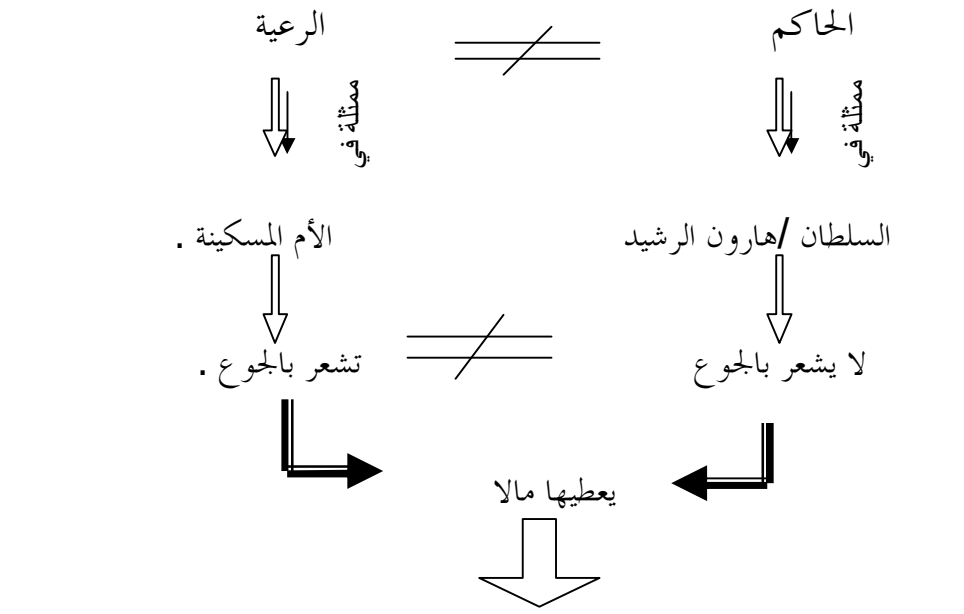

كلاهما لا يشعر بالجوع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموقف الثالث :يواصل الحاكم تفقده للرعية متنكرا ، فيدخل هو و صديقه إحدى المطاعم لمراقبة النظافة .

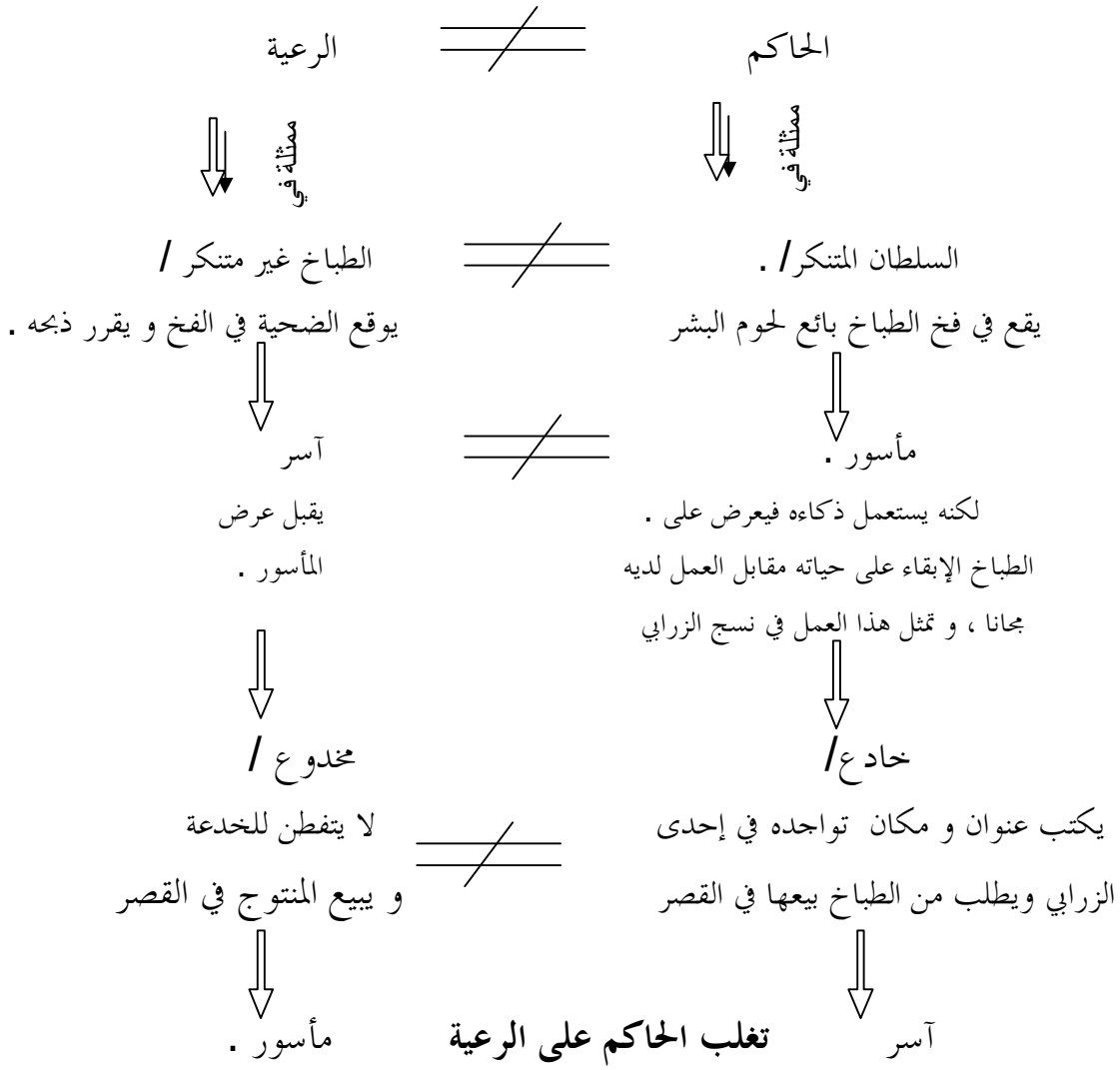

تغلب الحاكم على الرعية

الموقف الرابع :يلبس الحاكم ثوب الرعية بعد أن ترك ملكه و أهله ، وقرر أن يكون من رعية سلطان البلدة التي انتقل إليها تحت اسم " لقرع بو كريشة "

الرعية الحاكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

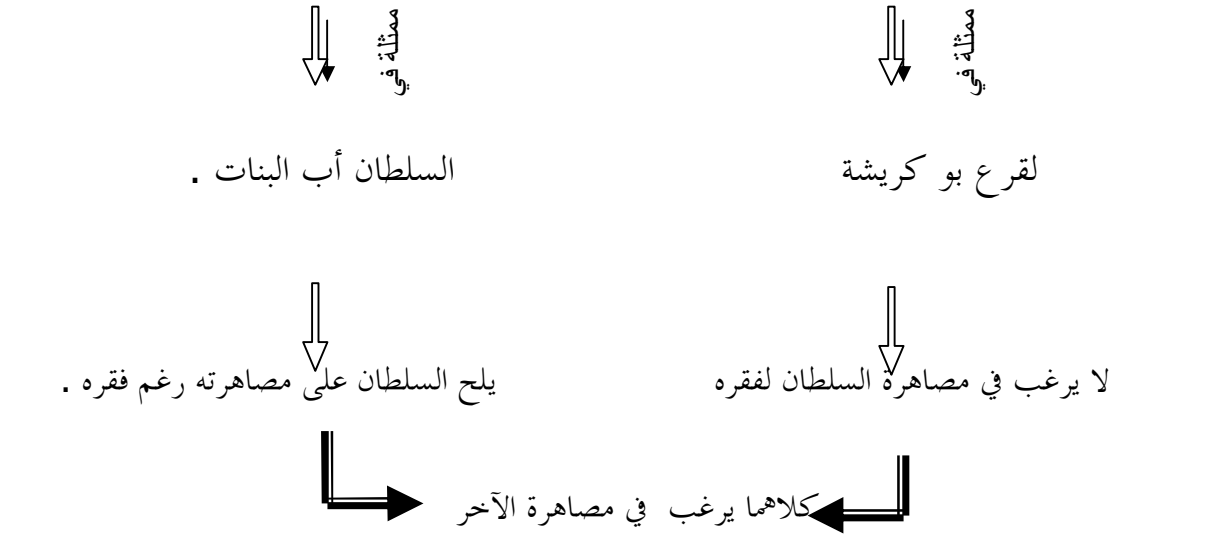

الموقف الخامس :بعد زواج لقرع بو كريشة من ابنة السلطان الصغرى .

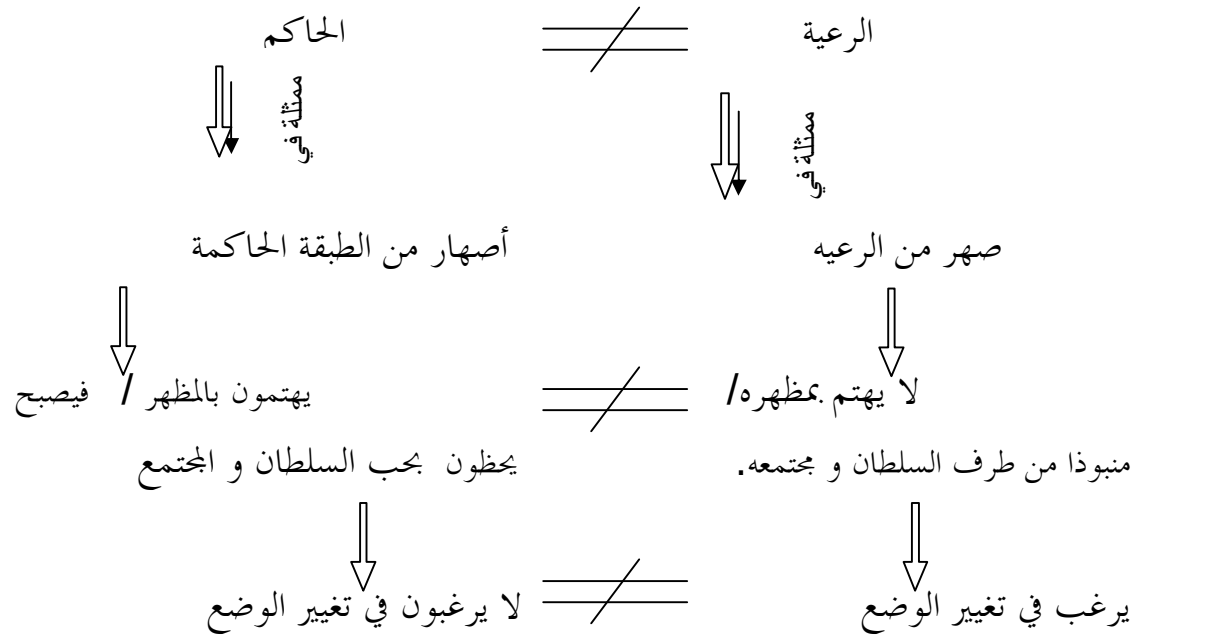

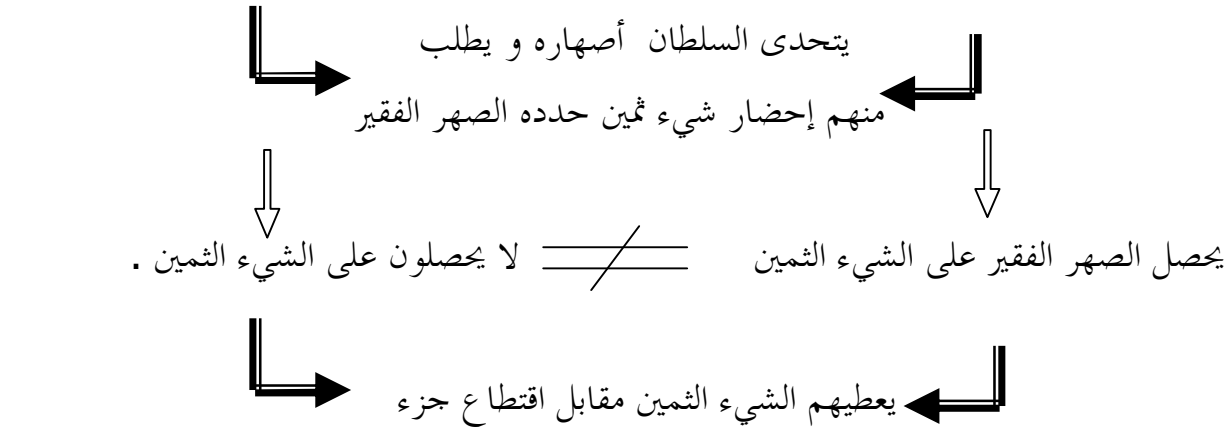

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

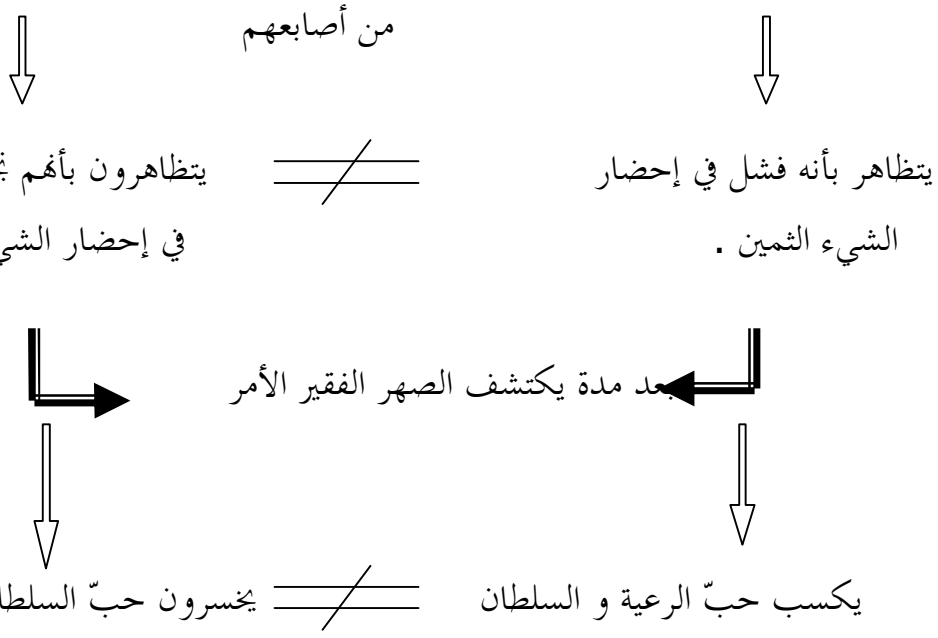

وهذا ما يؤكد إمكانية حدوث انسجام بين الرعية والحاكم إذ حدث توافق تام بين الطبقتين في ثلاثة مواقف وحدث تغلب الحاكم على الرعية في موقف واحد عند ما استخدمت الرعية المكر وتفطن الحاكم لذلك، وحدث تغلب الرعية على الطبقة الحاكمة في موقف واحد عندما ارتدى هارون الرشيد ثوب الرعية وأدب أصحاب السلطة وتغلب عليهم بفضل ذكائه وتواضعه .فهذه الحكاية عقدت صلحا ناجحا بين طبقتين و امتصت غضب الفئة الشعبية على حكامها لأن الحاكم هذه المرة مختلف تماما فليس مستبدا مستغلا كما حدث في حكاية "محمد بن السلطان" وليس لصا خزائنه مملوءة ذهبا كما حدث في حكاية" ابن عمير " لكنه حاكم عادل متفقد لأحوال رعيته متضامن معها حازم مع الأشرار وفيٌّ لأهله ولرعيته . ربما لم يمر في تاريخ منتج الحكايات الشعبية القصورية حاكم بهذا الشكل لكن الرعية قالت من خلال هذه الحكاية :كونوا بهذا الشكل وستنالون حبنا وولاءنا المطلق لأن حب الرعية لا يشترى بالأموال ولا يفرض بالصولجان بل يزرع وينمو بالإنصاف والاعتدال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني :

العادات و المعتقدات الشعبية في الحكاية الشعبية القصورية

1-العادات في الحكاية الشعبية القصورية :

1-1-تعريف العادات الشعبية و خصائصها .

1-2-العادات المتعلقة بدورة الحياة في الحكاية الشعبية القصورية .

1-3-العادات المتعلقة بالمواسم .

2-المعتقدات الشعبية في الحكاية الشعبية القصورية

2-1-معتقدات سلوكية.

2-2-معتقدات نفسية.

2-3-الاعتقاد في كائنات ما وراء الطبيعة .

2-4-معتقدات دينية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-العادات الشعبية في الحكاية الشعبية القصورية:

1-1-تعريف العادات و خصائصها:

العادات هي جمع كلمة عادة "وهي من الفعل تعود تعويدا ومعنى مفهوم هذه الكلمة ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها وتكرر عملها حتى أصبحت شيئا مألوفا ومأنوسا ، وهي نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكرارا."[1]

وغالبا ما تردف كلمة العادات بالتقاليد . والتقاليد هي "العادة الخاصة بجماعة ما .أي العادات المميزة لجماعة ما"[2] ، وما دمنا سندرس العادات الشعبية الخاصة بمجتمع معين وهو القصور فإننا سنستعمل مصطلح تقاليد كمفهوم يساوي تماما العادات.

والعادات "كما يعرفها (جلن جلن) هي كل سلوك متكرر يكتب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا "[3] .وليس معنى هذا أن كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات فهناك أنواع من السلوك المتكررة تعتبر عادات خاصة بالفرد ومن لوازمه الشخصية لكنها ليست عادة شعبية " [4]لأنها سلوكات لا تشترك فيها الجماعة

وإذا طرحنا سؤالا عن سبب نشأة العادات الشعبية فإن" باجوت" يجيبنا عنه بقوله" أن الإنسان صانع عادات لما لها من دور في ضبط وتنظيم المجتمع ، هذا التنظيم لا يقل شأنا و أثرا

---

[1] مجموعة من المؤلفين الموروث الشعبي و قضايا الوطن ،مطبعة مزوار للنشر و التوزيع ،الوادي ، الجزائر ،2006، ص 52.

[2] فوزية ذياب :القيم و العادات الاجتماعية ، ،دار النهضة العربية للنشر ،بيروت ،1980،ص169.

[3] المرجع نفسه ،ص104، 105.

[4] المرجع نفسه ،ص 105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن دور القوانين الوضعية فإذا اعتبرنا القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة فإن العادات سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور "[1]. فهي تغمر الإنسان وتحيط به في كل مناسبة وفي كل معاملاته مع غيره في المجتمع، والإنسان مهما كانت درجته يخضع لها وينصاع لها وأبسط مثال على ذلك أننا نرتدي لباسا وفقا للذوق العام المألوف في المجتمع.

ونشأت العادات الشعبية" حسب "سمنر" استجابة للحاجات الضرورية التي تتطلب الإرضاء"[2]، فلكي يتم إرضاء الحاجات الضرورية لابد من قيام الناس أفرادا وجماعات بأفعال وطرق وأساليب مختلفة من النشاط تغلب عليها المحاولة والعشوائية، وفي أثناء هذا التكرار لا يلبث الناس عن طريق التجربة والخطأ أن يكتشفوا أن هناك طرقا ناجحة صائبة ومفيدة وطرقا فاشلة غير صائبة ، وبطبيعة الحال يختارون الطرق والأساليب التي نجحت في إشباع حاجاتهم، ويعتبرونها صالحة وسليمة ومجدية ولذلك يتبعونها هذا من جهة ،ومن جهة أخرى يجتنبون الطرق والأساليب التي أخفقت في أرضاء حاجاتهم أو التي سببت لهم أضرارا تؤثر في حياتهم وسعادتهم ." فمن البديهي أنّ الناس عندما تتبين لهم صلاحية أسلوب ما أو قيمة طريقة ما من طرق السلوك في إرضاء حاجاتهم فإنهم يرغبون فيها ويكررونها في كل مناسبة ويتمسكون بها مع مرور الزمن "[3]. وبذلك تتبلور وتصبح عادة شعبية يتعارف الناس عليها ويعملون على ترسيخها وتأصيلها وتثبيتها في نفوس الأفراد ويعملون على نقلها أفقيا من جيل إلى جيل آخر . فالعادات والتقاليد كالدرب الذي كلما طرقه المارة تمهّد وسهل السير فيه حتى أنهم لا يستطيعون في آخر الأمر العدول عنه والسير في درب آخر غير مطروق.

وسر تمسك مختلف المجتمعات بعاداتها الشعبية يعود إلى تمتعها بمجموعة من الخصائص:

---

(1) ينظر المرجع نفسه ، ص107،108.

(2) المرجع نفسه ، ص 116.

(3) ينظر المرجع نفسه ،ص117.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا- التلقائية:

إذ أنها نشأت داخل الجماعة بصورة غير واعية وغير مقصودة ودون تأمل أو هدف منطقي ذلك لأن أساسها هو المحاولة العشوائية والتجربة والخطأ ، فهي تمثل ضرورة اجتماعية تلقائية وظاهرة جوهرية تنظم معيشة الناس مع بعضهم البعض ،إذ ترتبط فيما بينهم في الحاضر وتلقنهم تجربة الماضي وتسهّل عليهم معاملاتهم المتبادلة وهكذا نشأ كل منا، فيجد نفسه أمام رصيد مدخّر من عادات سابقة ارتضتها جماعته واتفقت عليها . فالعادات تنبثق من المحاولة والخطأ وتنمو مع التجربة ، فينصهر فيها الفرد دون وعي منه ودون تفكير منطقي لذا يرى نفسه ملزما على مراعاتها حتى يجاري ويطابق مع من يعيش وينسجم معهم ، فهو في الحقيقة مضطر بل منساق بشكل يكاد يكون سحريا إلى أن يصب قوالب سلوكه ويشكل أعماله وفقا لها دون أن يخطر في باله أن يبدل فيها أو يحاول تعديلها وتطويرها .

فالعادات الشعبية ليست من خلق الذكاء البشرى وليست من ابتكار التأمل الفعلي الهادف، وإن مثلها كمثل نتاج قوى الطبيعة التي يستخدمها الناس ويسخرونها لتحقيق أغراضهم دون وعي منهم ،أو كمثل طرق السلوك الغريزية عند الحيوان التي تنمو مع التجربة والتي تصل إلى أعلى مستوى التكليف تبعا للاهتمامات التي يراد إشباعها .

ثانيا- الالتزام والجبرية:

أي أن لها سلطة وسلطانا على الأفراد يضغطان عليهم ويشعر كل واحد منهم أنه مضطر للخضوع لها . ففي الوقت الذي نجد فيه أن العادات مفروضة ؛ نجد أنفسنا متمسكين بها ، فهي تُلزمنا وفي الوقت نفسه نجد راحتنا في إطاعتها، فالإنسان بعبارة موجزة من المهد إلى اللحد أسير للعادات والممارسات القديمة، فليس في حياته سلوك أو تصرف يمكن أن نسميه بمعنى الكلمة حرا أو أصيلا أو تلقائيا، وإنه لا يملك بمحض إرادته أن يتقدم نحو حياة أسمى وأفضل ، ولا يستطيع الإنسان أن يحاول تغيير أحواله عقليا أو خلقيا أو روحيا فهو في كل ذلك محكوم بعادات وعرف الجماعة التي يعيش فيها . [1]

---

[1] ينظر المرجع نفسه ،ص 119- 121.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا -الرغبة في التمسك بها :

فهي محببة إلى الناس ،ويرجع هذا إلى عملية النشأة الاجتماعية التي تهدف إلى تشكيل الأفراد على الصورة التي يرتضيها المجتمع وتهيئتهم لتقبل الظواهر الاجتماعية السائدة فيه حيث يتوافق بعضهم مع بعض فيتماسكون وتقوى وحدتهم.

فالجيل الجديد ليس غبيا ليتمسك بعادات وسلوكات قديمة لو لم تكن هذه العادات تحمل الكثير من القيم التي يحبها المجتمع ويرغب فيها ، وخير دليل على تمسك المجتمعات بعاداتها :أنّ من يخرج عن عادات مجتمعه لا يتعرض لعقوبات القانون أو أي عقوبة أخرى لكنه مع ذلك يظل متمسكا بها.

والملاحظ أن أفراد كل مجتمع يعتقدون أن عاداتهم الشعبية أفضل من عادات المجتمعات الأخرى وفي هذا الصدد ذكر "جيرو دورت" أنه لو طلب من كل شعوب العالم أن تختار العادات التي تبدوا أكثر ملاءمة لها لاختار كل منهم بعد البحث والتدقيق عاداته هو . فالعادات هي المصابيح الهادية التي ترشد الفرد وتهديه إلى التصرف المتوقع عنه في مجتمعه وفي حياته بوجه عام،فهي تقوم بترتيب ما يتطلبه نشاط معين وتضعه في أنماط معينة من السلوك والأفعال وردود الأفعال.[1]

رابعا - القابلية للتغير :

العادة ككل كائن حي تولد وتزدهر وتتأصل ثم تضعف وتهرم وتموت و يظهر بدلا منها ما هو أكثر ملاءمة للمعطيات الجديدة للمجتمع الجديد "فتزول العادات عند ما تفقد مبرر وجودها"[2] لأن البقاء حسب المبدأ الداروينى للأصلح ،لكن موتها يكون بطيئا كموت الحضارات التي سادت وذابت ،لأن المجتمع يهاب من تغيير عاداته ولا يرضى تبديلها بسهولة بعادات أخرى غير معروفة لديه بعد، لذلك يجب أن يكون هذا التغيير تدريجيا .

وخلاصة القول "أن الانتقاء دليل على القدرة على المرونة و على التخلص من بعض قيود

---

[1] ينظر المرجع نفسه ، ص 133.

[2] عطا الله الزاقوت : العادات و التقاليد في محافظة السويداء (جبل العرب) ،دار علاء للنشر و التوزيع و الترجمة ،ط1، دمشق ،2000،ص64.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العادات التقليدية غير الصالحة التي لا تلائم روح العصر"[1] فالجيل الجديد في الجزائر مثلا لا يقبل كل العادات الشعبية التي سادت في الأجيال السابقة كالمبالغة في إبداء الحزن على وفاة الشخص بلطم الخدود وشق الجيوب والصراخ والتهويل ، ولكن مع ذلك فإن العادات الشعبية تنحو دائما للمحافظة أكثر من التجديد لأن الطبيعة البشرية تخاف من التجديد لأن في التجديد عنصر المغامرة،كما أنّ فيه ارتباطا بالمستقبل والمستقبل بدوره مجهول يثير القلق لذلك يتعلق الناس بطرقهم القديمة المعروفة وعاداتهم المألوفة ويطمئنون إليها مؤثرين ذلك على الضرب في بيداء المجهول . "فقد تؤدي العادة الجديدة التي لم تجرَّب بعد إلى ضرر مثلا ولو في أول الأمر ، أو قد تكون بأي شكل من الأشكال أسوء حالا من العادات القديمة التي استقرت وألفها الناس."[2] .

ويمكن تقسيم العادات الشعبية المجودة في منطقة البحث إلى حقلين أساسيين :

---

[1] فوزية ذياب، مرجع سابق ، ص159.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص162.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1-2–العادات المتعلقة بدورة الحياة :

1-2-1- عادات الميلاد :

مما لا شك فيه أن الطفل هو حامل السعادة لبيت والديه و سبب شعور المرأة بإحساس الأمومة الرائع ، لذلك تحيي العائلة القصورية مجموعة من العادات احتفاءا بميلاده ،إذ يبدأ الاهتمام بالطفل حتّى و هو جنين في بطن أمه ،فتحظى المرأة الحامل بعناية خاصّة من طرف العائلة فتُمنع من القيام ببعض الأعمال كالعجن و الكنس .

و غالبا ما ترغب الأسرة في أن يكون المولود ذكرا "لما للذكر من قيمة اجتماعية و اقتصادية كبيرة تفوق الأنثى "[1] ،فلا نستغرب أن تقصد الحامل و حماتها لأجل ذلك أحد مقامات الأولياء الصالحين و تعده بأنها إذا أنجبت ذكرا ستذبح شاتا أمام ضريحه ،أو تكسو عشرة مساكين ..الخ .

من هنا يتضح حرص العائلة القصورية على أن يكون المولود ذكرا، فإذا تحقق ذلك تعتلي أم الذكر مكانة مرموقة في العائلة ،فتحظى بالفراش الوفير في غرفة الضيوف ، و بمجرد دخولها عتبة البيت تعلو الزغاريد ،و يطلق الرصاص من البواريد ، ويهمّ الأب في ذبح الكبش و تشرع النسوة في تحضير وليمة العشاء التي يحضرها كثير من الأقارب و الجيران ،لتولي الجدة عناية خاصة بالطفل ،إذ تقوم بدهن كل جسمه بزيت الزيتون الدافئ المُحلَّى بالعسل حتى يقوى جسده و يشتدّ . وهناك بعض الممارسات تتعمد الجدة القيام بها لإكساب الطفل مزيدا من الجمال و منحه عمرا مديدا .

و لّما كان اتساع العينين يمثل أحد القيم الجمالية البارزة في نظر أبناء المنطقة تغمس الجدة الريشة في ماء البصل ، ثم في الكحل و تكحّل به عيني الطفل .

---

[1] محمد الجوهري : الانثروبولوجيا ،مرجع سابق ، 2005،ص 474.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الملاحظ في مجتمع البحث أن الأم لا تغسل يديها لمدة ثلاثة أيام و لا تغتسل إلا بعد أربعين يوما كاملة و ذلك خوفا من الأرواح الشريرة. و يجب أن تقوم القابلة دون غيرها بغسل ثياب المولود الجديد في اليوم الثالث بعد ميلاده ،و هو اليوم الذي يتم فيه أيضا تعليق مهد الطفل الذكر في سقف البيت و نثر الحلوى على رأسه ثم توزيعها على الحضور و الجيران ، لتتخلّل كل هذا زغاريد و أغاني شعبية جميلة . و في نفس اليوم يذبح كبشان أقرنان على شرف كل الأقارب و الجيران الذين لم يتسن لهم حضور عشاء الميلاد.

إذا كان المولود الذكر ووالدته يحظيان بكل هذه الرعاية فإن المولودة الأنثى و والدتها لا تحظيان بأي اهتمام ،إذ توضع الأم في غرفة عادية و يكتفي الأب بذبح دجاجة أو ديك على أقصى تقدير .

و تستمر العادات الشعبية في تمييز الذكر عن الأنثى حتّى في يوم "التقعاد " و هو اليوم الذي يستطيع فيه الرضيع الجلوس لوحده؛ فبالنسبة للذكر تقوم الأم أو الجدة بإعداد طبق "الشخشوخة " ثم تدعو جاراتها حتى يلبسنه برنس جده و يضعن أمامه المنجل حتى يظل مرتبطا بالأرض ، و العصا لمحاربة الأعداء و المصحف حتى يتربى الطفل وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.أما بالنسبة للأنثى فتقوم الأم لوحدها بتلبيس ابنتها فستان جدتها ،ثم تعد طبق "الحسوه المقطعة "حتى تنقطع عن إنجاب البنات.

و لا تسلم الأنثى من احتقار المجتمع لها حتى في اليوم الذي تنبت فيه الأسنان إذ تكتفي الأم بإعداد الشرشم (و هو قمح مغلىّ في الماء)الذي يمنع أن توزعه على الجيران لأنها إن فعلت ذلك فهذا يعني أنها تتمنى أن يصيبهم ما أصابها وهو الابتلاء بأنثى .

إذا كان هذا حال الأنثى فالأمر يختلف تماما بالنسبة للذكر؛إذ تنهض الجدة و الأم و زوجات الأعمام باكرا و يقمن بإعداد حجم كبير من الشرشم ليتم توزيعه في أطباق على كل الجيران دون استثناء ، وفي المقابل يقوم كل واحد من الجيران بوضع الدقيق في الصحن الذي أحضر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه الشرشم ليتم تجميع دقيق كل تلك الحصون و تحويله إلى "عيش"*حتى يعيش الذكر و يعمّر طويلا .

إذن: يشكّل إنجاب الذكر في المنطقة هاجسا لكل أمّ حتى يرتفع شأنها في بيت حماها و تستقر أمورها ،لذلك نجدها حريصة جدا على حياته. فها هي والدة " احمد الهلايلي" تقيم الوعدات حتى تُرزق بذكر ثم تضع في أذنه اليمنى قرطا تسمى في مجتمع البحث بـــ"العيّاشة" حتى يعيش ، وهو ما قامت به "بوطماية" عندما وضعت في أذن أحد أخويها قرطا من الذهب و في أذن الآخر قرطا من الفضة فور ولادتهما حتى يعمرا طويلا.

1-2- 2- عادات الزواج :

هناك مراحل هامة تسبق الزواج و هي :

أولا – الخطبة:

مرحلة الخطبة هي المرحلة التمهيدية التي تسبق عقد القران و تعتبر هذه الفترة تحضيرا للفتى وللفتاة لبناء بيت جديد و بداية مرحلة جيدة في حياتهما ، و قد عرفها قانون الأسرة الجزائري " بأنها وعد بالزواج يحق لكل واحد من الطرفين العدول عنها " [1] و قد جرت العادة أن يبادر الشاب بالخطبة بعد أن سأل عن أهل المرأة و سمعتها .

قد تكون الخطبة في الحكاية الشعبية القصورية مباشرة كأن يطلب العريس يد عروسه مباشرة دون وساطة ، كما حدث في حكاية " رداح المصونة "عندما طلب محمد الهلايلي يد "رداح " مباشرة بقوله :" قْطَعْت سَبْع بْحُورْ وْ سَبْعْ جْبَالِي في سْتّ شْهُور؛ نْهَاراتْ وْ لْيَالِي بَاش نْطْلْب يدّكْ يَا كَاملة الزِّين الغَالِي " .

---

* العيش و الشخشوخة هي أطباق شعبية مشهورة في ولايات الشرق الجزائري.

[1] ثريا تيجاني ، مرجع سابق ، ص23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تكون الخطبة غير مباشرة فيحتاج العريس إلى شخص يتوسط له في عملية الخطبة ، قد يكون الوسيط هو الأهل أو صديق كما فعل "غانم" مع "حد الزين " عندما طلب من صديقه أن يخطب له "حد الزين" ، أو كما فعل "سي علي" عندما طلب من الذئب أن يطلب له يد ابنة سلطان البلدة المجاورة .

وليس من الضروري أن يطلب العريس يد العروس، فقد يحدث العكس فتطلب الفتاة يد الفتى ، و هو ما حدث تماما في حكاية "بوطماية" عندما طلبت ابنة السلطان الكبرى يد الخادم ميمون ، أو كما حدث في حكاية هارون الرشيد التي ذكرت في ثناياها أن هناك سلطانا وصلت بناته السبع سن الزواج دون أن يتقدم لهن أي خاطب ،فأحضرن سبع بطيخات حمراء وقمن بإخوائها و نزعن لبّها ، ثم أرسلنها إلى إحدى ولائم السلطان التي تعود السلطان إقامتها من وقت إلى آخر ، فتفاجأ المعازيم و أُحرج السلطان عندما فُتح البطيخ و وُجد خاويا ،فهدّأ الشيخ المدبر من روعه و أخبره بأن هذا لا يدعو للخجل لأن كل ما في الأمر أن بناته السبع يرغبن في الزواج .أقسم السلطان ألا يبقي على أيّ منهن دون زواج ،فأمر البرّاح أن ينادي في الناس و يعلمهم أن السلطان يرغب في تزويج بناته فعلى كلّ شاب يهمه الأمر الاقتراب من سرايا القصر .

ثانيا- **المهر** : بعد أن يوافق العروسان على بعضهما يقوم العريس بدفع المهر أو ما يعرف في مجتمعنا "بالشرط " "و هو قيمة تدفع قبل الزواج يقدمها راغب الزواج ، أو في الغالب أسرة العريس إلى أسرة العروس ."[1]

قد تكون هذه القيمة مادية أو معنوية .أمّا القيمة المادية ؛فلم يحددها أهل العروس في كل الحكايات المجموعة ، بل قام العريس بدفعها أنفة منه ، ورفعا لشأن عروسه أمام أهلها وخلانها.

تجلّى هذا في حكاية هارون الرشيد عندما امتلأت ساحة القصر بمائة رأس من الإبل ومائة رأس من الغنم تحديا لأصهاره الذين اعتقدوا بأنه لن يقدر على دفع المهر لزوجته .

---

[1] محمد الجوهري : الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ،ص 300.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و غالبا ما تكون هذه القيمة معنوية كقتل أفعى بسبع رؤوس كما فعل " الطير بوريشة " أو القضاء على أربعين غولا كما فعل " نصف عبد " ،أو تخليص البطلة من شراك خطّاف العرايس كما فعل "ابن عمير" ،أو قطع مسافات بعيدة و خوض رحلة طويلة و شاقة كما فعل محمد الهلايلي لأجل رداح المصونة .

ثالثا - الزواج :

هناك عبارتان مثليتان شائعتان بكثرة في مجتمع القص ؛الأولى : "الزّْواج بالْمكتُوبْ " و الثانية :" ما يزُّوجوا في الأرْض حَتّان يتزوجو في السّْماء ." و هو المعنى الذي عبر عنه **أحمد رشدي صالح** بقوله : الزواج هو التقاء الحق المقدس بالحق البشري. "[1]

هذا من ناحية خضوع الزواج للقدر، أما إذا أردنا تعريفه " فهو العلاقة المشروعة بين الرجل و المرأة ،و تتم دائما وفق أوضاع يقرها المجتمع ،و في حدود يعينها و يفرض على الأفراد التزامها ، و من يخرج عنها يكون هدفا للعقاب الذي ينص على العرف و القانون "[2]

و الغاية من هذه العلاقة الشرعية "هو تحقق معنى الخلافة للإنسان التي خلق من أجلها "[3] وإقرار الأبوة و ضمان تربية مستقرة للأبناء، و يبرز الزواج كقيمة اجتماعية مهمة في المجتمع الشعبي القصوري عندما تلحّ الفئات الاجتماعية على تزويج أبنائها و بناتها في سن مبكرة لأن في ذلك عفة من الزلل و صيانة للنفس من الوقوع في الفتن.

و يمكن تمييز الأنواع التالية للزواج :

---

(1) أحمد رشدي صالح، مرجع سابق ، ص216.

(2) محمد الجوهري : الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص 272

(3) نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الإسلامي ،دار الشروق ،ط2، جدة ، 1988،ص 80.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- الزواج الأحادي :

و هو" نظام أو عرف لا يسمح فيه للرجل إلا بالزواج مرة واحدة "[1] أي أن الرجل يكتفي بزوجة واحدة ، و هذا ما نجده في كثير من الحكايات الشعبية القصورية كحكاية بوطماية التي تزوج فيها السلطان بامرأة واحدة ، و حكاية حبحب رمان التي تزوج فيها كل واحد من إخوة البطلة بامرأة واحدة ، و رداح المصونة التي أقرت أن السلطان تزوّج بامرأة واحدة رزق منها بولد واحد .

ب—الزواج التعددي :

و هذا النوع يلجأ إليه الزوج لوجود مبرر ، غالبا ما يكون هذا المبرر الرغبة في الإنجاب . تجسد هذا المعنى في حكاية " محمد بن السلطان " عندما اضطر السلطان الزواج من سبع نساء لأجل الإنجاب . و يبقى الزواج الثاني في مجتمع البحث حقا شرعيا للرجل و عقابا للمرأة، و إن كان هذا العقاب أخف من الطلاق.

جـــ- الزواج الداخلي :

و هو ما يعرف بزواج الأقارب ، و يلقى هذا النوع إقبالا كبيرا من طرف سكان المنطقة ، والغالب فيه أنه يمهد له منذ سن مبكرة بين أولاد العم أو أولاد الخال " و يتم هذا التمهيد باتفاق الآباء دون الصغار فيتم حجز الطفلة لعريس المستقبل منذ ولادتها باتفاق الأبوين معا بغض النظر عن شعور العروسين أحدهما نحو الآخر "[2]و لعل الأسباب التي تشجع عليه بساطة الحياة و الرغبة في الحفاظ على إرث العائلة .

إذا بحثنا عن هذا النوع في حكاياتنا الشعبية نجده في حكاية حبحب رمان التي ذكرت أن أخاها الأصغر كان متزوجا من ابنة عمه و كانت هي الأصلح .

---

[1] محمد محجوب : القرابة و البناء الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية، 2006 ، ص 31.

[2] فوزية ذياب ، مرجع سابق ، ص 252.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د - الزواج الخارجي :

و هو الزواج من غير الأقارب ، و هو زواج نادر في مجتمع البحث ، لكننا نجده في حكاياته الشعبية بكثرة ، فقد تزوّج محمد الهلايلي من رداح المصونة و تزوج غانم من حد الزين و محمد بن السلطان من ابنة القبائل و الطير بوريشة من "وْدْعة "و نصف عبد من ابنة السلطان دون أن تربط بين العروسين أي قرابة دموية ، و ما هذا إلا تعبير عن رغبة مجتمع البحث في التخلص من عادة الزواج من الأقارب .

و إن اختلفت أنواع الزواج في الحكاية الشعبية فإن العادات التي تقام حوله في القصور لا تختلف ، و إذا كان العريس لا يقوم بأي ممارسة أو سلوك بحكم أن القوامة له ؛فإن العروس عليها أن تقوم بممارسات و عادات معينة لتحكم سيطرتها على زوجها ، فتجد العروس حريصة على أن تضع لها امرأة سعيدة في حياتها الزوجية الحناء المحلاّة بالسكر و ذلك يوم الاثنين، و في اليوم الموالي تركب العروس الشاة التي أحضرها أهل العريس ، و عندما يحضر أهل العريس جهاز عروسهم تقابلهم العروس بالمرآة حتّى يحبون النظر إليها كما يحبون النظر في المرآة ، وبعد مغادرتهم تدوس العروس جهاز عريسها اعتقادا منها أن هذا سيمكنها من السيطرة على زوجها في المستقبل .

هذه العادات لا يعرف عنها الرجال شيئا ،لكن حكاية "رداح المصونة " كشفت عن جزء منها عندما ذكرت أن رداح استقبلت أهل زوجها بالمرآة . و لا تُزفّ العروس إلى بيت زوجها إلا بعد أن يقوم واحد من أهل العريس بضرب "الشارة " و إسقاطها.

3- عادات الوفاة(الجنازة) :

الجنازة "هي جمع من النساء يجتمعن في بيت الميت للبكاء و العويل و الصياح و اللطم و نمش الوجوه و يسمى المأتم "[1] فإذا كان ميلاد الإنسان يدخل الفرح و السرور في قلوب من

---

[1] أحمد أمين : قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط1 ،القاهرة 1953،ص139.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حوله فإن وفاته تدخل كل من حوله في حزن عميق "و عند حلول أجل الفرد تقام له الطقوس الإسلامية المعتادة من تطهير و تكفين "(1) و توضع جثته بعدها في دار الضيافة أو ما يعرف بالصالة ، ثم يتقدم حوله محبّوه يعددون مناقبه و يترحمون عليه ، وقد يقولون الأشعار حول رأسه. و إن اختلفت مظاهر الحزن على الميت من شخص لآخر فإن هناك اتفاقا على مجموعة من التصرفات تمنع أهل الميت القيام بها ،إذ يمنع الكنس يوم الجنازة و إيقاد النار في بيت الميت لثلاثة أيام ظنا منهم أن هذا الفعل سيجنّب الميت نار جهنّم تلك الأيام .

و الواقع أن الحكاية الشعبية القصورية تكتفي بذكر الموت دون الإشارة لهذه العادات لأن الإنسان الشعبي القصوري مولع بذكر الأفراح و يكره الحديث عن الأحزان .

1-3-العادات الشعبية المتعلقة بالمواسم في الحكاية الشعبية :

1-3-1-عادات تتعلق بموسم الحرث

تعتبر عملية الحرث الحلقة الأولى في السلسة الفلاحية ، فلا زرع دون حرث، ولا حصاد دون زرع .

صورة 13: محراث خشبي

و تبدأ عملية الحرث منذ نزول قطرات الأمطار الأولى في شهر أكتوبر و تمتد إلى غاية نهاية شهر جانفي ،أي إن هذه العملية تستغرق ثلاثة أشهر كاملة ، ولا نستغرب أن تستغرق عملية الحرث هذه المدة ما دام الفلاح مجبرا على انتظار نزول الأمطار و مجبرا على استعمال المحراث الخشبي في عملية الحرث لمحدودية إمكانياته المادية و جبلية منطقته.

و نظرا لأهمية الحرث في حياة الإنسان الشعبي نجد العائلات القصورية حريصة كل الحرص على إحياء الكثير من العادات خاصة في اليوم الأول من الحرث؛إذ ينهض جميع أفراد العائلة باكرا جدا فتجد صاحب الأرض يغتسل و يحلق لحيته جيدا ، و تجد نساء العائلة يغتسلن

---

(1) عطا الله الزاقوت ، مرجع سابق ،ص 25.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرتدين اللباس الجديد ،ليقمن بعد ذلك بتنقية القمح و تحميصه و طحنه ووضعه في الماء المغلى و المحلّى بالسكر لتكون النتيجة طبق شعبي شهير هو" روينة التوجاب " التي تقوم الجدة بوضعها في الصحون و تزيينها بحبيبات الرمان و التين الجاف ،ثم توزعها على صاحب الأرض و كل نساء البيت ليتوجه الجميع إلى الحقل في مظاهر احتفائية رائعة ، و بمجرد وصولهم عتبة الحقل يلتف الأطفال حول الأطباق و يتسارعون في خطفها،و فور انتهائهم من الأكل ترفع البراءة يديها إلى السماء و تدعو الله أن يُنعم على صاحب الأرض بالرزق الوفير.أما ما تبقى من الروينة يدهن به صاحب الأرض وجهه بسرعة حتّى ينمو زرعه بسرعة .

و لا يعاود صاحب الأرض حلق لحيته إلا بعد أن ينمو الزرع لأنه سيبقى مهموما إلى أن تنتش بذور القمح و ينمو الزرع .

و عادة عدم حلق اللحية نجدها في حكاية " يحي بو لحي " الذي تجرأ و قام بالحرث قبل نزول الأمطار ، فكانت النتيجة عدم نماء الزرع ،ففكر في عدم حلق لحيته حتى ينمو الزرع ، لكن ذلك لم يتحقق لأنه خالف عادات المجتمع و قوانينه التي تقضي بعدم الحرث قبل نزول المطر وارتواء الأرض " الحرْث بالرّْوَى ".

1-3-2-عادة ينّاير :

" ينّاير " كلمة أمازيغية تتكون من "ين" و تعني :أول و "أيّر" و تعني الشهر ليكون معنى مجموع الكلمتين أول الشهور في الحساب الأمازيغي .

و يحمل يناير حسب المؤرخين معنيين؛ إحداهما يتصل بالسنة الفلاحية الجديدة باعتباره يوم يفصل بين فترة البرد القارص و فترة الاعتدال ،في حين يرى البعض أن منشأه يعود إلى انتصار الملك البربري " شاشناق " على الملك المصري " رمسيس" في معركة وقعت سنة 950ق،م بمنطقة تلمسان في أقصى الغرب الجزائري.

أما في الثقافة الشعبية ؛فتحوم حول احتفائية يناير العديد من الأساطير التي ما تزال تتداولها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجدّات حول موائد الطعام ، أو حول موقد النار ، منها ما ارتبط بتلك العجوز التي ترعب بها الأمهات أبناءها الذين يرفضون الأكل ليلة رأس السنة الأمازيغية .

"و تحكي الأسطورة أن امرأة عجوزا استخفت بقوى الطبيعة و سكنها الغرور بقوتها ، فلم تحمد السماء و لم تشكر نعمتها عليها ، فسخرت من يناير رمز الخصوبة و الزراعة فما كان من شهر يناير إلا أن طلب من الشهر الموالي" فبراير " أن يعيره يوما من أيامه حتى يعاقب العجوز الجاحدة على غرورها ،فحدثت عاصفة شديدة أتت على أراضي تلك العجوز عن آخرها ، و منه تحوّل هذا اليوم في الذاكرة الجماعية رمزا للعقاب الذي سيتزل على كل من تسوّل له نفسه الاستخفاف بالطبيعة"[1] .

و لعل السائد في الذاكرة الجماعية أن يناير وثيق الصلة بما يعرف بالعَولة أي جملة المؤن الغذائية من حبوب و بقول و فواكه جافة التي احتفظت بها العائلات و ادخرتها طوال فترة الشتاء و تنفذ عشية دخول السنة الأمازيغية . و من هنا ظلت الاحتفالية وثيقة الصلة بالموسم الفلاحي لتزامنها مع نهاية الموسم الزراعي ، وبداية موسم خوف و ترقب كبيرين ،لذلك يحاط هذا اليوم بجملة من الطقوس طلبا للبركة ؛أملا في خصوبة الأرض لإبعاد شبح الجوع و جذب أسباب الخير . و تعبّر النساء القصوريات بشكل جميل عن فكرة الخصوبة المرجوة من السنة الفلاحية الجديدة حيث تجدهن ينتشرن حول منابع المياه العذبة صبيحة الأول من يناير (12 جانفي) و يقمن بملء قربهن بالماء الصافي مع الحرص على ربط فوهات القرب بضفائر مصنوعة من الأعشاب الخضراء تيمنا بسنة زراعية خصبة خضراء ، ثم يشرع ربّ كل عائلة في ذبح ديك ونثر ريشه على الحقول الخاصة به و هو يردد "هاكْ الرِّيشْ و أعطِيني باشْ نعيش "

و يجب أن تقوم النسوة بإعداد ثلاثة أطباق شعبية و هي في مجتمع البحث :الشَخْشُوخة والغرايف و الكسكس ، ثم تغير ربة البيت مناصب الموقد الثـــلاثة ،و تطلـــق على المنصبة

---

[1] محمد معلم : هذي بلادي ، حصة تلفزيونية أسبوعية ، الجزائرية الثالثة ، الجزائر ، مساء الثلاثاء 10فيفري 2009.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صورة 14:المناصب الثلاثة التي يتم تغييرها في رأس العام

الأولى اسم : سعدة ،والثانية:مسعودة ،والثالثة: أمّ السعودتيمّنا بهذه الأسماء ، و تضع أمام كل واحدة منها طبقا من الأطباق المحضرة و تترك النافذة مفتوحة .في اليوم الموالي تنهض ربة البيت باكرا إذا وجدت الأطباق فارغة تستبشر خيرا بالعام الجديد، وإذا وجدها فارغة يتجهّم وجهها و لا تتوقع خيرا من العام الجديد .

و عادة تغيير المناصب نجدها في حكاية " علي اللفحل و علي الجايح" عندما ساعد التوأمان والدهما في تغيير المناصب ، ثم تذمرا منها كثيرا لتأخرها في الالتحاق بمائدة العشاء لأنها كانت منشغلة بتغيير المناصب .

و نجد عادة ذبح الديك يوم يناير في حكاية "جحا" عندما تعمد الذهاب إلى بيت أحد أصحاب الحقول حتّى يأكل لحم الديك .

1-3-3- عادة شاو الربيع :

بعد أن ارتوت الأرض بمياه الأمطار ؛ تفتحت الأزهار و اخضرّت الأشجار و حلّ فصل الربيع مقبلا بكل أشكاله الرائعة ،فقررت العائلة القصورية الخروج في عادة من عاداتها و هي " شاو الربيع " التي يكون الاحتفال بها ممتدا بين 12مارس و أوائل شهر أفريل ، و تقام هذه العادة غالبا يوم الجمعة حيث يجتمع لمّ الأسرة فلا أطفال يدرسون و لا آباء يعملون .

و يجري التحضير للوازم هذه العادة بيوم قبل ذلك إذ تشرع الأم في تحضير " المبرجة " التي تتكون من طبقتي دقيق تتوسطها طبقة من التمر المدلوك " الغرس"، و يأخذ كل أب أولاده إلى الدكاكين لاختيار أحسن القفف أغلاها و أجملها و أكثرها امتلاءا بأنواع الحلوى فتكون مكونات القفة ما يلي : المبرجة، أنواع عديدة من الحلوى إضافة إلى البرتقال و البيض المسلوق.

يوم الجمعة أي يوم الاحتفال بهذه العادة تحرص الأمهات على إعداد أشهى الأطباق و ألذها و بعد أن يلتئم شمل الأسر من نساء الأعمام و بنات الأعمام و كل الأطفال ،يخرج الجميع جماعات جماعات في مظاهر احتفائية و هم يرددون أجمل الأغاني متجهين إلى الحقول والغابات أين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تستقبلهم الطبيعة بجمالها الجذاب و مناظرها الخلابة ، و هناك ينسى الجميع مشاكل الدنيا وهمومها و يقف كل واحد منهم نظرة تأمل للطبيعة الساحرة ، بعد ذلك يشرع الأطفال في تسلّق الأشجار و تتسابق النسوة في جمع أكبر نوع من البقول بكل أنواعه ، و هكذا تستمر النزهة حتى يحين وقت الغداء أين تنادي كل أم أولادها ثم تتبادل الأسر فيما بينها أنواع المأكولات فهذا يحبّ "الكْسْرَة" و ذاك يحبّ " المطْلوع" و هكذا . بعد انتهاء الغداء يذهب الأطفال للعب مرّة أخرى ويتفاخرون فيما بينهم بقففهم من الأجمل ومن الأثقل.أما الفتيات؛

فيقررن الدخول إلى الغابات و اكتشافها فتجد منهن الشجاعة التي تكون في المقدمة و تجد الكسولة التي لا تستطيع المشي فتكون في المؤخرة ،و فجأة يُسمع نداء الأمهات: حان وقت الرحيل ،فيتأسف الجميع على نهاية هذا اليوم الجميل الذي لا يتكرر إلا مرّة في السنة . و يمثل هذا اليوم متنفسا حقيقيا لسكان المنطقة باعتباره اليوم الوحيد الذي يسمح لهن الخروج دون طلب إذن أحد .

و خروج معظم أفراد الأسرة للاحتفال بعيد الربيع نجده في حكاية " رداح المصونة " عندما استغلت "العجوز الستوت" فرصة وجود محمد الهلايلي وحيدا مع الوصيفة بسب خروج والديه للاحتفال بعيد الربيع ، فاحتالت عليه و أقنعته أنها جدته ثم دفعته للخروج من القصر الذي لم يكن يعرف عن خارجه شيئا . و تعرضت هذه الحكاية أيضا لجمال الطبيعة في هذا الفصل بقولها على لسان الراوي عندما خرج البطل من القصر لأول مرة : "لْقى الدّْنْيا زاهْية النّْواويرْ ،الْمْرْجْ ، العُطْلاَن ، البْقْري سارْحَة ،الحْشِيش خْضَر خْضَر ..."

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-المعتقدات في الحكاية الشعبية:

إنّ ما يميّز المعتقدات الشعبية عن العادات الشعبية أنها" خبيئة في صدور الناس ، فهي لا تلقّن من الآخرين و لكنها تختمر في صدور أصحابها ، و تشكل بصورة مبالغ فيها ، أو مخففة ، و يلعب الخيال الفردي دورا مهما ، ويعطيها طابعا خاصّا ، و لا يمكن أن تقترن بطبقة دون أخرى ، فهي موجودة عند كافة الطبقات و المستويات و لكن بدرجات متفاوتة ."[1]

وكون المعتقدات الشعبية خبيئة في الصدور ؛صعّب كثيرا مسألة البحث عنها ،فإذا بحثنا عنها في بطون كتب التاريخ فإننا نجد أنها لم تعر اهتماما كبيرا لهذا الجانب ، و فضلت الحديث عن الحروب و المعارك و شؤون القصور...إلخ ، "لهذا كانت الدراسات الأدبية الشعبية والأنثروبولوجية لسد مثل هذه الثغرات و إيصال الحلقات المقطوعة"[2] و الوسيلة لتحقيق ذلك هي الرواية الشفاهية التي سجلت دون قصد منها ما عجزت عنه المدونات.

وبعض معتقدات مجتمع القص نابعة من الدين الإسلامي الحنيف ، كالإيمان بالقضاء و القدر ، و الإيمان بوجود الجن و فعالية السحر ، و بعضها الآخر عبارة عن معتقدات مترسبة لدى أهل المنطقة منذ ما قبل ظهور الإسلام كالاعتقاد في وجود الغول و العرافة و التطير .

وعلى كل يمكن تقسيم المعتقدات الشعبية في منطقة القصور إلى :

---

[1] محمد الجوهري :علم الفولكلور ، دار المعارف ، ط1،القاهرة ، 1957، ص 58.

[2] عزي بوخالفة ، مرجع سابق ، ص 219.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-1-معتقدات شعبية سلوكية:

2-1-1- السحر:

جاء في القاموس المحيط " أن السحر عمل يتقرب فيه من الشيطان بمعرفة منه، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يُظن أن الأمر كما يرى ، وليس الأصل على ما يرى فالسحر : الأخذ وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر . وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره."[1]

وجاء في **صحاح اللغة** أن **السحر**" هو الأخذة ...**والساحر**: هو العالم وسحره أيضا بمعنى خدعه."[2] . أما في **مقاييس اللغة** فالسحر "هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة."[3]

والسحر في اللغة" هو عبارة عن ما خفي ولطف سببه ، ولهذا في الحديث إن من البيان لسحرا وسمي السحور..سحورا لأنه يقع خفيا آخر الليل"[4] وقال تعالى :{ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ }[5].

والسحر في الاصطلاح :"هو عزائم وعقد وتمائم تؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه" [6] كما قال تعالى:

{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ }[7] وقال سبحانه (قل أعوذ برب الفلق ..إلى قوله ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن ، وينفثن في عقدهن .

فالسحر كان موجودا لدى الأقوام السابقة ومنهم قوم موسى ، يتضح هذا في قوله تعالى :

{ وَقَالُواْ يَأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ }[8]قد يقول قائل كيف يقول قوم موسى

---

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب :القاموس المحيط ، ضبط و توثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت،2008 ،ص 365.

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري :تاج اللغة و صحاح العربية ، مراجعة محمد تامر و أنس محمد الشامي ،دار الحديث،القاهرة 2009،ص522.

(3) أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، بيروت ،1976،ص 325.

(4) تاج الدين نوفل : السحر و السحرة و الوقاية من الفجرة ، دار الشهاب للطباعة و النشر ،باتنة، الجزائر،دون سنة نشر ،ص 09.

(5) سورة الأعراف ، الآية 116.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون والجواب في ذلك أن الساحر كان نعتا محمودا والسحر كان علما مرغوبا فيه، فقالوا أيها الساحر على وجه التعظيم له.فلم يكن السحر عندهم كفرا فالساحر عند هذه الأقوام هو العالم، والقرآن نفسه يؤكد أن السحر حقيقة لكنها حقيقة مؤذية. لذلك أمرنا بالاستعاذة منه في سورة الفلق ، وروت سيدتنا عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلّم سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله وأنه قال لها ذات يوم: (أَتَانِي رَجُلان فقعَد أحَدُهما عند رأْسي والآخر عند رجْلي فقال أَحَدُهَما لصاحبه ما وجع الرجل ؟ فقال مطْبُوبٌ ،قالَ مَنْ طَبَّهُ ؟ قال: لبِيدُ بنُ الأعْصَم : في مُشْطٍ ومَشَاطَةٍ وجَفُ طلْعِ نخْلَةٍ ذكَرٍ،قال :و أَيْنَ هُوَ؟ قال: في بِئْرِ ذَرْوان)[1]

و السحر "هو علم الإنسان البدائي لكنه علم زائف" [2] ويقسم السحر إلى حقلين أساسيين:

أولا- **السحر الخارقي** :لا يرتكز جوهريا على تحدي القوانين الطبيعية فيزيائيا وكيمائيا وبيولوجيا ويعمل ضدها وأحيانا يحاول تطويعها لصالحه.

ثانيا-السحر العاطفي : وهو المصطلح الذي شاع استعماله على أساس أنه السحر بصورة عامة وقد مارس الإنسان هذا النوع من السحر على أنه علم لكنه علم بدائي حاول الإنسان فيه أن يرى في الطبيعة مجموعة من الظواهر والقوانين التي يمكن تقليدها ويمكن تقسيم هذا السحر إلى نوعين :

أ-**السحر التشابهي**: وقد نشأ هذا النوع من السحر عن مراقبة الإنسان لأشياء الطبيعة غير الحقيقية فقد وجد أن الجزء الذي يأخذه من ماء النهر يشبه ماء النهر كله ، وأن الجزء الذي يأخذه من التراب يشبه التراب كلّه وأنّ بعض المطر يشبه المطر كله ، وأن قبسا من النار يشبه النار كلها، وهكذا... أي أن مكونات الطبيعة الأربعة (الماء، الهواء، التراب، النار) هي التي

=[6] تاج الدين نوفل، مرجع سابق ،ص 09.

[7] سورة البقرة ، الآية 102.

[8] سورة الزخرف ، الآية 49.

[1] محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ،تحقيق طه عبد الرءوف سعد ،دار الرشيد ،باب الزوار ،الجزائر ،2003، ص1205.

[2] خزعل الماجدي ،مرجع سابق، ص33.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوحت له بأن الجزء يشبه الكل فيها . وهذا من الناحية العلمية صحيح ،لكنه ظن أن تعميم هذه الظواهر على كل شيء سيجعله قادرا على التحكم في هذه الأشياء لأنها ستمثل ضمنيا قوانين الطبيعة ، وبذلك قام هذا النوع من السحر على مبدأ أن العلل المتشابهة تنتج عنها نتائج متشابهة .[1]

وهذا النوع من السحر لا نجده في منطقة البحث ولا في حكاياتها الشعبية .

ب- **السحر الاتصالي:** " يعتمد على القانون الاتصالي الذي يقول بأن الأشياء التي كانت متصلة في زمن ما ثم انفصلت يبقى تأثير بعضها على بعض ، وأن للجزء تأثير على الكل ، كما أن للكل تأثير على الجزء ، واعتقد الإنسان الساحر أنه بهذا سيطر على الطبيعة "[2]فرأى أن أخذ شعرة من إنسان تمكنه من التأثير عليه من خلالها ، وأن قلامة الأظافر يجب أن تدفن حتى لا تقع في يد أحد فيؤذيه بها .

هذا النوع من السحر لمّحت إليه حكاية (نصف عبد)التي تقول في ثناياها أن نصف عبد نصح إخوته بعدم الذهاب عبر الجهة اليسرى ، لكنهم لم يأخذوا برأيه وساروا في الطريق الأيسر،فتعرض لهم عمار ليهودي وخطف زوجة نصف عبد منهم وحاول إجبارها على الزواج منه لكنها رفضت ،فجعلها خادمة لديه تقوم كل يوم بحمل الراعي على ظهرها ،إلى أن جاء يوم علم زوجها بأمر اختطافها فذهب إليها متنكرا وطلب منها أن تتظاهر أمام عمار اليهودي بأنها موافقة على الزواج منه شرط أن يخبرها أين يضع روحه ، عندما عادت إلى البيت أخبرت عمار ليهودي أنها موافقة على الزواج منه شرط أن يخبرها أين يضع روحه فقال لها : روحي في الباب. قالت له: الباب نخرج منه. قال لها: روحي في النافذة قالت له: النافذة يدخل منها الضوء قال لها:أتريدين الزواج مني فعلا ؟ قالت له: نعم ، قال لها : روحي في شعرة والشعرة في بيضة والبيضة في الناقة ، فبحث نصف عبد على الناقة حتى عثر عليها فعقرها بمساعدة أسدين،ووجد في بطن الناقة حمامة عند ما شق بطنها وجد في داخله بيضة وداخل البيضة توجد

---

[1] ينظر المرجع نفسه ، ص28 - 30.

[2] المرجع نفسه ، ص 30

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شعرة، كان عند ما يسل الشعرة من البيضة تخرج روح عمار ليهودي وإذا أعادها إلى مكانها تعود إليه روحه إلى أن قام بسلها نهائيا ومات "عمار ليهودي".

ونجد السحر الاتصالي أيضا في حكاية "حد الزين "عند ما كان يتصل صديق غانم كل مرة بالحيوانات لمساعدته عن طريق حرق جزء من جسم هذه الحيوانات فعند ما كان بحاجة النمل أحرق جزءا من فضلاتها وعند ما كان في حاجة الخنازير أحرق الوبر الخاص بالخنزيرين اللذين ساعدهما من قبل .

2-1-1- الشعوذة أو السّحر الكاذب:

لغة : الشعوذة من شعذ ويقال الشعبذة وهما خفة في اليد ، وسمي المتحكم في أسرار السحر والحكمة مشعوذا لقدرته على ما لا يقدر عليه غيره[1] ."وسميت الشعوذة بالسحر الكاذب لأنها تعتمد على الدجل والحيلة والغش والخداع وخداع البصر وخفة اليد"[2]

وهذا النمط من السحر هو الذي ينتشر كثيرا بين الناس ويمارسه أناس مختلفون يعلمون تماما بأنهم يمارسون خداع الناس والتأثير عليهم بخداع العين وإذهال الناظرين مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ما ذكره الله سبحانه وتعالى قوله : { يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } [3]

ومفهوم الشعوذة يكاد يطابق مفهوم **العزام** أو **الطالب** في الاعتقاد الشعبي الذي يدعي إبطال السحر وذلك عن طريق إقناع زبائنه أنهم أكلوا طعاما مسحورا فيجعلهم يتوهمون أنهم رأوا صحنا فيه قطعة صابون وكبة شعر و قلامة أظافر...

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،مصدر سابق ،ص303.

[2] خزعل الماجدي ، مرجع سابق ، ص 31

[3] سورة طه ، الآية 66.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويغطي المشعوذ عجزه بطريقة ذكية جدا عندما يرفض الإفصاح عن اسم الشخص الساحر لدافع أخلاقي، ويضفي على عمله صبغة دينية عندما يدّعي أنه يكتب حرزا أو تميمة من القرآن الكريم وهو لا يعرف عنه شيئا، ثم يطلب من المسحور أن يعلقها في صدره حتى تحميه من كل أنواع السحر ،وبهذا يسهل على الناس السذج الوقوع في هذا الفخ لعجزهم عن إيجاد الحلول.

وهو ما حدث مع بوطماية عندما مرض أخويها و لم تعرف ماذا تفعل لهما فلجأت إلى الطالب الذي كتب لها حرزين وطلب منها أن تعلّق كل حرز في صدر كل منهما ولحسن الحظ حسب الراوي أنها عندما عادت بالحرزين لم تجدهما في المكان المعهود .ويتوقف نجاح المشعوذ في الغالب على مدى تصديق الناس له .

2-1-3- العرافة :

العرافة "هي التنبؤ بالغيب .وقد يشمل هذا الغيب الماضي أو الحاضر أو المستقبل.وقد كان الإنسان مولعا بالتعرف على أسرار الماضي وخفايا الحاضر و احتمالات المستقبل، لذلك ابتكر العرافة لكي يقوم بالتنبؤات في هذه الأزمان ويحاول أن يكشف عن الأحداث المخبأة"[1].

ويخلط الكثير بين العرافة والسحر في حين أنهما مختلفان ومتضادان ،" فالعرافة تعتمد على قوى الفراسة والتنبؤ داخل الإنسان والقدرة على استقبال الإشارات والعلامات الخارقة لتضع التنبؤ المناسب لها ، في حين يعتمد السحر على تخير قوة الساحر أو قوة طبيعية للسيطرة على الطبيعة والظواهر . إنه يرسل قوة ما بينما يستقبل العراف قوة ما "[2].

والمصطلح الذي يختلط تماما مع العرافة هو الكهانة " التي تقتضي الاتصال بالآلهة و الأرواح لمعرفة المستقبل و التنبؤ بما سيحدث. "[3]

---

(1) خزعل الماجدي ، مرجع سابق ،ص 239

(2) المرجع نفسه ، ص 240.

(3) أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الرمزي و الأسطوري –أساطير و رموز و فولكلور في الفكر الإنساني- ،المؤسسة الحديثة للكتاب ، ط1،طرابلس، لبنان،2006، ص 236.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الفرق بينهما يكمن في أن الكاهن "يستطلع الغيب عن طريق الاتصال بروح الآلهة سواء عن طريق الشفافية المطلقة أو عن طريق أعوانه من الجن والشياطين "[1] في حين أن العراف يستطلع الغيب عن طريق اتصاله بالجن والشياطين ولا يلجأ إلى الإلهة .

فالعراف بهذا هو كاهن استغنى عن الآلهة التي كان يؤمن بها الإنسان البدائي في عصر توليد الأساطير واكتفى بالأساليب التي لازال يؤمن بها الناس كالاتصال بالجان أو الشياطين أو الحدس وبعبارة أخرى: لا يوجد فرق كبير بين الكهانة والعرافة ، فكلاهما أسلوب من أساليب الاتصال بالغيب والمجهول، وإن كان هناك فرق فهو فرق اصطلاحي لا غير ؛فالكاهن هو لقب أطلق على العراف في الماضي والعراف هو لقب أطلق على الكاهن في الحاضر .

وتقسم العرافة إلى قسمين وهما:

أولا- العرافة الملهمة أو الاتصالية : وهي اتصال العراف بقوى غيبية كالآلهة والجن والعفاريت فيتلقى المعلومات منها ،وهي تنقسم إلى نوعين:

أ - عرافة سلم الجن :

"حيث يصعد حشد من الجن إلى جهة من السماء ويتلقى الجن الأعلى كلاما يسلمه إلى الذي يليه حتى يضع الجن الأخير هذا الكلام في أذن العراف فينطق به "[2] أو أن تسترق الشياطين السمع وتلقيه على ألسنة العرافين أو الكهان ،فينقلون إلى الناس الأخبار ويزيدون عليها بحسب ما يرد إليهم ، وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ عنها في قوله: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا }[3] وقوله تعالى { يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا }[4] وقوله تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ }[5] . والشياطين والجن لا تعلم الغيب وإنما ذلك استراق مما سمعوا من الملائكة بدليل قوله تعالى { فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ }[6].

---

(1) فاروق خورشيد :الموروث الشعبي ،دار الشروق ،دون طبعة ،القاهرة ،1991، ص 76.

(2) خزعل الماجدي، مرجع سابق ، ص 241.

(3) سورة الجن ، الآية 08. (4) سورة الأنعام ، الآية 112. (5) سورة الأنعام الآية 121. (6) سورة سبأ ، الآية 14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و حتى يحظى العراف الذي يُعرف في مجتمع القص **بالمرابط** على ثقة الجن أو الشياطين؛ عليه أن يكفر كفرا مطلقا بالله عزّ وجلّ، ثم يعلن الولاء للجان الذي سيسكنه ويقوم بعدها بأفعال سلوكية مبتذلة تنكرها كل الشرائع السماوية كأن يبول على القرآن الكريم، أو يغتسل بنجاسته ليلا ...

ولا تذكر الحكاية الشعبية هذه التفاصيل ويتجنب مجتمع القص الحديث عنها باعتبار أنها مسألة حساسة تمس عقيدة التوحيد.

ب -**عرافة اختيار الجن:**

"حيث يختار الجن إنسانا معينا فيتصل به ويخبره بما لا يخبر عنه غيره"[1] فيصبح بذلك الإنسان مسكونا أو **"مركوب"** حسب الاصطلاح الشعبي ،ويختار الجن هذا الإنسان بالذات لأنه حسب مجتمع القص -اعتدى على الجان برمى ماء قذر أو ماء ساخن في الأماكن المهجورة التي تمثل مسكنه .

وللتخلص من هذا الجان يلجأ الإنسان الشعبي إلى طرق شرعية تتمثل في اللجوء إلى الرقاة الشرعيين، أو طرق أخرى غير شرعية تتمثل في اللجوء إلى المشعوذين اللذين يقيمون طقوسا تتمثل في الحضرة لإخراج الجان من الإنسان .

ثانيا-**العرافة الاستنتاجية :**

و هي العرافة التي لا تعتمد على القوى الغيبية، بل على الاستنتاج الذي يقدمه العراف بما يملك من قدرات خاصة و تشمل:

---

[1] خزعل الماجدي ، مرجع سابق ، ص 241.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ - **العرافة التخمينية:** و هي العرافة التي تستند إلى الظن و التخمين و الحدس و التقدير و هي ما تعرف بالفراسة [1].

منها ما جاء في تفسير الآية الكريمة: { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2] . "قال مجاهد للمتوسمين المتفرسين و قال ابن أبي حاتم حدّثنا الحسن بن عرفة حدّثنا محمد بن كثير العبدي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله "ثم قرأ قوله تعالى:"إن في ذلك لآيات للمتوسمين"...و قال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه "[3]

فالفراسة بذلك طريق سليم لأنه لا يعتمد على الجن أو الشياطين أو العفاريت ، بل تعتمد على هبة الحدس التي تمتّع بها صديق غانم في حكاية "حد الزين " عندما استطاع تمييز موكب العروس من بين تسعة و تسعين موكب عروس متشابهة .و تمتع بها " نصف عبد " عندما شعر بأن مكروها ما أصاب إخوته و زوجته، و هو الذي حدث فعلا فبعدما اقتفى أثرهم و سأل عنهم علم أن عمّار اليهودي قام بحجزهم و يفكر في قتلهم ،فخلصهم نصف عبد من شراكه وأنقذهم من موت محقّق.

---

[1] المرجع نفسه ،ص241.

[2] سورة الحجر، الآية 75.

[3] ينظر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير :تفسير القرآن العظيم ، تقديم يوسف عبد الرحمان المرعشلي، الجزء الثاني،دار المعرفة ،بيروت،لبنان، 1986،ص 575.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- **العرافة الاستدلالية** : و هي "ما يستدل عليه العراف بالتجربة و العادة مستدلا على الذي سيحدث بما وقع قبل ذلك"[1] فاستطلاع الغيب و التنبؤ به لا يعرف عن طريق الاتصال بالجان و العفاريت و الآلهة فقط، بل قد يعرف بالحدس و التخمين كما هو حال العرافة الاستنتاجية أو عن طريق مجموعة من الإشارات التنبؤية التي قد تكون :

- **إشارات في الكف** أو تقاسيما في الوجه، وهذه العلامات تكشف ماضي الإنسان و حاضره و مستقبله تماما كالذي مع والدة "منحوس" عندما زارتها إحدى العرافات أثناء حملها وقرأت لها كفّها و أخبرتها أنها سترزق بولد سيكون يوم ميلاده هو يوم وفاة جميع أهله ،و هذا الذي حصل فعلا في الحكاية.

إذا كانت العرّافة قد أصابت في هذه الحكاية عن معرفة بأسرار خطوط الكف فإن"عصفور" في حكاية " عصفور و جرادة " قد أصاب صدفة من غير أدنى علم أو معرفة بالعرافة ؛فعصفور هذا و هو اسم شخص لا يعرف شيئا عن كيفية استطلاع الغيب و لم يكن يرغب في ذلك أيضا لولا إلحاح زوجته " جرادة"عليه التي أصرت أن يعمل زوجها عرافا وعندما أخبرها بأنه لا يعرف شيئا عن هذا العمل قالت له :" الِي يجِي الِيكْ قُول لُه هات كَفك الايَسر و اخْرُط عْليه "*.

و قد كان أول زبائن عصفور رجل اصطاد عصفورا بواسطة فخّ كان طعمه جرادة ،فقال الزبون للعراف :" لو كان ما تْقوليش كيفاه حكمت العصفور يْطير راسَك" .فطلب منه عصفور أن يمدّ كفه و قال له : لو كان ما هي جرادة ما حصل عصفور "**.فاعترف الزبون بكفاءة عصفور و ذاع صيته في البلدة حتّى بلغ مسمع السلطان الذي كان يبحث عن شخص

---

[1] خزعل الماجدي ، مرجع سابق ، ص 241.

* الذي يأتيك اطلب منه أن يمد لك كفه الأيسر ثمّ قل أيّ شيء .

** لولا جرادة يقصد زوجته ما تورّط عصفور يقصد نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يساعده في القضاء على اللصوص الأربعين فبعث وراءه ، و ارتجف عصفور خوفا لأنه لا يعرف شيئا عن العرافة .

بعدما تأكد عصفور من أن مصيره سيكون الموت لا محالة أراد أن يتمتع و زوجته بالأيام المتبقية من حياته ،فطلب من السلطان أن يمهله أربعين يوما و يمنحه خروفا في كل يوم .

سمع اللصوص الأربعون بأن هناك عرّافا ماهرا سيكتشف أمرهم ،فأرسلوا أحدهم لتقصي الأمر. بينما كان ذاك اللص يسترق السمع وراء باب العرّاف ؛ فإذا بعصفور يذبح الخروف الأول في اليوم الأول و يقول لزوجته:" هذا واحد من الأربعين"،فاعتقد اللص أنه يقصده بقوله فذهب إلى أصحابه و أخبرهم أنه عرّاف جيد و الدليل أنه عرف بأني وراء الباب دون أن يراني ،فبعثوا لصّا آخر في اليوم الموالي فجلس خفية وراء الباب فإذا بعصفور يذبح الخروف الثاني ويقول:"هذا الثاني من الأربعين"فذهب اللص مهرولا إلى أصحابه و أكد لهم أن هذا العرّاف سيكشف أمرهم لا محالة، فذهبوا إليه و تعهدّوه بألا يعاودوا فعل السرقة مرّة أخرى شرط ألا يخبروا السلطان بمكانهم ،فوافق عصفور و أوقف بذلك فعل السرقة دون أن يبذل أدنى جهد .

- أوقد تكون **إشارات في الرمل** :"كما تفعل المجتمعات الصحراوية عندما كانت تتأمل في الأرض و في الرمل بالذات ، و كانت قراءتها عملية معقدة أوجدتها البيئة الصحراوية التي لم تحسن القراءة و الكتابة ،و قراءة الرمل هي مرحلة ممهدة لقراءة النجوم و كان قارئ الرمل يسمّى رمّالا (1)"

و رغم أنّنا لم نعثر في المجتمع القصوري على قارئ رمل فإننا نجد حكاية "بن عمير " تشير إلى هذه الشخصية و مدى تأثيرها في أحداث الحكاية عندما عرضت قصة أربعة شبان التقوا

---

(1) ينظر مرسي الصباغ،مرجع سابق، ص92 ،93.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صدفة و تكونت بينهم رابطة صداقة قوية جدا، كان أحدهم وهو ابن عمير سارقا و كان الثاني نجارا و الثالث قنّاصا و الرابع قارئ رمل أو" ضارب خط الرمل " على حد تعبير الحكاية، وأراد كل واحد منهم اختبار كفاءة صديقه ،فطلبوا من ضرّاب خط الرمل التنبؤ بما سيحدث لهم في المستقبل فأخذ حصى من الأرض و بعد أن تأمّلها جيدا أخبرهم بأنهم سيعثرون على حجلة تحضن بيضها و سيقوم النجّار بنحت عشها و بعدها سيتمكن ابن عمير من سلّ البيض من تحتها دون أن تشعر و سيقوم القناص باصطيادها بعد أن تحاول الهرب. وهذا ما كان فعلا لتكون هذه الحادثة فرصة تأكد فيها كل واحد منهم من كفاءة صاحبه.

و تواصل هذه الحكاية عرض كفاءة قارئ الرمل عندما يتوقف في أحد المرّات و يخبرهم بأنهم سيذهبون إلى سلطان خطف ابنته خاطف العرائس، و سيتمكنون من إنقاذها بحول الله وسيغنيهم السلطان مكافأة لهم على فعلتهم و هذا الذي كان أيضا ،إذ تمكن الأصدقاء من إنقاذ ابنة السلطان .

- أو قد تكون أشارت في الأحلام :

"لقد أوحت الأحلام للإنسان البدائي في العصور الحجرية القديمة استمرار الحياة بعد الموت ، وكانت سببا رئيسيا في نشوء المذهب الدارويني "[1]."إذ يؤمن الإنسان و يتأثر بما يراه في الحلم في حالة فقدان الإدراك بحقيقة ما يخيل إليه من صور و أحداث "[2]

---

[1] ينظر خزعل الماجدي ، مرجع سابق ،ص 256

[2] مرسي الصباغ ،مرجع سابق ،ص 94.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغالبا ما تكون هذه الأحداث رموزا كما حدث مع سيدنا يوسف عندما رأى أحد عشر كوكبا { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } [1]

و تكلم المفسرون في تفسير هذا المنام أن" الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته و كانوا أحد عشر رجلا سِواه ، و الشمس و القمر عبارة عن أمه و أبيه. "[2]

أو كما حدث لفرعون الذي رأى في منامه كأن النار قد أقبلت من البيت المقدس حتى مالت على بيوت مصر فأحرقتها ،و تركت بني إسرائيل فدعا فرعون الكهنة و السحرة و المنجمين، فسألهم عن رؤياه فقالوا له يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك و يغلبك على سلطانك ويخرجك و قومك و يبدل لك دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد من بني إسرائيل.

و يحظى تأويل الأحلام و تفسيرها باهتمام كبير من قبل المجتمع الشعبي خاصة لدى المرأة فإذا رأت الفتاة في منامها حذاءا أو خمارا فهذا يعني أنها ستتزوج ،و إذا رأت في الشهور الأولى من حملها مفتاحا فهذا يعني أن الجنين ذكرا ،و إذا رأت فستانا أو عقدا فهذا يعني أن الجنين أنثى وإذا رأت جزمة فهذا يعني أن المرأة حامل بتوأم .

ومن بين التنبؤات بواسطة الأحلام نجد الأخيرة في حكاية "بوطماية " عندما كانت أمها حاملا رأت أنها اشترت جزمة لزوجها في المنام، عندما سألت زوجها عن تأويل هذا الحلم أخبرها أنها سترزق بذكرين توأمين و هذا الذي كان في الحكاية إذ أنجبت توأمين أطلقت على أحدهما اسم الحسن والآخر اسم الحسين .

---

[1] سورة يوسف ، الآية 4.

[2] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مرجع سابق ،ص 485.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تكون الرؤيا مباشرة فتخلو من الرموز كما حدث مع هارون الرشيد عندما رأى شيخا في المنام أخبره بأنه سيقضي سبع سنوات في الشقاء و سبع سنوات في الهناء ،فأيهما يفضّل أن يقضي أولا ،فاختار هارون الرشيد السنوات العجاف أوّلا لأنّه سيكون على أشده .

و هذا الذي كان فمنذ بداية اليوم الأول من سنوات الشقاء و هو يعاني بداية بغرق بغلته في الوحل و وصولا إلى التشرّد في الفيافي دون مأوى أو لباس أو عمل ،و بمجرد حلول اليوم الأول من سنوات الهناء ينتقل للعيش في القصر بعد مصاهرته للسلطان .

" و هناك طرق أخرى للتنبؤ بالغيب منها ملاحظة خصائص الكبد و غرائبه و الرئة في الحيوان المذبوح "[1]

و هذه مجموعة من الإشارات التنبؤية التي يتداولها مجتمع القص لكنّي لم أجدها في حكاياته الشعبية :

-إذا أصبت بحكّة في يدك اليمنى؛ فهذا يعني أنك ستقبض مالا ، و إذا أصبت بحكة في يدك اليسرى؛ فهذا يعني أنك ستدفع مالا .

- إذا حكّك شاربك ؛فهذا يعني أنك ستستقبل ضيفا .

-إذا ارتعشت عينك اليمنى؛ فهذا يعني أنك ستستقبل ضيفا عزيزا .

- إذا ارتعشت عينك اليسرى؛ فهذا يعني أنك ستستقبل خبرا سيئا .

- و إذا حكّك حاجبك ؛فهذا يعني أن هناك من يتحدث عنك .

- إذا عضضت لسانك دون قصد؛ فهذا يعني أنك ستأكل اللحم قريبا جدا .

و الطريف في الأمر أن هذه التنبؤات تحدث في كثير من الأحيان .

---

[1] جعفري بارندر :تاريخ الأديان القديمة ،ترجمة عبد الفتّاح إمام ،مراجعة عبد الغفار مكاوي،دار المعرفة ، الكويت،1993،ص 29.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-2 –معتقدات شعبية نفسية :

2-2- 1-الفأل :

"روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يحب الفأل الصالح و الاسم الحسن ، و روي أنه صلّى الله عليه و سلم لما نزل المدينة على الكلثوم دعا غلامين له : يا بشّار ، ويا سالم فقال صلّى الله عليه و سلّم لأبي بكر :أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار. "[1]

فقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يتوسّم خيرا بالاسم الحسن ، وهو معتقد نجده في حكاية من حكاياتنا الشعبية و هي حكاية " المنحوس " الذي كان يعاني من سوء الطالع منذ ولادته إذ ولد و عاش فقيرا معدما ، وعندما أراد أن يعمل لم يرض أحد أن يوظفه لديه و عندما أراد الزواج لم ترض أي امرأة به ،إلى أن جاء يوم قرأ لافتة كانت معلقة على باب المسجد تقول أن قرعة ستقام في البلدة و سيحصل الفائزون فيها و عددهم سبعة على جائزة تتمثل في جواز سفر للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج .قرر منحوس في البداية عدم وضع اسمه في القرعة لمعرفته المسبقة بسوء حظه ،لكنه عدل عن ذلك بعدما التقى بصديقه "المسعود" لأنه توسّم خيرا باسمه .

و يجسد المجتمع الشعبي إيمانه بالفأل الحسن عندما يُسحب اسم المنحوس في القرعة و يفوز بجواز السفر للبقاع المقدسة.

ولا يتفاءل المجتمع الشعبي بالأسماء الحسنة فقط، بل بالألوان أيضا إذ تجدهم يستبشرون خيرا باللونين الأبيض و الأخضر.تجسّد هذا في حكاية هارون الرشيد الذي تحدى أصهاره بعد انتقاصهم من شأنه، فبعدما وقع اختيار ابنة السلطان عليه أراد أن يثبت لها و لنفسه و للمجتمع أنه أهل لها، طلب منها بعد مرور أيام من عقد قرانهما أن تزور والدها و تطلب

---

[1] شهاب الدين الأشبيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج2 ، ط1، بيروت ،لبنان ،2001. ص.58.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه أن تتظاهر بالمرض و تقول له حرفيا: " إذا عادُوا أنْسابك يحبوك يجيبُولك حليب اللبَّة في جْلد ابْنها ،ومحْزوم بشْلاغم السَّبع " فاشتراط هارون للحليب دون غير ما هو إلا تعبير عن تفاؤل المجتمع الشعبي بلونه الأبيض .

شاع في القصر أن السلطان مريض وهرع إليه أصهاره السبعة لزيارته فأخبرهم أن شفاءه لن يكون إلا بلبن اللبؤة الموضوع في جلد ابنها و المربوط بشوارب زوجها الأسد. استغرب أصهاره هذا الطلب و أخذ كل واحد منهم ينظر إلى الآخر و يقلّب يديه فقام هارون الرشيد وقال :" انجِيبُوها يا سِيدي انْجيبُوها " فكان كلامه هذا بمثابة قبول لتحدي السلطان على لسان واحد منهم .

تمكّن هارون من الحصول على لبن اللبؤة الموضوع في جلد ابنها بمساعدة الشيخ المدبر و تنكّر وظهر لأصهاره الستة فجأة من وراء هضبة يرتدي لباسا أخضرا و يمتطي حصانا أبيضا. فظهور هارون الرشيد متنكرا بلباس أخضر و ممتطيا حصانا أبيضا ما هو إلا تجسيد آخر لتفاؤل منتج الحكاية باللونين الأخضر و الأبيض .

ويجري التفاؤل في مجتمع القص أيضا بالطيور البيضاء ،فقد عرف "محمد بن السلطان "بأمر اختصام إخوته و والده على زوجته التي كانت لا تزال في عصمته من اللقلق الأبيض الذي ساعده على استعادة بصره ، و تمكّن غانم من إنقاذ ابنه وصديقه بعد رؤيته للحمام الأبيض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-2-2-التطيّر:

في مقابل الفأل نجد المجتمع الشعبي القصوري يتشاءم من الأسماء السيئة ، ففي الوقت الذي نجد فيه أن منحوس تفاءل خيرا باسم صديقه "المسعود" ؛ نجد أن مسعود تشاءم من اسم " المنحوس" و عزف عن وضع اسمه في القرعة بعدما التقى بصديقه "المنحوس" :" كُنْت رايْح نحُطّ بصَحْ كي شَفْتَكْ بَطلْتْ. "

و يتشاءم منتج الحكاية الشعبية من اللون الأسود ؛يتجسد هذا المعنى في حكاية "شيء ما هو شيئ " عندما تفتتح أحداثها بعبارة :"قَالك عْلى شِيء ما هُو شيء رْفَد سَبَّاطه الأكْحل و لبس قَشُه الأكْحَل و دارْ شاشُه الأكْحَل و بدأ يْمْشي " ثم تشرع في عرض معاناته التي انتهت بموته و كأن سوء الطالع الذي لاحقه طوال أحداث الحكاية لم يكن لشيء سوى لأنه كان يرتدي لباسا أسودا من رأسه إلى رجليه .

- و إذا كان منتج الحكاية الشعبية يتفاءل خيرا باللباس الأخضر كما حدث مع هارون الرشيد ؛فهو يتشاءم من أصحاب العيون الزرقاء فبعدما حان موعد افتراق علي اللفحل عن توأمه الجايح نصحه قائلا:"نوصِّيكْ عَنْدْك تَخْدمْ عَند زُرْق العَيْنين "، لكن زرق العينين تحايل على " الجايح" و أقنعه أنّ جميع سكان تلك البلدة أصحاب عيون زرقاء ، فعمل الجايح لديه وكانت الأيام التي قضاها هناك أيام نحس لم يذق فيها طعم السعادة أبدا .

- و إذا كان اللقلق فأل خير في الحكاية الشعبية القصورية فإن الغراب نذير شؤم فيها ، لعلّ سبب ذلك أمور" ترجع إلى لونه ،أو إلى عمله ، أو إلى اسمه. "[1]

---

[1] حسين الحاج حسن:الأسطورة عند العرب في الجاهلية ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،دون طبعة و بلد نشر،1998،ص59.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و هناك من يذهب إلى أن كراهية الغراب ترتبط بتلك المقدرة التي يمتلكها للتكهن بالمستقبل "[1] و بتجسد تشاؤم المجتمع الشعبي من الغراب في حكاية "حدّ الزين عندما أطل غرابان أحدهما من الشرق و الآخر من الغرب على الصديقين فأصيب الشاب صديق "غانم" بالشلل .

و ها هو علي اللفحل و شقيقه يعيشان في وفاق إلى أن أطل عليهما غراب قال لهما: أتْفَرْقوا و إلاّ تْتْحَرقوا ". فواجه علي الجايح مصاعب جمّة لأجل ذلك و لم يسلم اللفحل من مشاعر الخوف و القلق على أخيه .

و لعل أكره الطيور و أنكرها لدى المجتمع الشعبي القصوري هو " البوم " لاحظت ذلك عندما وصل الراوي في عرضه لأحداث حكاية بوطماية إلى مشاهدة بوطماية ذات ليلة لبومة فوق الشجرة التي كانت تأوي أخويها الرضيعين ،فردد الجميع : "يا حفيظ يا ستّار ، الله يعافينا "، وبعد استرساله في العرض أقر أن تلك الليلة هي الليلة الأخيرة التي شاهدت فيها أخويها الحسن و الحسن فردد الجميع : ما دامْت شافْت البُومة واش طامعة !".

فكانت البومة فعلا نذير شؤم في هذه الحكاية ،"و كانت العرب قديما تتشاءم من البومة ، فكانت كنيتها الخراب " [2]

و على كل فقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحب الفأل و يكره التطير .

---

[1] فوزي العنتيل : الفولكلور ما هو ؟ ، دار المسرّة ،ط2 ،بيروت ، 1987،ص 103.

[2] شهاب الدين الأشبيهي، مرجع سابق، ص 189.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-3 - الاعتقاد في كائنات ما وراء الطبيعة :

2-3-1- الجان :

لا شك أن صورة الجان في الحكاية الشعبية قد تشكلت في الأساس انطلاقا من تصوّر الإنسان قديما لهذا الكائن شكلا و طبيعة ووظيفة .

فالإيمان بوجود الجان هو حقيقة لم تنفها الكتب السماوية " فالديانات كلها لم تنف هذه المسلمة التي رُسّخت منذ العهد القديم في العصر البشري ، بل لقد جعلت الأديان من الجان حقيقة ماثلة "[1]و هي الحقيقة التي أثبتها القرآن الكريم في قوله تعالى : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ } [2] و في قوله : { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا } [3]

هذا إلى جانب ما هو معروف "من تسخير الجن لسيدنا سليمان لطاعته و معاقبة كل من خالفه من الجن الشرير أو الكافر بسجنه في قماقم مطلسمة بخاتم سليمان كعقوبة أزلية له على كفره و شره "[4].

ومن شدة اعتقاد الإنسان بالجان وخوفه منه" أصبح يتوهم أن كل شيء سرى و خفي ، وكل شيء متستر لا تفهم حقيقته يقولون هو من صنع الجان ."[5]

---

[1] فاروق خورشيد : أدب السيرة الشعبية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2002،ص 135

[2] سورة الأحقاف ،الآية 29.

[3] سورة الجن ،الآية 1.

[4] فاروق خورشيد :أدب السيرة الشعبة ، مرجع سابق ،ص 131.

[5] حسين الحاج حسن ، مرجع سابق ،ص123.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما عن خلق الجان فقد خلق قبل الإنسان انطلاقا من الآية الكريمة : { وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ }[1] " و فسر أهل العلم { والجان خلقناه من قبل } ومن بينهم ابن عبّاس أن الجان خلق قبل الإنسان و { من نار السموم } أي أنه خلق من لهب النار "[2] أما عن مواطن الجان "فقد كانت تعتقد العرب أن مواطن الجان هي المواضع الموحشة والأماكن التي لا تطأها الأرجل غالبا و المحلات غير الصحية ."[3]

و نتيجة لهذه المعتقدات الدينية و الشعبية تكونت صورة الجان في الحكاية الشعبية القصورية التي سار استخدام الجان فيها وفق ثلاثة طرق :

الطريق الأول :يخضع فيه الإنسان لإرادة الجان خضوعا مطلقا ، فيصبح الإنسان مسلوب الإرادة و القرار و هو ما حدث مع ابنة السلطان في حكاية " محمد بن السلطان " التي سكنها جان و جعلها ترفض كل المتقدمين لها ، و تروي هذه الحكاية أن الجان سكنها بعدما عبرت إحدى الوديان لوحدها وقت المغرب .

الطريق الثاني :" و يكون باستعمال ذخائر كفيلة بتسخيرهم كاللوح المرصود ،أو خاتم ، أو شعرات تحرق فترغم الجن على الظهور "[4] و الجان في هذه الحالة يكون مسخرا للبطل الخير فيحمله من مكان إلى مكان لاختزال الزمان كما حدث مع محمد الهلايلي الذي حمله الجان من بلاد " رداح المصونة " إلى بلاده لإحضار الجيش استعدادا للحرب الذي خاضها ضد جيش ابن عم "رداح" .

---

[1] سورة الحجر ، الآية 26 ،27.

[2] ينظر عماد الدين أبو الفداء ابن كثير :مرجع سابق ،ج2، ص 570.

[3] حسين الحاج حسن ،مرجع سابق ،ص124.

[4] فاروق خورشيد : أدب السيرة الشعبية ، مرجع سابق ،ص 131.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطريق الثالث : يخضع فيه الجان لإرادة الساحر أو المشعوذ بعدما يقوم الساحر بمجموعة من السلوكات .

2-3-2 –الغول:

لقد ذكرنا سابقا أن الحكاية الشعبية قد تخلت كثيرا عن التحولات السحرية ، لكنها احتفظت ببقايا معتقدات أسطورية ، من بين هذا الفتات " الغول" الذي ما زال الاعتقاد به سائدا إلى يومنا هذا و الغول كائن غريب خارق للعادة غريب في صفاته كما تتخيله العقلية الشعبية. لذلك شغل الغول الذهنية البشرية و لاسيما العربية منذ عهد بعيد . أما الشروح المعجمية فهي تجمع أن هذه الكلمة تعني الهلكة و الموت " غاله الشيء غولا و اغتاله و أهلكه و أخذه من حيث لم يدر. "[1] كما تجمع أغلبها على أن أغلبها أنثى" فهي اسم لكل شيء من الجن يعرضها للقفار ، و يتلون في ضروب الصور و الثبات ذكرا أو أنثى إلا أن أكثر كلامهم على أنها أنثى . "[2]

و عليه فإن الذهنية القديمة قد آمنت بوجود الغول " وهو ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم بالقول: " لا عدوى و لا طير و لا جان "[3].

و لكن رغم ذلك ظل العرب يعتقدون بوجود هذا الكائن الخرافي فعرّفه المسعودي بقوله :"إنه حيوان شاذّ من جنس الحيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة ، و أنه لما خرج منفردا في نفسه و هيئته توحش من مسكنه و طلب القفار" [4].

و يختلف في الاعتقاد الشعبي عن الجان في أن الجان لا يمكن رؤيته أبدا في حين يمكن رؤية الغول بالعين المجردة ، إذ أن من صفاته التحول و التلون .

---

[1] ابن منظور الافريقي المصري : لسان العرب ، مادة غول ، المجلد الحادي عشر ، بيروت ،1968، ص507.

[2] الجاحظ : الحيوان مجلد 2،ج5، ط3، بيروت ،1990،ص 409.

[3] عبد الملك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب ،الوكالة الوطنية للنشر و الإشهار،الجزائر ،1989، ص23.

[4] المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المجلد الثاني ، دار الفكر،بيروت،1973،ص 156.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيمكن للغول " التشكل في صورة حيوانية ، و إذا عاد إلى الصورة الأصلية ظهر على شكل امرأة بشعة الخلقة يكسو جسدها الشعر و شعر رأسها طويل مخبل و أسنانها طويلة تظهر بارزة من فمها ..." [1].

و لا يختلف عالم الغيلان عن عالم الإنسان حيث لهم عائلة متكونة من الأبناء و العمات والخالات نستطيع أن نفهم هذا من خلال حكاية صغرونة فعندما قصدت بيت الغول لإحضار الجمر بغية إيقاد نار الموقد التي أخمدتها القطة و جدت الغول مع أبنائه و زوجته و أقربائه يتناولون وجبة العشاء.

و الغول يملك المسكن الرائع و المريح و الثروة الحيوانية من دجاج و أغنام و إبل . هذا ما لمحت إليه حكاية " سي علي بو علي " عندما قالت أن الذئب و سي محمد قد عثرا على عزبة مملوءة بالأغنام و الإبل، هجرتها الغيلان بعدما استولت على عزبة أخرى ، و هذا ما أكدته حكاية " الطير بوريشة " عندما وجد عزبة مهجورة كانت للغيلان سكنها هو و والدته.

و يمكن للغول أن يعيش مع الإنسان و يتخذ شكله دون أن يدرك الإنسان حقيقته،كأن تستعمل الغولة المكر فيتوهم الإنسان أنها خالته أو عمته فيصدقها كما فعلت شقيقات صغرونة اللائي انخدعن بمظهر الغولة التي ظهرت في شكل امرأة عادية و أوهمتهن أنها خالتهن فصدّقنها وفتحن لها الباب فظهرت بشكلها الحقيقي و كانت نهايتهم ما عدا صغرونة التي فرت بجلدها .

وقد يوظف الغول في الحكاية الشعبية كوسيلة يؤكد من خلالها البطل بطولته كما فعل " نصف عبد " عندما قضى بفضل ذكائه على الأربعين غولا وفعل ابن عمير عندما خلص هو وأصدقاءه ابنة السلطان من شراك "خطّاف العرايس ".

---

[1] ينظر عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي بمنطقة بسكرة ، مرجع سابق ،ص23.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-4- معتقدات دينية :

2-4-1- الاعتقاد في بركة الأولياء الصالحين و كراماتهم :

لا زال الاعتقاد في بركة الأولياء الصالحين سائدا لدى الفئات الاجتماعية القصورية ، فهم يؤمنون بقدرة الأولياء الصالحين على تحسين الأحوال شرط أن تتوفر نية خالصة صادقة لدى الإنسان الشعبي في بلوغ الولي الصالح مكانة رفيعة عند الله تسمح له حسبهم التوسط لله تعالى لقضاء حاجاتهم " فالأولياء الصالحين هم رجال مقربون إلى الله تعالى و لهم إمكانيات تسمح لهم الاتصال به أكثر من غيرهم ، ولهم مقدرة عجيبة على الأفعال الخارقة "[1] " فإن كان الله تعالى قد خص أنبياءه بمعجزات فقد خص أولياءه بكرامات"[2].

ويكمن الفرق بين النبي و الولي في " أنّ النبي يظهر معجزاته للمشركين للمجابهة و التحدي أما الولي فلا يظهر كرامته لأن الأصل في الكرامة الإخفاء و الكتمان ."[3]

و إذا كانت النبوة قد انتهت بحكم قول الرسول صلى الله عليه و سلم لا نبي بعدي ،فالولاية هي استمرار للنبوة في نفس البشر. " [4]

فالكرامة هي من سمح للولي الصالح احتلال مكان مهم في قلوب الناس و هي من شجع أم السلطان في حكاية " رداح المصونة زيارة الولي الصالح " سيد علي الطيار " و تترجاه حتى يدعو الله و يتوسّله أن يقبل ابنها فكرة الزواج و وعدته أنها ستذبح شاتا و توزعها على الفقراء ، و ما إن مرّت أيام حتى رغب السلطان في الزواج و تزوج ، لكنه لم يرزق بالأولاد ،

---

[1] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي بمنطقة بسكرة ،مرجع سابق ، ص22.

[2] خليل أحمد خليل :مضمون الأسطورة في الفكر العربي ،دار الطباعة ،ط3،بيروت، 1982،ص 105.

[3] محمد دحماني: حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر ،2006/2005،ص 6.

[4] المرجع نفسه ، ص 6.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلجأ إلى الشيخ المدبر فأخبره إنّ هناك دَيْنا في رقبته عليه أن يقضيه ،فتساءل السلطان بينه و بين نفسه كثيرا لكنّه لم يتوصّل إلى شيء .و عندما سأل أمه أخبرته أنّها وعدت "سيدي علي الطيار بذبح شاة و توزيعها على الفقراء وما دام قد مات عدلت عن ذلك ، فوفّى السلطان بذلك الوعد، فرزق بابن رائع هو "محمد الهلايلي " بطل الحكاية .

فهذا الموقف يجسد إيمان المجتمع الشعبي بأشهر أولياء المنطقة ، و يجسد أيضا حاجة كل الطبقات لهذه الشخصية لأنها شخصية تعوضهم عن نقص المقدرة في تجاوز المحدودية الاسبانية، كما أنها ترسم جزءا ماديا للعبادة الصالحة ، و إخلاص النفس للقيم و عبادة الله بإخلاص و صدق . كما يؤكد هذا الموقف على ضرورة ذبح القرابين شكرا للولي الصالح على قضاء حاجة المتوسل بالدعاء ، فحاجة الناس للولي الصالح تستمر حتى بعد وفاته ، يمكن التأكد من ذلك من خلال انتشار المقامات و الأضرحة في قرى القصور، وأشهرهم سيد علي الطيار و الشيخ مليك .

أما سيدي علي الطيار فيحكى عنه أنه لم يكن رجلا صالحا متعبدا لله عز وجل فقط، بل كان أيضا يقوم بالطيران ، و لأجل ذلك لقب بالطيار ، وهذا ما أكده كل سكان المنطقة[1].

و هو ما فنّده السيد **عبد السلام كسال** فذكر لي أولا : أن سيد علي الطيار كان بسكري المولد والمنشأ، حيث يوجد بالمدينة القديمة" المسيد " ضريح جده الأول : "سيدي أحمد الطيار"، وقد كان "سيدي علي الطيار" شغوفا بطلب العلم، إذ شد الرحال إلى الحجاز ، حيث حاز من العلوم ما لم يتسن له في بسكرة، فانكب عليه و لم يعد حتى نال إجازة الفتوى، ولما عاد وجد الأتراك قد أحكموا سيطرتهم على المدينة، فلم تعجبه ظروف المقام الجديدة، وقد بدأت تتملكه الرغبة في الانقطاع عن الدنيا،فاستقر بالقصور ولكنه كان كثير الترحال والزيارة لمجالس العلم التي تعقد هنا وهناك ، حتى ذاع صيته وصار أشهر من نار على علم ،وخير دليل على ذلك أن الرحالة الشهير **الحسين الورثلاني** قال عنه في كتابه :" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " ، وقد زرت الولي الصالح والقمر الواضح سيدي علي الطيار المعظم في التل والصحراء، وقد كان هذا بعد وفاته ".

---

[1] محمد علون : مصدر سابق ،فيفري 2009، بمقر منزله بتازروت بلدية القصور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أكد لي أنّ اللقب الذي يحمله لم يكن جديدا عليه وإنّما هو لقب أسرته الذي كان يحمله جده سيدي أحمد الطيار وقد وفد إلى بسكرة من الجزائر في بداية القرن السابع عشر ميلادي ، وهو ينسب إلى أحد أحفاد سيدي" عبد الجليل الطيّار" الذي كان سكن إفريقية"تونس" وعمل بها قاضيا في عهد آخر أمراء الدولة الموحدية، فلما هلك الأمير رفض العودة إلى القضاء، وانتقل إلى مازونة .بمديونة، فتزوج هناك وولد له أحد عشر ولدا، خرجوا إلى الجهاد فاستشهد منهم سبعة، فسمي المكان الذي استشهدوا فيه " الشهدة " ، فلقب بالطيار عزاءا في فقد أبنائه تشبيها بجعفر الطيار رضي الله عنه الذي قطعت ذراعاه في غزوة مؤتة.

وذكر لي أيضا أنه في كتاب " شجرة الأصول في أبناء الرسول" يذكر القاضي بن حشلاف الجلفاوي عمود نسبه فيقول عنه أنه: عبد الجليل بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن احمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهم أجمعين.وهذا يعني **أن سيدي علي الطيار يعود نسبه إلى علي كرم الله وجهه .**

نزل سيدي علي الطيار بكهف تازرورت -وهي قرية قريبة جدا من القصور فلا يفصلها عنها إلا واد وذرن- ، و بنى له مقاما من حجرة واحدة، يجلس فيها للخلوة والتعبد، أعطى الأمان للناس للاستقرار بقرية تازرورت وصارت تسمى المنطقة القصور أولاد سيدي علي الطيار، و بنيت زاوية تخليدا له وقد ازدهر التعليم بها، إذ صارت قبلة لحفظة القرآن ، وقد أكد لي- السيد عبد السلام كسال - أن " سيدي محمد بن أبي القاسم " مؤسس الزاوية القاسمية بالهامل قد درس هناك ، وكان هذا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، و الذي يتواتر عنه قوله:" إذا أردت حفظ القرآن فخذ دواة من فخار، وقلما من عرعار، وعليك بأولاد سيدي علي الطيار"[1]

---

[1] عبد السلام كسال ، مصدر سابق ، أفريل 2009، بمقر عيادته ببلدية اليشير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صور15: المدرسة القرآنية أولاد سيد علي الطيار بالقصور

ومؤخرا أصبحت هده الزاوية مدرسة قرآنية تشرف عليها وزارة الشؤون الدينية مختصة في تلقين علوم الدين كالفقه وأصوله و الحديث و السيرة و أحكام التجويد ...الخ يقصدها الطلبة من مختلف مناطق الوطن.وخير دليل على ذلك ،أنه لا تخلو منطقة في ولاية برج بوعريريج من إمام أخذ عنها علوم الدين .

أما الولي الصالح "سي بلوا ضح "فيروى أن الاستعمار الفرنسي وعن طريق وشاية عرف أن " سي بلوا ضح"يقوم بتحريض الناس على الجهاد وكرد فعل من طرف المستعمر قام بقصف مترله بالمدافع غير أن القذائف لا تنطلق وعندما صوبوها في جهات أخرى أصابـــــــت أهدافها .

صورة 16: مقام الولي الصالح : سي بلواضح

هذه الرواية يؤمن بها كل سكان المنطقة إيمانا راسخا ، إذ لاستطيع أحد أن يشكك في صحتها إذ أكد لي الحاج عمر بن محمد معزوز الذي يفوق عمره تسعين سنة أنه شاهد الحادثة بأم عينيه[1]، حتى أن الاستعمار الفرنسي اندهش من تلك الواقعة وأقر أن هذا الولي يحتل مكانة مرموقة عند الله يجب أن يحترم من جميع قادة الاستعمار.

---

[1] عمر بن معزوز ، راوي شعبي ،من مواليد 1915 ، ماي 2009،بمقر مترله بقرية القصور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-4-2- القضاء و القدر في الحكاية الشعبية القصورية :

"لقد سبق لموضوع القدر أن احتل منزلة واسعة من الجدل و البحث خاصة عند ما يعرف بعلماء الكلام و ما تفرّع عنهم من شيع مثل القدرية و الجبرية "[1]**فالقدرية:** تيار يجحد القدر ويقول أن كلا من عباد الله خالق لفعله متمكن من عمله أو تركه بإرادته و **الجبرية:**تقول أن الإنسان لا يقدر على شيء فهو مجبور على أفعاله ، فالأفعال تخلق فيه كما تخلق في سائر الجمادات .

أما الإنسان الشعبي البسيط الذي لا يعرف شيئا عن هذه الفِرق نجده موغلا في الإيمان بالقضاء والقدر باعتباره ركنا من أركان الإيمان .يتجلى الإيمان بالقضاء و القدر في مجتمع البحث من خلال شيوع مجموعة من الأمثال مثل " المكتوبة في الجبين ما ينحّوها اليدين " و " الِّي مَاهِيشْ كاتبة من الفُمْ تْطِيحْ" ، و شيوع كثير من الحكايات التي تدعو إلى ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر و تحذر من مغبة التطاول عليه ،فتأكد بعضها أن مجرد التفكير في تغيير القدر ما هو إلا محاولات واهية ستبوء بالفشل ، فقد حاولت ابنة الفقير قديما تغيير قدر والدها بمختلف السبل لكن دون جدوى ، فرغم أنها نجحت في الزواج من ابن السلطان لكنها لم تنجح في جعل والدها غنيا ، إذ انتهت الحكاية بتلقينها درسا قاسيا عندما كُتب بدم والدها المتطاير " أنا أفْقرْتُه و أنتِ أغْنيه ، أنا قتْلْتُه و أنتِ اْحْييه".

فالأجدر بالإنسان الرضا بقدر الله و عدم التطاول عليه و أخذ العبرة من حكاية " ابنة الفقير " و " فرحات " الذي أضناه فقره ،فقرر تغيير إقامته و الرحيل عن بلدته لأنه اعتقد أنها سبب فقره إلى أن اتضح له أن المكان لا علاقة له بفقره ،فعندما عاد إلى بيته القديم لأخذ الغربال وجد قدره يرقص في بهو البيت "صاحبي رايح للزّاب و أنا لاحقه ".

و الإنسان الشعبي القصوري في تداوله لهذه العبارات المثلية لا يدعو إلى الخمول و الكسل

---

[1] شوقي عبد الحكيم : مدخل لدراسة الفولكلور و الأساطير العربية ، دار ابن خلدون ،ط2، بيروت ، 1963،ص 105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما يتوهم البعض ، لكنه يدعو إلى ضرورة الرضا بقضاء الله و قدره لأن الرضا لا يعني الكسل، بل هو راحة نفسية تؤدي إلى القناعة و القناعة تؤدي إلى السعادة و حمد النعم . لأن مفتاح السعادة كما قال أحد الحكماء هو القناعة و الرضا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة

إذا كانت الحكاية الشعبية منتشرة بهذا الشكل الواسع في منطقة القصور فهذا بفضل مجموعة من العوامل : تمثّل العامل الأول في بيئة مجتمع القص التي تتميز بالبساطة و طبيعة إنسانها الشعبي الذي يرفض التخليّ عن سنة سرد الحكايات كل ليلة ،و تمثل العامل الثاني في الرواة و ما يتمتعون به من مهارات لغوية وفنية تشد انتباه المتلقين و تجذب اهتمامهم ، و تمثل العامل الثالث في اختيار المكان المناسب للحكي ، و تمثل العامل الرابع في الطرف الموجه إليه الحكي و هو المتلقي من خلال تحسيس الراوي بالاهتمام و تحفيزه على الحكي ،أما العامل الأخير ؛فتمثل في مجموعة من الخصائص تتمتع بها الحكاية الشعبية نفسها، فتدعونا هذه الخصائص إلى الإصغاء للحكاية الشعبية دون قصد منها.

و هي عوامل و ظروف يصعب إيجادها إلاّ في مناطق تملك مميزات و مؤهلات منطقة القصور و هي المناطق التي يجب على كل دارسي الأدب الشعبي البحث فيها عن كل أشكال التعبير الشعبي قبل أن تتأثر بمظاهر التكنولوجيا، فتزول و تندثر كما زالت تدريجيا من مدننا .

و استطاعت الحكاية الشعبية التعبير عن معظم فئات المجتمع فلم تهمل لا الفقير و لا الغني ولا الحاكم ، و حسمت الصراع القائم بين الفقير و الغني لصالح الفقير دائما ،و رصدت موقف الرعية من الطبقة الحاكمة و عبّرت عن استحالة وصول الرعية إلى الحكم فدعت بأسلوب غير مباشر إلى استعمال الطرق غير الشرعية للوصول إلى السلطة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما ضمّت الحكايات الشعبية القصورية في ثناياها معظم العادات و المعتقدات التي يمكن تسجيلها في مجتمع القص ، هذا فضلا عن العبر و القيم الأخلاقية التي خلصت إليها كل حكاية شعبية .

و قبل ذلك لمّحت الحكاية الشعبية القصورية إلى وجود الراوي و المتلقي في نصها من خلال علامات و عبارات دالة كقالك يا سيدي و علامات أخرى تحتاج لدراسة أخرى للكشف عنها خاصة المتلقي.

فالحكاية الشعبية القصورية استوعبت معظم الفئات الاجتماعية و علاقاتها وعاداتها و معتقداتها وبإمكانها أن تستوعب أكثر من ذلك كالجانب النفسي و الجانب الإثنولوجي و الجانب الإثنوغرافي ،و هي جوانب يمكن لدارسين آخرين تناولها .

و تجدر الإشارة إلى أنّ الكلام الذي قيل عن الحكاية الشعبية القصورية لا يمكن أن ينسحب على غيرها من الحكايات، لأن الحكاية الشعبية تخضع للمحلية ، فحتى و إن حافظت الحكاية الشعبية على مضمونها العام فإنّها ستفقد الكثير من الجزئيات أثناء تنقلها من بيئة إلى أخرى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملحوظة المحكمة المجموعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

-الرواة:

- ابراهيم بوجير :ممرّض و راوي شعبي مهتم بتاريخ القصور ، 1955 .
- أحمد قويني :راوي شعبي ،متقاعد، من مواليد 1913.
- بوزيد كسال : ،راوي شعبي و مهتم بعادات المنطقة و تقاليدها ،متقاعد ،من مواليد 1937.
-عبد السلام كسال : طبيب و باحث في أنساب القصور ، من مواليد1970.
-عبد القادر فطوش :فلاح و راوي شعبي ، من مواليد 1953.
-محمد علون : راوي و شاعر شعبي ، من مواليد 1916.

الكتب العربية :

-أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة ،تحقيق محمد هارون ،دار الفكر ،بيروت ،1976.
-أحمد أمين : قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط1 ،القاهرة ،1953.
- أحمد الخشاب : مبادئ علم الاجتماع،ط2 مكتبة مصر ،القاهرة.
- أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الرمزي و الأسطوري –أساطير و رموز وفولكلور في الفكر الإنساني ،المؤسسة الحديثة للكتاب ، ط1،2006.
- أحمد رشدي صالح :الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ،ط3، القاهرة ،1971.
- أحمد علي مرسي : مقدمة في الفولكلور ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ط2،دون بلد نشر ،1995.
-إسماعيل بن حماد الجوهري :تاج اللغة و صحاح العربية ،دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت 1996.
- تاج الدين نوفل :السحر و السحرة و الوقاية من الفجرة ،دار الشهاب للطباعة و النشر ،باتنة ، الجزائر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ثريا تيجاني :دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري –وادي سوف أنموذجا –دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر .
- جمال أبو الفضل ابن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب ، المجلد 11 ، بيروت ،1968.
- حسين الحاج حسن:الأسطورة عند العرب في الجاهلية ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ،1998.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان : الفولكلور و الفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع المكتب الجامعي الحديث ، 1993.
- خزعل الماجدي : بحور الآلهة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، عمان، 1998.
- سمير المرزوقي ، جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا ، الدار التونسية للنشر.
-شهاب الدين الأشبيهي:المستطرف في كل فن مستظرف ، ط1، بيروت،لبنان ،2001.
- شوقي عبد الحكيم :مدخل لدراسة الفولكلور و الأساطير العربية ،دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،ط1،بيروت ،1992.
- عبد الحميد بورايو :الأدب الشعبي الجزائري ،دار القصبة للنشر ،الجزائر، 2007.
- البطل الملحمي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري –دراسة حول خطاب المرويات الشفوية ،الأداء ،الشكل ،الدلالة –ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1995.
- القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986.
- عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ،المصرية العامة للتأليف و النشر ،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،1968.
- عبد العاطي السيد ، سامية محمد جابر و آخرون : الأسرة و المجتمع ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2006.
- عبد الملك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب ،الوكالة الوطنية للنشر والإشهار،الجزائر،1989.
-الألغاز الشعبية الجزائرية –دراسة في ألغاز الغرب الجزائري-،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-عز الدين اسماعيل :القصص الشعبي في السودان ،-دراسة في فنية الحكاية و وظيفتها ،الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر،1971.

- عطا الله الزاقوت : العادات و التقاليد في محافظة السويداء (جبل العرب) ، دار علاء للنشر والتوزيع و الترجمة ،ط1، دمشق ،2000.

-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير :تفسير القرآن العظيم ، تقديم يوسف عبد الرحمان المرعشلي، دار المعرفة ،بيروت،لبنان ،1986.

- غراء حسين مهنا : أدب الحكاية الشعبية ،دار بونار للطباعة ،ط1،القاهرة ،1997.

-فادية عمر الجولاني : تحليل اجتماعي لبناء الأسر و تغير اتجاهات الأجيال،المكتبة المصرية للنشر ، 1995 .

- فاروق خورشيد : -الموروث الشعبي ،دار الشروق ،ط1،القاهرة ،1992.

- أدب السيرة الشعبية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2002.

- فوزية ذياب :القيم و العادات الاجتماعية ، ،دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ،1980.

- فوزي العنتيل : الفولكلور ماهو؟،دار المسيرة ،بيروت ،ط2، بيروت ،1987.

- ليلى قريش : القصة الشعبية ذات الأصل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1980.

- محمد ابن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ،تحقيق طه عبد الرءوف سعد ،دار الرشيد،باب الزوار ،الجزائر ،2003.

- محمد الجوهري : الانثروبولوجيا –أسس نظرية و تطبيقات علمية ،دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع ،الإسكندرية ،2005.

- محمد جويلي : انثروبولوجيا الحكاية - دراسة انثروبولوجية في الحكايات الشعبية التونسية-تقديم توفيق بكار ،مطبعة تونس قرطاج ، تونس ،2002 .

-محمد سعيدي : الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1998.

- محمد محجوب : القرابة و البناء الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية،2006.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- محمد المرزوقي :الأدب الشعبي ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1967.
- مجد الدين محمد بن يعقوب :القاموس المحيط ، ضبط و توثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت،2008 .
- مجموعة من المؤلفين : الموروث الشعبي و قضايا الوطن ،مطبعة مزوار للنشر و التوزيع ،الوادي ، الجزائر ،2006.
- مرسي الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر الإسكندرية ، 1999 .
- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المجلد الثاني، دار الفكر ،بيروت ،1973 .
-مصطفى يعلى : القصص الشعبي قضايا و إشكاليات ،دون معلومات نشر.
- القصص الشعبي بالمغرب ، دراسة مورفولوجية ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء، ط1 ،2001 .
- المنظمة الوطنية للمجاهدين : قاموس الشهيد ، دار الهدى للطباعة ، المكتب الولائي ، لولاية برج بوعريريج، الجزائر ،2002 .
- نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير الشعبي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- الدراسات الشعبية بين النظرية و التطبيق ،دار المحامي للطباعة ،القاهرة .
-قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ،دار قباء للطباعة ،القاهرة .
- نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الإسلامي ،دار الشروق ،ط2، جدة ، 1988.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتب الأجنبية المترجمة:

-جعفري بارندر :تاريخ الأديان القديمة ،ترجمة عبد الفتّاح إمام ،مراجعة عبد الغفار مكاوي،دار المعرفة الكويت،1993.

- فريديريش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية ،نشأتها ومناهج دراستها فنيتها ،ترجمة نبيلة إبراهيم ،مراجعة عز الدين إسماعيل ،دار القلم ،ط1،بيروت ، لبنان ،1973.

- فلاديمير بروب :مورفولوجية الخرافة ،ترجمة إبراهيم الخطيب ،مطبعة النجاح الجديدة ،المغرب 1986.

- الكردنار هجرتي كراب : علم الفولكلور ،ترجمة رشدي صالح ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

الدوريات و الرسائل :

-عزي بوخالفة : الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية ،-دراسة ميدانية في مدينة المسيلة ،بحث معد لنيل الماجستير جامعة الجزائر ،1994.

- فوزية بن سالم : الحكاية الشعبية في مدينة بجاية ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر ،1991 .

- نبيلة بلعبدي : الحكاية الشعبية بمنطقة الشلف ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ،جامعة الجزائر ،2001/2000 .

- محمد دحماني: حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر ،2006/2005.

الأشرطة و الحصص التلفزيونية:

-محمد معلم : هذي بلادي ، حصة تلفزيونية أسبوعية ، الجزائرية الثالثة ، الجزائر ، مساء الثلاثاء 10فيفري 2009.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفهـــــــارس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الحكايات :

1- حكاية حب حب رمان .....ص 85،94 ،99،101 ،128 .
2-حكاية بوطماية .....ص 45 ، 81 ، 100 ، 101 ، 126، 128 ، 140 ،147 ،152
3-حكاية الوصية .....ص 80 ،88 ، 94 ، 95 .
4- حكاية سكرة.....ص 55 ،56 ، 57 ،82 ،83 ،86 ،87 ،94، 99، 100، 102 ،103.
5-حكاية علم النساء.....ص 94 ، 99.
6-حكاية ابن عمير .....ص 81 ، 84، 94 ،99،110، 111 ،112، 128 ،146 ،149
7-حكاية نصف عبد .....ص 95 ،100 ،128 ، 130،139.
8- حكاية الطير بوريشة .....ص 80، 98، 107 ، 127 ،155.
9-حكاية عصفور و جرادة .....ص 81، 94 ، 145.
10-حكاية يحي بو لحي .....ص 95 ، 131 .
11-حكاية علي اللفحل و علي الجايح .....ص 83،94 ، 100 ، 106 ،134 ، 152.
12-حكاية فاعل الخير.....ص 81 ، 94 ،99.
13-حكاية حد الزين.....ص 75،80،79،73،78،92، 98، 107، 126، 129، 139 ، 150.
14-حكاية المنحوس..... ص 94، 143، 149 ، 151
15-حكاية البخيل و الناعس..... ص 85 ، 90 ، 102 ، 107، 108
16-حكاية رداح المصونة.....ص 51، 81، 82 ، 84 ، 93 ، 98 ، 101 ، 110 ، 128 ، 131 ، 132، 137 ، 157 ، 160 ، 161.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

17-حكاية ابنة الفقير .....ص 60، 86 ، 94 ، 161.
18-حكاية محمد بن السلطان .....ص 77، 78 ، 80 ، 95 ، 99 ، 129 ، 129 ، 150 .
19-حكاية فرحات.....ص 59 ، 94، 161.
20-حكاية الإخوة .....ص 69، 95.
21حكاية هارون الرشيد.....ص 43 ، 48 ، 80 ، 81 ، 94 ، 99 ، 101 ، 113 ، 114 ، 118 ، 119 ، 129 ، 151 ، 153.
22 حكاية صغرونة.....ص 48 ، 156.
23-حكاية الغبي .....ص 86 ، 96.
24-حكاية جحا.....ص 86 ، 95 ، 133 .
25- حكاية سي مديه و سي ملحق.....ص 70 ، 71 ، 72 ، 95 .
26-حكاية سي علي بو علي.....ص 45 ، 64 ، 65 ، 95 ، 126 ، 156.
27-حكاية الثئران الثلاثة.....ص 62 ، 98.
28-حكاية القطة و الطفلة.....ص 64.
29-حكاية الذئب و القنفذ.....ص 63 ، 65 ، 98.
30-حكاية الكبدة .....ص 95 ، 97 ، 98 .
31-حكاية الصاحب .....ص 96 ، 97.
32-حكاية شي ما هو شيء.....ص 68 ، 95 .
33-حكاية اليتيمات.....ص 58، 94 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الصور :

رقم الصورة الشمسية	عنوان الصورة	الصفحة
1	المنجل والفرش.	10
2	صعوبة المسالك في المنطقة.	11
3	عين العنصر بوادي وذرن.	11
4	عين القصور بالجهة الغربية.	11
5	عين وذرن بوادي وذرن.	11
6	البناء العمراني التقليدي بالمنطقة.	14
7	باب أحد المنازل بالمنطقة.	14
8	فناء إحدى البيوت بالقصور موزعة به مختلف الغرف.	14
9	نموذج لإحدى أسقف المنازل القصورية.	15
10	الكوفي وهو أهم وسائل الادخار.	15
11	أحد أزقة القصور.	16
12	باب "برانصور" آخر ما تبقى من السور.	19
13	محراث خشبي.	131
14	المناصب الثلاثة.	131
15	المدرسة القرآنية سيد علي الطيار.	161
16	مقام الولي الصالح سي بلواضح .	161

فهرس الخرائط:

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	الصفحة
1	خريطة بلدية القصور.	12
2	موقع بلدية القصور في ولاية برج بوعريريج .	13

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات : الصفحة

- مقدمة .

تمهيد:

1-مفهوم الحكاية الشعبية و علاقته بالمفاهيم المجاورة .....1-09.

2- بيئة الحكاية الشعبية ..... 10-23.

3- ظروف جمع المدونة و كيفية دراستها .....23-29.

الباب الأول :

حركة الحكاية الشعبية في مجتمع القص

الفصل الأول :انتشار الحكاية الشعبية في مجتمع القص .

- **تمهيد** .....32-35.

1- الرواة .....36-41.

2- مناسبات الحكي .....42-43.

3- استجابة الناس للحكي.....44-45.

4-طبيعة و خصائص الحكاية الشعبية القصورية .....46-51.

الفصل الثاني :أنماط الحكاية الشعبية القصورية.

- تمهيد .....53-54.

1- حكايات الواقع الاجتماعي .....55-58.

2- حكايات المعتقدات .....59-60.

3- حكايات الحيوان .....61-65.

4- الحكايات المرحة .....66-69.

5- حكايات المغامرات .....70-71.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباب الثاني :

الحياة الاجتماعية في الحكاية الشعبية القصورية .

الفصل الأول : الفئات الاجتماعية و علاقاتها في الحكاية الشعبية القصورية.

1- **الفئات الاجتماعية :**

1-1 -الفئة الغنية :

1-1-1 –ابن السلطان .....75-78.

1-1-2- ابنة السلطان .....79.

1-1-3-السلطان .....80، 81.

1-1-4-زوجة السلطان .....81، 82.

1-1-5-الغني ....82،83.

1-1-6-زوجة الغني . .....83.

1-2- الفئة الفقيرة :

1-2-1-ابن الفقير .....84، 85.

1-2-2-ابنة الفقير .....85 ، 86.

1-2-3- الفقير ..... 86.

1-2-4- زوجة الفقير .....87.

1-2-5-الشيخ المدبر.....88-90.

1-2-6العجوز الستوت .....90-92.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-العلاقة بين الفئات الاجتماعية في الحكاية الشعبية القصورية :

2-1-الأسرة و علاقاتها في الحكاية الشعبية القصورية :

2- 1-1-علاقة الوالدين بالأبناء .....96-98.

2- 1-2 –العلاقة الزوجية ....98-99.

2-1-3-علاقة الأخ بالأخ.....100.

2-1-4-علاقة الأخ بالأخت .....101.

2-1-5- علاقة الأخت بالأخت .....101.

2-2 -علاقة الفئة الفقيرة بالفئة الغنية و الحاكمة:

2-2-1-علاقة الفئة الفقيرة بالفئة الغنية .....102-107.

2-2-2- علاقة الرعية بالطبقة الحاكمة .....107-116.

الفصل الثاني : العادات و المعتقدات الشعبية في الحكاية الشعبية القصورية

1- العادات الشعبية :

1-1- تعريف العادات الشعبية و خصائصها. .....118-122.

1-2- عادات شعبية تتعلق بدورة الحياة .

1-2-1-عادات الميلاد .....124-125.

1-2-2-عادات الزواج (الخطبة ،المهر ،الزفاف).....125-129.

1-2-3-عادات الوفاة .....130 ،131.

1-3-عادات شعبية تتعلق بالمواسم :

1-3-1-عادات شعبية تتعلق بموسم الحرث .....131، 132.

1-3-2-عادة يناير.....131 ،134.

1-3-3-عادة شاو الربيع .....134-135.

2- المعتقدات الشعبية:

2-1-معتقدات شعبية سلوكية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-1-1-السحر.....137-140.
2-1-2-الشعوذة .....140-141.
2-1-3- العرافة .....141-149.

2-2-معتقدات شعبية نفسية

2-2-1-الفأل.....150-151.
2-2-2-التطير..... .....152، 153.
2-3-الاعتقاد في كائنات ما وراء الطبيعة .
2-3-1-الجان.....154-156.
2-3-2-الغول .....156، 157.
2-4-معتقدات دينية .
2-4-1-الاعتقاد في بركة الأولياء الصالحين.....158-161.
2-4-2-القضاء والقدر.....162، 163.
-خاتمة.
ملحق الحكايات ....167-204.
قائمة المصادر و المراجع .....206-210.
فهرس الحكايات المجموعة.....212، 213.
فهرس الصور و الخرائط .....214.
فهرس الموضوعات .....215-218.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com